فلا نرد موردَ مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نُرهق بتبعة ولا معتبة
ولا نُلجأ إلى معتذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المُنية
وأنلنا هذه البغية ولا تُضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا
مضغة للماضغ فقد مددنا إليك يد المسألة وبخعنا بالاستكا
نة لك والمسكنة واستنزلنا كرمك الجم وفضلك الذي عم
بضراعة الطلب وبضاعة الأمل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر
والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين وأعليت
درجته في عليين ووصفته في كتابك المبين فقلت وأنت أصدق
القائلين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين إنه لقول رسول
كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين اللهم فصل
عليه وعلى آله الهادين وأصحابه الذين شادوا الدين واجعلنا
لهديه وهديهم متبعين وانفعنا بمحبته ومحبتهم أجمعين إنك
على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وبعد فإنه جرى ببعض أندية
الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه وخبت مصابيحه
ذكر المقامات

التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة همذان رحمه الله وعزى
إلى أبي الفتح الاسكندري نشأتها وإلى عيسى بن هشام روايتها
وكلاهما مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف فأشار من إشارته
حكم وطاعته غنم إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع
وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع فذاكرته بما قيل فيمن ألف
بين كلمتين ونظم بيتا أو بيتين واستقلت من هذا المقام الذي
يحار فيه الفهم ويفرط الوهم ويسبر غور العقل وتتبين قيمة
المرء ويضطر صاحبه إلى أن يكون كحاطب ليل أو جالب رجل
وخيل وقلما سلم مكثار أو أقيل له عثار فلما لم يسعف
بالإقالة ولا أعفى من المقالة لبيت دعوته تلبية المطيع
وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع وأنشأت على ما أعانيه من
قريحة جامدة وفطنة خامدة وروية ناضبة وهموم
ناصبة خمسين مقامة تحتوي على جد القول وهزله ورقيق اللفظ
وجزله وغرر البيان ودرره وملح الأدب ونوادره إلى ما وشحتها
به من الآيات

ومحاسن الكنايات ورصعته فيها من الأمثال العربية واللطائف الأدبية
والأحاجي النحوية والفتاوي اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب
المحبرة والمواعظ المبكية والأضاحيك الملهية مما أمليت
جميعه على لسان أبي زيد السروجي وأسندت روايته إلى الحارث
بن همام البصري وما قصدت بالإحماض فيه إلا تنشيط
قارئيه وتكثير سواد طالبيه ولم أودعه من الأشعار الأجنبية
إلا بيتين فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية وآخرين
توأمين ضمنتهما خواتم المقامة الكرجية وما عدا ذلك فخاطري
أبو عذره ومقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافي بأن البديع
رحمه الله سباق غايات وصاحب آيات وأن المتصدي بعده
لإنشاء مقامة ولو أوتي بلاغة قدامة لا يغترف إلا من فضالته
ولا يسري ذلك المسرى إلا بدلالته ولله القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وأرجو ألا أكون في هذا الهذر الذي أوردته والمورد الذي توردته كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن أنفه بكفه فألحق بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا على أني وإن أغمض لي الفطن المتغابي ونضح عني المحب المحابي لا أكاد أخلص من غمر جاهل أو ذي غمر متجاهل يضع مني لهذا الوضع ويندد بأنه من مناهي الشرع ومن نقد الأشياء بعين المعقول وأنعم النظر في مباني الأصول نظم هذه المقامات في سلك الإفادات وسلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات أو أثم رواتها في وقت من الأوقات ثم إذا كانت الأعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات فأي حرج على من أنشأ ملحا للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى التهذيب لا الأكاذيب وهل هو في ذلك إلا بمنزلة من انتدب لتعليم أو هدى إلى صراط مستقيم

على أني راض بأن أحمل الهوى وأخلص منه لا علي ولا ليا وبالله أعتضد فيما أعتمد وأعتصم مما يصم وأسترشد إلى ما يرشد فما المفزع إلا إليه ولا الاستعانة إلا به ولا التوفيق إلا منه ولا الموئل إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب

المقامة الأولى
الصنعانية بلد باليمن

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب الاغتراب وأنأتني المتربة عن الأتراب طوحت بي طوائح الزمن إلى صنعاء اليمن فدخلتها خاوي الوفاض بادي الإنفاض لا أملك بلغة ولا أجد في جرابي مضغة فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم وأجول في حوماتها جولان الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح غدواتي وروحاتي كريما أخلق له ديباجتي وأبوح إليه بحاجتي أو أديبا تفرج رؤيته غمتي وتروي روايته غلتي حتى أدتني خاتمة المطاف وهدتني فاتحة الألطاف إلى ناد رحيب

مُحْتَوِشًا عَلَى رِجَالٍ وَنَحِيبٍ فَوَلَجْتُ غَابَةَ الْجَمْعِ لِأَسْبُرَ مَجْلَبَةَ
الدَّمْعِ فَرَأَيْتُ فِي بُهْرَةِ الْحَلْقَةِ شَخْصًا شَخْتَ الْخِلْقَةِ عَلَيْهِ أُهْبَةُ
السِّيَاحَةِ وَلَهُ رَنَّةُ النِّيَاحَةِ وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرِ
لَفْظِهِ وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرِ وَعْظِهِ وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهِ أَخْلَاطُ
الزُّمَرِ إِحَاطَةَ الْهَالَةِ بِالْقَمَرِ وَالْأَكْمَامِ بِالثَّمَرِ فَدَلَفْتُ إِلَيْهِ
لِأَقْتَبِسَ مِنْ فَوَائِدِهِ وَأَلْتَقِطَ بَعْضَ فَرَائِدِهِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ
حِينَ خَبَّ فِي مَجَالِهِ وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُ ارْتِجَالِهِ أَيُّهَا السَّادِرُ
فِي غُلَوَائِهِ السَّادِلُ ثَوْبَ خُيَلَائِهِ الْجَامِحُ فِي جَهَالَاتِهِ الْجَانِحُ
إِلَى خُزَعْبِلَاتِهِ إِلَامَ تَسْتَمِرُّ عَلَى غَيِّكَ وَتَسْتَمْرِئُ مَرْعَى
بَغْيِكَ وَحَتَّامَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ وَلَا تَنْتَهِي عَنْ لَهْوِكَ تُبَارِزُ
بِمَعْصِيَتِكَ مَالِكَ نَاصِيَتِكَ وَتَجْتَرِئُ بِقُبْحِ سِيرَتِكَ عَلَى عَالِمِ
سَرِيرَتِكَ وَتَتَوَارَى عَنْ قَرِيبِكَ وَأَنْتَ بِمَرْأَى رَقِيبِكَ وَتَسْتَخْفِي
مِنْ مَمْلُوكِكَ وَمَا تَخْفَى خَافِيَةٌ عَلَى مَلِيكِكَ أَتَظُنُّ أَنْ سَتَنْفَعُكَ
حَالُكَ إِذَا آنَ ارْتِحَالُكَ أَوْ يُنْقِذُكَ مَالُكَ حِينَ تُوبِقُكَ
أَعْمَالُكَ

أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدَمُكَ إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ أَوْ يَعْطِفُ عَلَيْكَ مَعْشَرُكَ يَوْمَ يَضُمُّكَ
مَحْشَرُكَ هَلَّا انْتَهَجْتَ مَحَجَّةَ اهْتِدَائِكَ وَعَجَّلْتَ مُعَالَجَةَ دَائِكَ
وَفَلَلْتَ شَبَاةَ اعْتِدَائِكَ وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ فَهِيَ أَكْبَرُ أَعْدَائِكَ
أَمَا الْحِمَامُ مِيعَادُكَ فَمَا إِعْدَادُكَ وَبِالْمَشِيبِ إِنْذَارُكَ فَمَا
إِعْذَارُكَ وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ فَمَا قِيلُكَ وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ
فَمَنْ نَصِيرُكَ طَالَمَا أَيْقَظَكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ وَجَذَبَكَ
الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبَرُ فَتَعَامَيْتَ وَحَصْحَصَ
لَكَ الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ وَأَذْكَرَكَ الْمَوْتُ فَتَنَاسَيْتَ وَأَمْكَنَكَ أَنْ
تُوَاسِيَ فَمَا آسَيْتَ تُؤْثِرُ فَلْسًا تُوعِيهِ عَلَى ذِكْرٍ تَعِيهِ وَتَخْتَارُ
قَصْرًا تُعْلِيهِ عَلَى بِرٍّ تُولِيهِ وَتَرْغَبُ عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ إِلَى
زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ وَتُغَلِّبُ حُبَّ ثَوْبٍ تَشْتَهِيهِ عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ
يَوَاقِيتُ الصِّلَاتِ أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ وَمُغَالَاةُ
الصَّدُقَاتِ آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ وَصِحَافُ الْأَلْوَانِ
أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الْأَدْيَانِ وَدُعَابَةُ الْأَقْرَانِ آنَسُ لَكَ مِنْ تِلَاوَةِ
الْقُرْآنِ

تأمر بالعرف وتنتهك حماه وتحمي عن المنكر ولا تتحاماه وتزحزح
عن الظلم ثم تغشاه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ثم أنشد
تبا لطالب دنيا ثنى إليها انصبابه
ما يستفيق غراما بها وفرط صبابه
ولو درى لكفاه مما يروم صبابه
ثم إنه لبد عجاجته وغيض مجاجته واعتضد شكوته وتأبط
هراوته فلما رنت الجماعة إلى تحفزه ورأت تأهبه لمزايلة
مركزه أدخل كل منهم يده في جيبه فأفعم له سجلا من سيبه
وقال اصرف هذا في نفقتك أو فرقه على رفقتك فقبله منهم
مغضيا وانثنى عنهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه ليخفى عليهم
مهيعه ويسرب من يتبعه لكي يجهل مربعه قال الحارث بن همام
فاتبعته مواريا عنه عياني وقفوت أثره من حيث لا يراني
حتى انتهى إلى مغارة فانساب فيها على غرارة فأمهلته ريثما
خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته محاذيا للتلميذ
على خبز سميذ

وجدي حنيذ وقبالتهما خابية نبيذ فقلت له يا هذا أيكون ذا
خبرك وهذا مخبرك فزفر زفرة القيظ وكاد يتميز من الغيظ
ولم يزل يحملق إلي حتى خفت أن يسطو علي فلما أن خبت
ناره وتوارى أواره أنشد
لبست الخميصة أبغي الخبيصه وأنشبت شصي في كل شيصه
وصيرت وعظي أحبولة أريغ القنيص به والقنيصه
وألجأني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه ولا نبضت لي منه فريصه
ولا شرعت بي على مورد يدنس عرضي نفس حريصه
ولو أنصف الدهر في حكمه لما ملك الحكم أهل النقيصه
ثم قال لي ادن فكل وإن شئت فقم وقل فالتفت إلى تلميذه
وقلت له عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى لتخبرني من
ذا فقال هذا أبو زيد سراج الغرباء وتاج الأدباء فانصرفت
من حيث أتيت وقضيت العجب مما رأيت

المقامة الثانية الحلوانية بلد عراقي

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم ونيطت
بي العمائم بان اغشى معان الادب وانضي اليه ركاب الطلب
لاعلق منه بما يكون لي زينة بين الانام ومزنة عند الاوام
وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص لباسه اباحث
كل من جل وقل واستسقي الوبل والطل واتعلل بعسى
ولعل فلما حللت حلوان وقد بلوت الاخوان وسبرت
الاوزان وخبرت ما شان وزان الفيت بها ابا زيد السروجي
يتقلب في قوالب الانتساب ويخبط في اساليب الاكتساب
فيدعي تارة انه من آل ساسان ويعتزي مرة الى اقيال غسان
ويبرز طورا في شعار الشعراء ويلبس احيانا كبر الكبراء
بيد انه مع تلون حاله وتبين محاله يتحلى برواء وروايه
ومداراة ودرايه وبلاغة رائعه وبديهة مطاوعه
وآداب بارعه

اللهج الولع بالشيء

وقدم لاعلام العلوم فارعه وكان لمحاسن آلاته يلبس على علاته
ولسعة روايته يصبي الى رؤيته ولخلابة عارضته
عن معارضته ولعذوبة ايراده يسعف لمراده فتعلقت
باهدابه لخصائص آدابه ونافست في مصافاته لنفائس صفاته
فكنت به اجلو همومي واجتلي زماني طلق الوجه مليح
ارى قربه قربى ومغناه غنى ورؤيته ريا ومحياه حيا
ولبثنا على ذلك برهة ينشئ لي كل يوم نزهة ويدرأ عن قلبي
شبهة الى ان جحفت به يد الاملاق وكأس الفراق واغراه
عدم العراق بتطليق العراق ولفظته معاوز الارفاق
الى معاوز الآفاق ونظمه في سلك الرفاق خفوق رايه
الاخفاق فشحذ للرحلة غرار عزمته وظعن يقتاد القلب بازمته
فما راقني من لاقاني بعده ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ند بدر لفضله ولا ذو خلال حاز مثل خلاله
واستسر عني حينا لا اعرف له عرينا ولا اجد عنه مبينا فلما

العراق جمع عرق وهو القطعة من اللحم

العرين بيت الاسد

ابت من غربتي الى منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى
المتأدبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين فدخل ذو لحية
كثة وهيئة رثة فسلم على الجلاس وجلس في اخريات
الناس ثم اخذ يبدي ما في وطابه ويعجب الحاضرين بفصل
خطابه فقال لمن يليه ما الكتاب الذي تنظر فيه فقال
ديوان ابي عبادة المشهود له بالاجادة فقال هل عثرت له
فيما لمحته على بديع استملحته فقال نعم قوله

كانما يبسم عن لؤلؤ منضد او برد او اقاح

فانه ابدع في التشبيه المودع فيه فقال يا للعجب ولضيعة الادب
لقد استسمنت ذا ورم ونفخت في غير ضرم اين انت عن البيت
الفذ الجامع مشبهات الثغر وانشد

نفسي الفداء لثغر راق مبسمه وزانه شنب ناهيك من شنب
يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن اقاح وعن طلع وعن حبب

فاستجاده من حضر واستحلاه واستعاده منه واستملاه

وسئل لمن هذا البيت وهل حي قائله ام ميت فقال ايم
احق ان يتبع وللصدق حقيق بان يستمع انه يا قوم لنجيكم
منذ اليوم قال فكان الجماعة ارتابت بعزوته وابت
تصديق دعوته فتوجس ما هجس في افكارهم وفطن لما بطن
من استنكارهم فخاف ان يفرط اليه ذم فقرا ان بعض الظن
اثم ثم قال يا رواة القريض واساة القول المريض ان
خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء
الشك وقد قيل فيما غبر من الزمان عند الامتحان يكرم
الرجل او يهان وها انا قد عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت
حقيبتي على الاعتبار فابتدر احد من حضر وقال اعرف بيتا
لم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله فان اثرت
اختلاب القلوب فانظم على هذا الاسلوب وانشد

فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت وردا وعضت على العناب بالبرد

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب حتى انشد فاغرب

سألتها حين زارت نضو برقعها القاني وإيداع سمعي أطيب الخبر

فزحزحت شفقا غشى سنا قمر وساقطت لؤلؤا من خاتم عطر

فحار الحاضرون لبداهته واعترفوا بنزاهته فلما آنس استئناسهم بكلامه وانصبابهم إلى شعب إكرامه أطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين آخرين

وأقبلت يوم جد البين في حلل سود تعض بنان النادم الحصر

فلاح ليل على صبح أقلهما غصن وضرست البلور بالدرر

فحينئذ استسنى القوم قيمته واستغزروا ديمته وأجملوا عشرته وجملوا قشرته قال المخبر بهذه الحكاية فلما رأيت تلهب جذوته وتألق جلوته أمعنت النظر في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه فإذا هو شيخنا السروجي وقد أقمر ليله الدجوجي فهنأت نفسي بموردة وابتدرت استلام يده وقلت له ما الذي أحال صفتك حتى جهلت معرفتك وأي شيء شيب لحيتك حتى أنكرت حليتك فأنشأ يقول

وقع الشوائب شيب والدهر بالناس قلب

إن دان يوما لشخص ففي غد يتغلب

فلا تثق بوميض من برقه فهو خلب

واصبر إذا هو أضرى بك الخطوب وألب

فما على التبر عار في النار حين يقلب

ثم نهض مفارقا موضعه ومستصحبا القلوب معه

المقامة الثالثة الدينارية

روى الحارث بن همام قال نظمني وأخدانا لي ناد لم يخب فيه مادح ولا ذكت نار عناد بيننا نحن نتجاذب أطراف الأناشيد ونتوارد طرف الأسانيد إذ وقف بنا شخص عليه سمل وفي مشيته قزل فقال يا أخاير الذخاير وبشاير العشاير عموا صباحا وأنعموا اصطباحا وانظروا إلى من كان ذا ندي وندى وجدة وجدى وعقار وقرى ومقار وقرى فما زال به

قطوب الخطوب

وحروب الكروب وشرر شر الحسود وانتياب نوب السود
حتى صفرت الراحة وقرعت الساحة وغار المنبع ونبا
المربع وأقوى المجمع وأقض المضجع واستحالت الحال وأعول
العيال وخلت المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت
ورثى لنا الحاسد والشامت ولما دهمنا الدهر بالموقع والفقر
المدقع إلى أن احتذينا الوجى واغتذينا الشجى واستبطنا
الجوى وطوينا الأحشاء على الطوى واكتحلنا السهاد
واستوطنا الوهاد واستوطأنا القتاد وتناسينا الأقتاد
واستطبنا الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح فهل من
حر آس أو سمح مواس فوالذي استخرجني من قيلة لقد أمسيت
أخا عيلة لا أملك بيت ليلة قال الحارث بن همام فأويت
لمفاقره ولويت إلى استنباط فقره فأبرزت له دينارا وقلت
له اختبارا إن مدحته نظما فهو لك حتما فانبرى ينشد
في الحال من غير انتحال ❊ أكرم به أصفر راقت صفرته

جواب آفاق ترامت سفرته ❊ مأثورة سمعته وشهرته
قد أودعت سر الغنى أسرته ❊ وقارنت نجح المساعي خطرته
وحببت إلى الأنام غرته ❊ كأنما من القلوب نقرته
به يصول من حوته صرته ❊ وإن تفانت أو توانت عترته
يا حبذا نضاره ونضرته ❊ وحبذا مغناته ونصرته
كم آمر به استتبت إمرته ❊ ومترف لولاه دامت حسرته
وجيش هم هزمته كرته ❊ وبدر تم أنزلته بدرته
ومستشيط تتلظى جمرته ❊ أسر نجواه فلانت شرته
وكم أسير أسلمته أسرته ❊ أنقذه حتى صفت مسرته
وحق مولى أبدعته فطرته ❊ لولا التقى لقلت جلت قدرته
ثم بسط يده بعدما أنشده وقال أنجز حر ما وعد وسح
خال إذا رعد فنبذت الدينار إليه وقلت خذه غير مأسوف
عليه فوضعه في فيه وقال بارك اللهم فيه ❊ ثم شمر
للانثناء بعد توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة
غرام

سهلت علي إيناف اعتزام تجردت دينارا آخر وقلت له
هل لك في أن تذمه ثم تضمه فأنشد مرتجلا وشدا عجلا

تبا له من خادع مماذق ... أصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق ... زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق ... يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق ... ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق ... ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق ... وشر ما فيه من الخلائق
أن ليس يغني عنك في المضايق ... إلا إذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق ... ومن إذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق ... لا رأي في وصلك لي ففارق

بقذفه برميه

فقلت له ما أغزر وبلك فقال والشرط أملك فنفحته
بالدينار الثاني وقلت له عوذهما بالمثاني فألقاه في فمه
وقرنه بتوأمه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي ونداه

قال الحرث بن همام فناجاني قلبي بأنه أبو زيد وأن تعارجه لكيد
فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستقم في مشيك
فقال إن كنت ابن همام فحييت بإكرام وحييت بين كرام
فقلت أنا الحرث فكيف حالك والحوادث فقال أتقلب
في الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت
له فكيف ادعيت القزل وما مثلك من هزل فاستسر
بشره الذي كان تجلى ثم أنشد حين ولى

تعارجت لا رغبة في العرج ... ولكن لأقرع باب الفرج
وألقي حبلي على غاربي ... وأسلك مسلك من قد مرج
فإن لامني الناس قلت اعذروا ... فليس على أعرج من حرج

القزل السوء العرج

١٣٧
٢٧٢١

المقامة الرابعة
الدمياطية بلد بمصر

أخبر الحرث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياط ومياط
وأنا يومئذ مرموق الرخاء موموق الإخاء أسحب مطارف
الثراء

وأجنني عوادي السرّاء فرافقت صحبًا قد شقّوا عصا الشقاق
وارتضعوا أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في
الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنّا
مع ذلك نسير النجاء ولا نرحل إلا كلّ هوجاء وإذا نزلنا
منزلًا أو وردنا منهلًا اختلسنا اللبث ولم نطل المكث
فعنّ لنا إعمال الركاب في ليلة فتية الشباب غدافية
الإهاب فأسرينا إلى أن نضا الليل شبابه وسلت الصبح خضابه
فحين مللنا السرى وملنا إلى الكرى صادفنا أرضًا مخضلّة
الربى معتلّة الصبا فتخيّرناها مناخًا للعيس ومحطًّا للتعريس
فلمّا حلّها الخليط وهدأ بها الأطيط والغطيط سمعت صيّتًا
من الرجال يقول لسميره في الرحال كيف حكم سيرتك
مع جيلك وجيرتك فقال أرعى الجار ولو جار وأبذل الوصال
لمن صال وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط وأودّ الحميم
ولو جرّعني الحميم وأفضّل الشفيق على الشقيق وأفي للعشير

وإن لم يكافِ بالعشير وأستقلّ الجزيل للنزيل وأعمر الزميل بالجميل وأنزل
سميري منزلة أميري وأحلّ أنيسي محلّ رئيسي وأودع معارفي
عوارفي وأولي مرافقي مرافقي وألين مقالي للقالي وأديم
تسآلي عن السالي وأرضى من الوفاء باللفاء وأقنع من الجزاء
بأقلّ الأجزاء ولا أتظلّم حين أظلم ولا أنقم ولو لدغني
الأرقم فقال له صاحبه ويك يا بنيّ إنّما يضنّ بالضنين
وينافس في الثمين لكنّني لا أواتي غير المواتي ولا أسم
الآتي من العاتي ولا أصافي من يأبى إنصافي ولا أواخي من
يلغي الأواخي ولا أمالي من يخيّب آمالي ولا أبالي بمن صرم
حبالي ولا أداري من جهل مقداري ولا أعطي زمامي من يخفر
ذمامي ولا أبذل ودادي لأضدادي ولا أدع إيعادي للمعادي
ولا أغرس الأيادي في أرض الأعادي ولا أسمح بمواساتي
لمن يفرح بمساءتي ولا أرى التفاتي إلى من يشمت بوفاتي ولا
أخصّ بحبائي إلا أحبّائي ولا أستطبّ لدائي غير أودّائي
ولا أملّك

وخلتي من لا يسد خلتي ولا أصفي نيتي لمن يتمنى منيتي ولا أخلص
دعائي لمن لا يعمر وعائي ولا أفرغ ثنائي على من يفرغ إنائي
ومن حكم بأن أبذل وتخزن وألين وتخشن وأذوب وتجمد
وأذكو وتخمد لا والله بل نتوازن في المقال وزن
المثقال ونتحاذى في الفعال حذو النعال حتى نأمن التغابن
ويكفى التضاغن وإلا فلم أعلك وتعلني وأقلك وتستقلني
وأجترح لك وتجرحني وأسرح إليك وتسرحني وكيف
يجتلب إنصاف بضيم وأنى تشرق شمس مع غيم ومتى أصحب
ود بعسف وأي حر رضي بخطة خسف **ولله أبوك حيث يقول**

جزيت من أعلق بي وده ... جزاء من يبني على أسه
وكلت للخل كما كال لي ... على وفاء الكيل أو بخسه
ولم أخسره وشر الورى ... من يومه أخسر من أمسه
وكل من يطلب عندي جنى ... فما له إلا جنى غرسه
لا أبتغي الغبن ولا أنثني ... بصفقة المغبون في حسه

ولست بالموجب حقا لمن ... لا يوجب الحق على نفسه
ورب مذاق الهوى خالني ... أصدقه الود على لبسه
وما درى من جهله أنني ... أقضي غريمي الدين من جنسه
فاهجر من استغباك هجر القلى ... وهبه كالملحود في رمسه
والبس لمن في وصله لبسة ... لباس من يرغب عن لبسه
ولا ترج الود ممن يرى ... أنك محتاج إلى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيت ما دار بينهما تقت إلى أن
أعرف عينهما فلما لاح ابن ذكاء وألحف الجو الضياء غدوت
قبل استقلال الركاب ولا اغتداء الغراب وجعلت
أستقري صوب الصوت الليلي وأتوسم الوجوه بالنظر
الجلي إلى أن لمحت أبا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بردان
رثان فعلمت أنهما نجيا ليلتي وصاحبا روايتي
فقصدت كلف بما نثاهما إذ لم تأنثهما وأحتهما التحول
إلى رحلي والتحكم في كثري وقلي وطفقت أسير بين
السيارة فضلهما

وأهزّ الأعواد المثمرة لهما حتى غمرا بالنحل واتخذا من كلاب

وكنا بمعرس تتبين منه بنيان القرى وتتنور منه نيران

القرى فلما رأى أبو زيد امتلاء كيسه وانجلاء بؤسه قال

لي إن بدني قد اتسخ ودرني قد رسخ أفتأذن لي في

قنة بها لأستحم وأقضي هذا المهم فقلت إذا شئت فالسرعة

السرعة والرجعة الرجعة فقال ستجد مطلعي عليك

أسرع من ارتداد طرفك إليك ثم استن استنان الجواد

في المضمار وقال لابنه بدار بدار ولم نخل أنه غر وطلب

المفر فلبثنا نرقبه رقبة الأعياد ونستطلعه بالطلائع

والرواد إلى أن هرم النهار وكاد جرف اليوم ينهار

فلما طال أمد الانتظار ولاح للشمس اصفرار قلت

لأصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة

إلى أن أضعنا الزمان وبان أن الرجل مان فتأهبوا للظعن

ولا تلووا على خضراء الدمن ونهضت لأحدج راحلتي وأتحمل

لرحلتي

فوجدت أبا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي ساعدا ومساعدا دون البشر

لا تحسبن أني نأيت عن ملال أو أشر

لكنني مذ لم أزل ممن إذا طعم انتشر

قال فأقرأت الجماعة القتب ليعذره من كان عتب فعجبوا لأبيه

وتعوذوا من أفاعيه ثم إنا ظعنا ولم ندر من اعتاض عنا

المقامة الخامسة
الكوفية بلد عراقي

حكى الحارث بن همام قال سمرت بالكوفة في ليلة أديمها

وقمرها كتعويذ من لجين مع رفقة غذوا بلبان البيان

وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم إلا من يحفظ

عنه ولا يتحفظ منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه

فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر فلما

روق الليل البهيم ولم يبق إلا التهويم سمعنا من الباب نبأة

مستنبح

ثُمَّ تَلَتْهَا صَكَّةُ مُسْتَفْتِحٍ فَقُلْنَا مَنِ ٱلْمُلِمُّ فِي ٱللَّيْلِ ٱلْمُدْلَهِمِّ فَقَالَ

يَا أَهْلَ ذَا ٱلْمَغْنَى وُقِيتُمْ شَرَّا ... وَلَا لَقِيتُمْ مَا بَقِيتُمْ ضُرَّا
قَدْ دَفَعَ ٱللَّيْلُ ٱلَّذِي ٱكْفَهَرَّا ... إِلَى ذُرَاكُمْ شَعِثًا مُغْبَرَّا
أَخَا سِفَارٍ طَالَ وَٱسْبَطَرَّا ... حَتَّى ٱنْثَنَى مُحْقَوْقِفًا مُصْفَرَّا
مِثْلَ هِلَالِ ٱلْأُفْقِ حِينَ ٱفْتَرَّا ... وَقَدْ عَرَا فِنَاءَكُمْ مُعْتَرَّا
وَأَمَّكُمْ دُونَ ٱلْأَنَامِ طُرَّا ... يَبْغِي قِرًى مِنْكُمْ وَمُسْتَقَرَّا
فَدُونَكُمْ ضَيْفًا قَنُوعًا حُرَّا ... يَرْضَى بِمَا ٱحْلَوْلَى وَمَا أَمَرَّا
وَيَنْثَنِي عَنْكُمْ يَنُثُّ ٱلْبِرَّا

قَالَ ٱلْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَلَمَّا خَلَبَنَا بِعُذُوبَةِ نُطْقِهِ وَعَلِمْنَا مَا وَرَاءَ بَرْقِهِ ٱبْتَدَرْنَا فَتْحَ ٱلْبَابِ وَتَلَقَّيْنَاهُ بِٱلتَّرْحَابِ وَقُلْنَا لِلْغُلَامِ هَيَّا هَيَّا وَهَلُمَّ مَا تَهَيَّا فَقَالَ ٱلضَّيْفُ وَٱلَّذِي أَحَلَّنِي ذُرَاكُمْ لَا تَلَمَّظْتُ بِقِرَاكُمْ أَوْ تَضْمَنُوا لِي أَلَّا تَتَّخِذُونِي كَلًّا وَلَا تَتَجَشَّمُوا لِأَجْلِي أَكْلًا فَرُبَّ أَكْلَةٍ هَاضَتِ ٱلْآكِلَ وَحَرَمَتْهُ مَآكِلَ وَشَرُّ ٱلْأَضْيَافِ مَنْ سَامَ ٱلتَّكْلِيفَ وَآذَى ٱلْمُضِيفَ

خُصُوصًا أَذًى يَعْتَلِقُ بِٱلْأَجْسَامِ وَيُفْضِي إِلَى ٱلْأَسْقَامِ وَمَا قِيلَ فِي ٱلْمَثَلِ ٱلَّذِي سَارَ سَائِرُهُ خَيْرُ ٱلْعَشَاءِ سَوَافِرُهُ إِلَّا لِيُعَجَّلَ ٱلتَّعَشِّي وَيُجْتَنَبَ أَكْلُ ٱللَّيْلِ ٱلَّذِي يُعْشِي ٱللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَقِدَ نَارُ ٱلْجُوعِ وَتَحُولَ دُونَ ٱلْهُجُوعِ قَالَ فَكَأَنَّهُ ٱطَّلَعَ عَلَى إِرَادَتِنَا فَرَمَى عَنْ قَوْسِ عَقِيدَتِنَا لَا جَرَمَ أَنَّا آنَسْنَاهُ بِٱلْتِزَامِ ٱلشَّرْطِ وَأَثْنَيْنَا عَلَى خُلُقِهِ ٱلسَّبْطِ وَلَمَّا أَحْضَرَ ٱلْغُلَامُ مَا رَاجَ وَأَذْكَى بَيْنَنَا ٱلسِّرَاجَ تَأَمَّلْتُهُ فَإِذَا هُوَ أَبُو زَيْدٍ فَقُلْتُ لِصَحْبِي لِيَهْنِكُمُ ٱلضَّيْفُ ٱلْوَارِدُ بَلِ ٱلْمَغْنَمُ ٱلْبَارِدُ فَإِنْ يَكُنْ أَفَلَ قَمَرُ ٱلشِّعْرَى فَقَدْ طَلَعَ قَمَرُ ٱلشِّعْرِ أَوِ ٱسْتَسَرَّ بَدْرُ ٱلنَّثْرَةِ فَقَدْ تَبَلَّجَ بَدْرُ ٱلنَّثْرِ فَسَرَتْ حُمَيَّا ٱلْمَسَرَّةِ فِيهِمْ وَطَارَتِ ٱلسِّنَةُ عَنْ مَآقِيهِمْ وَرَفَضُوا ٱلدَّعَةَ ٱلَّتِي كَانُوا نَوَوْهَا وَثَابُوا إِلَى نَشْرِ ٱلْفُكَاهَةِ بَعْدَمَا طَوَوْهَا وَأَبُو زَيْدٍ مُكِبٌّ عَلَى إِعْمَالِ يَدَيْهِ حَتَّى إِذَا ٱسْتَرْفَعَ مَا لَدَيْهِ قُلْتُ لَهُ أَطْرِفْنَا بِغَرِيبَةٍ مِنْ غَرَائِبِ أَسْمَارِكَ أَوْ عَجِيبَةٍ مِنْ عَجَائِبِ أَسْفَارِكَ

فَقَالَ

لَقَدْ بَلَوْتُ مِنَ الْعَجَائِبِ مَا لَمْ يَرَهُ الرَّاؤُونَ وَلَا رَوَاهُ الرَّاوُونَ
وَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِهَا مَا عَايَنْتُهُ اللَّيْلَةَ قُبَيْلَ انْتِيَابِكُمْ وَمَصِيرِي
إِلَى بَابِكُمْ فَاسْتَخْبَرْنَاهُ عَنْ طُرْفَةِ مَرْآهُ فِي مَسْرَحِ مَسْرَاهُ

فَقَالَ إِنَّ مَرَامِيَ الْغُرْبَةِ لَفَظَتْنِي إِلَى هَذِهِ التُّرْبَةِ وَأَنَا ذُو
مَجَاعَةٍ وَبُؤْسَى وَجِرَابٍ كَفُؤَادِ أُمِّ مُوسَى فَنَهَضْتُ حِينَ سَجَا
الدُّجَى عَلَى مَا بِي مِنَ الْوَجَى لِأَرْتَادَ مُضِيفًا أَوْ أَقْتَادَ رَغِيفًا
فَسَاقَنِي حَادِي السَّغَبِ وَالْقَضَاءُ الْمُكَنَّى أَبَا الْعَجَبِ إِلَى
أَنْ وَقَفْتُ عَلَى بَابِ دَارٍ **فَقُلْتُ**

حُيِّيتُمُ يَا أَهْلَ هَذَا الْمَنْزِلِ ... وَعِشْتُمُ فِي خَفْضِ عَيْشٍ خَضِلِ
مَا عِنْدَكُمْ لِابْنِ سَبِيلٍ مُرْمِلِ ... نِضْوِ سُرًى خَابِطِ لَيْلٍ أَلْيَلِ
جَوِي الْحَشَا عَلَى الطَّوَى مُشْتَمِلِ ... مَا ذَاقَ مُذْ يَوْمَانِ طَعْمَ مَأْكَلِ
وَلَا لَهُ فِي أَرْضِكُمْ مِنْ مَوْئِلِ ... وَقَدْ دَجَا جُنْحُ الظَّلَامِ الْمُسْبَلِ
وَهُوَ مِنَ الْحَيْرَةِ فِي تَمَلْمُلِ ... فَهَلْ بِهَذَا الرَّبْعِ عَذْبُ الْمَنْهَلِ
يَقُولُ لِي أَلْقِ عَصَاكَ وَادْخُلِ ... وَابْشِرْ بِبِشْرٍ وَقِرًى مُعَجَّلِ

قَالَ فَبَرَزَ إِلَيَّ جُؤْذُرٌ عَلَيْهِ شَوْذَرٌ **وَقَالَ**

وَحُرْمَةِ الشَّيْخِ الَّذِي سَنَّ الْقِرَى ... وَأَسَّسَ الْمَحْجُوجَ فِي أُمِّ الْقُرَى
مَا عِنْدَنَا لِطَارِقٍ إِذَا عَرَا ... سِوَى الْحَدِيثِ وَالْمُنَاخِ فِي الذُّرَا
وَكَيْفَ يَقْرِي مَنْ نَفَى عَنْهُ الْكَرَى ... طَوًى بَرَى أَعْظُمَهُ لَمَّا انْبَرَى
فَمَا تَرَى فِيمَا ذَكَرْتُ مَا تَرَى

فَقُلْتُ مَا أَصْنَعُ بِمَنْزِلٍ قَفْرٍ وَمُنْزِلٍ حِلْفِ فَقْرٍ وَلَكِنْ يَا فَتَى مَا
اسْمُكَ فَقَدْ فَتَنَنِي فَهْمُكَ فَقَالَ اسْمِي زَيْدٌ وَمَنْشَأِي فَيْدٌ وَوَرَدْتُ
إِلَى هَذِهِ الْمَدَرَةِ أَمْسِ مَعَ أَخْوَالِي مِنْ بَنِي عَبْسٍ فَقُلْتُ لَهُ زِدْنِي
إِيضَاحًا عِشْتَ وَنُعِشْتَ فَقَالَ أَخْبَرَتْنِي أُمِّي بَرَّةُ وَهِيَ
كَاسْمِهَا بَرَّةٌ أَنَّهَا نَكَحَتْ عَامَ الْغَارَةِ بِمَاوَانَ رَجُلًا مِنْ
سَرَاةِ سَرُوجَ وَغَسَّانَ فَلَمَّا آنَسَ مِنْهَا الْإِثْقَالَ وَكَانَ بَاقِعَةً عَلَى مَا
يُقَالُ ظَعَنَ عَنْهَا سِرًّا وَهَلُمَّ جَرًّا فَمَا يُعْرَفُ أَحَيٌّ هُوَ فَيُتَوَقَّعُ
أَمْ أُودِعَ اللَّحْدَ الْبَلْقَعَ قَالَ أَبُو زَيْدٍ فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ الْعَلَامَاتِ
أَنَّهُ وَلَدِي وَصَدَفَنِي عَنِ التَّعَرُّفِ إِلَيْهِ صِفْرُ يَدِي فَفَصَلْتُ عَنْهُ
بِكَبِدٍ مَرْضُوضَةٍ

ودموع منضوضة فهل سمعتم يا أولي الألباب بأعجب من
هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده علم الكتاب فقال أثبتوها
في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الأوراق فما سير
مثلها في الآفاق فأحضرنا الدواة وأساودها ورقشنا
الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه عن مرتآه في استضمام
فتاه فقال إذا أتقل ظهري خف علي أن أكفل ابني فقلنا إن
كان يكفيك نصاب من المال ألفناه لك في الحال فقال
وكيف لا يقنعني نصاب وهل يحتقر قدره إلا مصاب قال
الراوي فالتزم منه كل منا قسطا وكتب له به قطا فشكر
عند ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع حتى إنا
استطلنا القول واستقللنا الطول ثم إنه نشر من وشي
السمر ما أزرى بالحبر إلى أن ظل التنوير وجشر الصبح
المنير فقضيناها ليلة غابت شوائبها إلى أن شابت ذوائبها
وكمل سعودها إلى أن انفطر عمودها ولما ذر قرن الغزالة

طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض الإحالات
فقد استطارت صدوع كبدي من الحنين إلى ولدي فوكلته
جناحه حتى سنيت نجاحه حين أحرز العين في صرته برقت
أسارير مسرته وقال لي جزيت خيرا عن خطى قدميك والله
خليفتي عليك فقلت أريد أن أتبعك لأشاهد ولدك النجيب
وأنافثه لكي يجيب فنظر إلي نظرة الخادع إلى المخدوع
وضحك حتى تغرغرت عيناه بالدموع ثم أنشد

يا من تظنى السراب ماء ... لما رويت الذي رويت
ما خلت أن يستسر مكري ... وأن يخيل الذي عنيت
والله ما برة بعرسي ... ولا لي ابن به اكتنيت
وإنما لي فنون سحر ... أبدعت فيها وما اقتديت
لم يحكها الأصمعي فيما ... حكى ولا حاكها الكميت
اتخذتها وصلة إلى ما ... تحويه كفي متى اشتهيت
ولو تعافيتها لحالت ... حالي ولم أحو ما حويت
فمهد العذر أو فسامح ... إن كنت أجرمت أو جنيت

ثم انه ودعني ومضى واودع قلبي جمر الغضا ∴

المقامة السادسة وهي المراغية بلد باذربيجان فيها رسالة

روى الحرث بن همام قال حضرت ديوان النظر بالمراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فاجمع من حضر من فرسان اليراعة وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح الانشا ويتصرف فيه كيف شا ولا خلف بعد السلف من يبتدع طريقة غرا او يفترع رسالة عذرا وان المفلق من كتاب هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كالعيال على الاوايل ولو ملك فصاحة سحبان وايل ∴ وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية وعند مواقف الحاشية فكان كلما شط القوم في شوطهم ونشروا العجوة والنجوة من نوطهم ينبي تخازر طرفه وتشامخ انفه انه مخرنبق لينباع ومجرنثم سيمد الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال فلما نثلت الكناين

وفات السكاين وركدت الزعازع وكف المنازع اقبل على الجماعة وقال لقد جيتم شيا ادا وجرتم عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات وافتتنتم بالميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ومعهم انعقدت المودات ∴ انسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما ابرزته طوارف القرايح وبرزت فيه الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسايل الموشحة والاساجيع المستملحة وهل للقدما اذا انعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد ∴ واني لاعرف الآن من اذا انشا وشى واذا عبر حبر وان اسهب اذهب واذا اوجز اعجز وان بده شده ومتى اخترع خرع فقال له ناظور الديوان وعين اوليك الاعيان من قارع هذه الصفاة وقريع هذه الصفات

فقال انه قرن مجالك وقرين جدالك واذا شئت فرض نجيبا
وادع مجيبا لترى عجيبا فقال له يا هذا ان البغاث بارضنا
لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والفضة متيسر
وقل من استهدف للنضال فخلص من الداء العضال او
استثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك
للمفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال كل امرئ اعرف
بوسم قدحه وسيسفر الليل عن صبحه فتناجت الجماعة
فيما يسبر به قليبه ويعجم فيه تقليبه فقال احدهم
ذروه في حصتي لارميه بحجر قصتي فانها عضلة العقد ومحك المنتقد
فقلدوه في هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج ابا نعامة
فاقبل على الكهل وقال اعلم اني والي هنا الوالي وازيح حالي
بالبيان الحالي وكنت استعين على تقويم اودي في بلدتي بسعة
ذات يدي مع قلة عددي فلما تقل جانبي وتقدد ذابي امته
من ازجاي برجائي ودعوته لاعادة دوائي وارواء نشر
للوفادة

واباح وعل بالافادة وراح فلما استنفذته في المراح الى المراح
على كاهل المراح قال قد ازمعت على الا ازودك تاتا
ولا اجمع لك شتاتا او تنشئ لي امام انتخالك رسالة
تودعها شرح حالك حروف احدى كلمتيها يعمها النقط
والاخرى لم يعجم قط وقد استانيت بياني حولا فما اجاد قولا
ونبهت فكره سنة فما ازداد الا سنة واستنعشت بقاطبة
الكتاب فكل منهم قطب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك
باليقين فات باية ان كنت من الصادقين فقال لقد استسعيت
يعبوبا واستسعبت اسكوبا واعطيت القوس باريها واسكنت
الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته واستدر رشحه
وقال له الق دواتك واقرب وخذ اداتك واكتب
نبت الله جيش سعودك يزين واللوم عن الدهر جفن حسودك يشين
بشر والاروع يبش والاحلاج يضيف والماحل يخيف
يغزي والمحك يقذي والعطا ينجي والمطال يشجي والدعا يقي والذم
ينقي

والخرق يجزي والإلطاط يخزي واطراح ذي الحرمة غي
ومحرمة بني الآمال بغي وما ضن إلا غبين ولا غبن إلا
ضنين ولا خزن إلا شقي ولا قبض راحة تقي وما فتئ وعدك
يفي وإلاؤك يشفي وحلمك يغضي وهلالك يضي والأول تغني
وأغلال وكن نشي وحسامك يفري وسؤددك يبني ومواصلة
يجتني وما دحك يقتني وسماحك يغيث وسماؤك تغيث ودرك
يفيض ورفدك يفيض ومؤملك شيخ حكاه في ولم يبق له
شيء أمكن نظر حرمه يثب ومدحك بني مصوغها يجب ومرامه
يخف وأواصره تشف وإطراؤه يجتذب وملامه يجتنب
ووراءه ضفف مسهم شظف وحصهم حيف وعمهم قشف
وهو في دمع يجيب وولهٍ يذيب وهمّ نضف وكمد نيف لمأمول
خيب وإهمال تشيب وعدو يثب وهدو تغيب ولم يزغ وده
فيغضب ولا خبث عوده فينقضب ولا نفث صدره فينفض
ولا نشز وصله فيبغض وما يقتضي كرمك نبذ حرمه فيبيض
أمله

تخفيف ألمه ويثبت حمدك بين عالمه بقيت لإماطة شجب
وإعطاء نشب ومداواة شجب ومراعاة نسب موصولا بخفض
وسرور غض ما غشي معهد غني أو خشي وهم عيي والسلام
فلما فرغ من إملاء رسالته وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته
أرضته الجماعة نطقاً وقولاً وأوسعته حفاوة وطولاً
ثم سئل من أي الشعوب نجاره وفي أي الشعاب وجاره فقال

غسان أسرتي الصميمه وسروج تربتي القديمه
فالبيت مثل الشمس إشراقاً ومنزله جسيمه
والربع كالفردوس مطيبة ومنزهة وقيمه
واهاً لعيش كان لي فيها ولذات عميمه
أيام أسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمه
أختال في برد الشباب وأجتلي النعم الوسيمه
لا أتقي نوب الزمان ولا حوادثه الملمه
فلو أن كرباً متلفاً لتلفت من كربي المقيمه
أو يفتدي عيش مضى لفديته بمهجتي الكريمه
فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمه

تقتاده بنت الصغار الى العظيمة والهضيمه
وتبري للسباع تنوشها ايدي الضباع المستضيمه
الذنب للايام لولا شؤمها لم تنب شيمه
ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

ثم ان حرمي بي الى الوالي فملأ فاه باللآلي وسامه ان ينضوي الى احشائه ويلي ديوان انشائه فاحسبه الحبا وظلفه عن الولاية الاباء **قال الراوي** وكنت عرفت عود شجرته قبل ايناع ثمرته وكدت انبه على قدره قبل استنارة بدره فاوحى الي بايماض جفنه الا اجرد عضبه من جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على رفض الولاية فاعرض متبسما وانشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه احب الي من المرتبه
لان الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبه
وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيد ما رتبه
فلا تخدعنك لموع السراب ولا تأت امرا اذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه وادركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة
البرقعيدية بلد بارض الموصل

حكى الحارث بن همام قال ازمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة او اشهد بها يوم الزينة فلما اظل بفرضه ونفله واجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلى وانتظم واخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد لعجوز كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من دعائه اجال خمسه في وعائه فابرز منه رقاعا قد كتبن بالوان الاصباغ في اوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وامرها بان تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه القت منهن لديه قال فاتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد اصبحت موقوذا باوجاع واوجال

مبتلى وممنوّ بمختال ومغتال
وخوّان من الاخوان قال لي لا فلا الي
وإعمال من العمال بي تضليع اعمال
فكم أصلى بأزجال وأمحال وترحال
وكم اخطر بي بالغرر ولا اخطر في بال
فليت الدهر لما جار أطفالي أطفالي
فلولا أن أشبالي غدت لي أغلالي
لما جهّزت آمالي الى آل ولا وال
ولا جرّرت أذيالي على مسحب أذلال
فمحرابي أحرى بي وأسمالي أسمى لي
فهل حرّ يرى تخفيف أثقالي بمثقال
ويطفي حرّ بلبالي بسربال وسربال

قال الحارث بن همام فلما استعرضت حلة الابيات
تقت الى معرفة ملحمها وراقم علمها فناجاني الفكر
بان الوصلة اليه العجوز وافتاني بان حلوان المعرف
يحوز فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا وتستكف
الاكف كفا فكفا وما انجح لها عناء ولا ترشح على
يدها اناء

فلما اكدى استعطافها وكدّها مطافها عاذت بالاسترجاع
ومالت الى ارتجاع الرقاع وانساها الشيطان ذكر رقعتي
فلم تعج الى بقعتي وآبت الى الشيخ باكية للحرمان شاكية
تحامل الزمان فقال انا لله وافوض امري الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله
لم يبق صاف ولا مصاف ولا معين ولا معين
وفي المساوي بدا التساوي فلا امين ولا ثمين
ثم قال لها منّي النفس وعدها واجمعي الرقاع وعدّيها
فقالت لقد عددتها لما استنفدتها فوجدت يد الضياع
قد غالت احدى الرقاع فقال تعسا لك يا لكاع الحرم وتلك
القنص والحبالة والقبس والذبالة انها لضغث على
ابالة فانصلتت تنشد مدرجها وتنشد مدرجها فلما
دانتني قرنت بالرقعة درهما وقطعة وقلت لها ان رغبت
في المشوف المعلم واشرت الى الدرهم فبوحي بالسر المبهم
وان ابيت ان تشرحي فخذي القطعة واسرحي فقالت دع
جدالك

وَسَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ فَاسْتَطْلَعْتُهَا طِلْعَ الشَّيْخِ وَبَلْدَتِهِ وَالشِّعْرِ
وَنَاسِجِ بُرْدَتِهِ فَقَالَتْ إِنَّ الشَّيْخَ مِنْ أَهْلِ سَرُوجَ وَهُوَ الَّذِي
وَشَّى الشِّعْرَ الْمَنْسُوجَ ثُمَّ خَطِفَتِ الدِّرْهَمَ خَطْفَةَ الْبَاشِقِ
وَمَرَقَتْ مُرُوقَ السَّهْمِ الرَّاشِقِ فَخَالَجَ قَلْبِي أَنَّ أَبَا زَيْدٍ هُوَ
الْمُشَارُ إِلَيْهِ وَتَأَجَّجَ كَرْبِي لِلْمُصَابِ بِنَاظِرَيْهِ وَآثَرْتُ أَنْ
أُفَاجِئَهُ وَأُنَاجِيَهُ لِأَعْجُمَ عُودَ فِرَاسَتِي فِيهِ وَمَا كُنْتُ لِأَصِلَ
إِلَيْهِ إِلَّا بِتَخَطِّي رِقَابِ الْجَمْعِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ فِي الشَّرْعِ وَعِفْتُ وخففت
أَنْ يَتَأَذَّى بِي قَوْمٌ أَوْ يَسْرِيَ إِلَيَّ لَوْمٌ فَسَدَّدْتُ مَكَانِي
وَجَعَلْتُ شَخْصَهُ قَيْدَ عِيَانِي إِلَى أَنِ انْفَضَّ الْحَلْقَةُ وَحَقَّتْ
الْوَثْبَةُ فَخَفَفْتُ إِلَيْهِ وَتَوَسَّمْتُهُ عَلَى انْتِحَامِ جَفْنَيْهِ
فَإِذَا الْمَعْنِيُّ الْمُعْتَبَهُ بِنْ عَبَّاسٍ وَفِرَاسَتِي فِرَاسَةُ إِيَاسٍ فَعَرَّفْتُهُ إياس معاوية كان شديد الفطنة
حِينَئِذٍ شَخْصِي وَآثَرْتُهُ بِأَحَدِ قُمُصِي وَأَهَبْتُ بِهِ إِلَى قُرْصِي
فَهَشَّ لِعَارِفَتِي وَعِرْفَانِي وَلَبَّى دَعْوَةَ رُغْفَانِي وَانْطَلَقَ وَيَدِي
زِمَامُهُ وَظِلِّي إِمَامُهُ وَالْعَجُوزُ ثَالِثَةُ الْأَثَافِي وَالرَّقِيبُ
الَّذِي لَا

يَخْفَى عَلَيْهِ خَافٍ وَلَمَّا اسْتَحْلَسَ وَكْنِي وَاخْتَضَرَتْهُ عُجَالَةُ مُكْتَنِي
قَالَ يَا حَارِثُ أَمَعَنَا ثَالِثٌ فَقُلْتُ لَيْسَ إِلَّا الْعَجُوزُ فَقَالَ مَا
دُونَهَا سِرٌّ مَحْجُوزٌ ثُمَّ فَتَحَ كَرِيمَتَيْهِ وَرَدَّدَ إِنْسَانَيْهِ فَإِذَا
سِرَاجَا وَجْهِهِ يَتَقِدَانِ كَأَنَّهُمَا الْفَرْقَدَانِ فَابْتَهَجْتُ بِسَلَامَةِ
بَصَرِهِ وَعَجِبْتُ مِنْ غَرَائِبِ سِيَرِهِ وَلَمْ يُلْفِنِي قَرَارٌ وَلَا طَاوَعَنِي
اصْطِبَارٌ حَتَّى سَأَلْتُهُ مَا دَعَاكَ إِلَى التَّعَامِي مَعَ سَيْرِكَ فِي
الْمَعَامِي وَجَوْبِكَ لِلْمَوَامِي وَإِيغَالِكَ فِي الْمَرَامِي فَتَظَاهَرَ
بِاللُّكْنَةِ وَتَشَاغَلَ بِاللُّهْنَةِ حَتَّى إِذَا اقْتَضَى وَطَرَهُ أَنْشَدَ
وَلَمَّا تَعَامَى الدَّهْرُ وَهُوَ أَبُو الْوَرَى عَنِ الرُّشْدِ فِي أَنْحَائِهِ وَمَقَاصِدِهْ
تَعَامَيْتُ حَتَّى قِيلَ إِنِّي أَخُو عَمًى وَلَا غَرْوَ أَنْ يَحْذُو الْفَتَى حَذْوَ وَالِدِهْ
ثُمَّ قَالَ لِيَ انْهَضْ إِلَى الْمَخْدَعِ فَأْتِنِي بِغَسُولٍ يُرَوِّقُ الطَّرْفَ وَيُنَقِّي
الْكَفَّ وَيُنَعِّمُ الْبَشَرَةَ وَيُعَطِّرُ النَّكْهَةَ وَيَشُدُّ اللِّثَةَ
وَيُقَوِّي الْمَعِدَةَ وَلْيَكُنْ نَظِيفَ الظَّرْفِ أَرِجَ الْعَرْفِ فَتِيَّ الدَّقِّ
نَاعِمَ السَّحْقِ يَحْسَبُهُ اللَّامِسُ ذَرُورًا وَيَخَالُهُ النَّاشِقُ
كَافُورًا

وأقرن به خلالا نفيسة الأصل محبوبة الوصل ابتغاء الشكل
مذ عاه إلى الأكل لها خافه الضب وصفا له الغضب وآله
الحرب ولدونه الغصن الرطب. قال فنهضت فيما أمر لا أدري
عنه الغمر ولم أهم إلى أنه قصد أن تخدع باختلاء المخدع
ولا ظننت أنه سخر من الرسول في استدعاء الخلالة والغسول
فلما عدت بالملتمس في أقرب من رجع النفس وجدت الجو قد
خلا والشيخ والشيخة قد أجفلا فاستشطت من مكره
غضبا وأوغلت في إثره طلبا فكان كمن قمس في الماء
أو عرج به إلى عنان السماء.

الغمر زنخ اللحم

المقامة الثامنة
المعرية بلد شامي

أخبر الحارث بن همام قال رأيت من أعاجيب الزمان أن تقدم خصمان
إلى قاضي معرة النعمان أحدهما قد ذهب منه الأطيبان
والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ أيد الله القاضي

كما أيد به المتقاضي إنه كانت لي مملوكة رشيقة القد أسيلة الخد
صبور على الكد تخب أحيانا كالنهد وترقد أطوارا في
المهد وتجد في تموز مس البرد ذات عقل وعنان وحد
وسنان وكف ببنان وفم بلا أسنان تلدغ بلسان نضناض
وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى ولكن
من غير حياض ناصحة خدعة خبأة طلعة مطبوعة على المنفعة
ومطواعة في الضيق والسعة إذا قطعت وصلت ومتى
فصلتها عنك انفصلت وطالما خدمتك فجملت وربما جنت
عليك فآلمت وململت. وإن هذا الفتى استخدمنيها لغرض
فأخدمته إياها بلا عوض على أن يجتني نفعها ولا يكلفها
إلا وسعها فأولج فيها متاعه وأطال بها استمتاعه
ثم أعادها وقد أفضاها وبذل عنها قيمة لا أرضاها.
فقال الحدث أما الشيخ فأصدق من القطا وأما الإفضاء
فعن خطأ وقد رهنته على أرش ما أوهنته مملوكا لي متناسب
الطرفين

متنسباً إلى أنفس نقياً من الدرن والشين يقارن محله سواد
العين يفشي الإحسان وينشي الاستحسان ويغذي الإنسان
ويتحامى اللسان إن سوّد جاد وإن وسم أجاد وإذا زوّد وهب
الزاد ومتى استُرفد زاد لا يستقر بمغنى وقلّما ينكح
إلا مثنى يسخو بموجوده ويسمو عند جوده وينقاد لقرينته
وإن لم تكن من طينته ويستمتع بزينته وإن لم يطمع
في لينته فقال لهما القاضي أما أن تبينا وإلا فأبينا فابتدر الغلام

وقال

أعارني إبرةً لأرفو أطماراً أعفاها البلى وسوّدها
فانخرمت من يدي على خطإٍ مني لما جذبت مقوّدها
فلم ير الشيخ أن يسامحني بأرشها إذ رأى تأوّدها
بل قال هات إبرةً تماثلها أو قيمةً بعد أن تجوّدها
واعتاق ميلي رهناً لديه ويا هنك بها سنّة تزوّدها
فالعين مرهى لرهنه ويدي تقصر عن أن تفك مروّدها
فاستبن ذا الشيخ عون مسكنتي وارث لمن لم يكن تعوّدها

7

فأقبل القاضي على الشيخ وقال إيه بغير تمويه فقال

أقسمت بالمشعر الحرام ومن ضمّ من الناسكين خيف منا
لو ساعفتني الأيام لم يرني مرتهناً ميله الذي رهنا
ولا تصدّيت أبتغي بدلاً من إبرة غالها ولا ثمنا
لكن قوس الخطوب ترشقني مصميات من ها هنا وهنا
وخبر حالي كخبر حالته ضرّاً وبؤساً وغربةً وضنى
قد عدل الدهر بيننا فأنا نظيره في الشقا وهو أنا
لا هو يستطيع فكّ مروده لما غدا في يديّ مرتهنا
ولا مجالي للضيق ذات يدي فيه اتساع للعفو حين جنى
فهذه قصتي وقصته فانظر إلينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي قصصهما وتبيّن خصاصتهما وتحصّصهما أبرز
لهما ديناراً من تحت مصلّاه وقال لهما اقطعا به الخصام
وافصلاه فتلقفه الشيخ دون الحدث واستخلصه على
وجه الجد لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم مبيتي وسهم

لي عن إذن ابني ولستُ عن الجوابِ بنقمٍ وخذ الميلَ تلك
فعزا الحدثُ لما حدث الكتاب وجمّ له القاضي وهيّج أسفه
على الدينار الماضي إلا أنه جبر بال الفتى وبلبال أبي زيد بأن
رضخ بماله وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرءا المحاكمات
ولا تحضراني في المحاكمات فما عندي كيس الغرامات فنهضا
من عنده فرحين برفده مفصحين بحمده والقاضي ما تخبو جمرة ضجره
منذ بضّ حجره ولا ينصل كمده منذ رشح جلمده حتى إذا
أفاق من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشربت حسّي
وثبّا بي حدسي أنهما صاحبا دهاء لا خصما ادّعاء فكيف
السبيل إلى سبرهما واستنباط سرّهما فقال له نحرير زمرته
وشرارة جمرته إنه لن يستخرج خبيئهما إلا بهما
فقفّاهما عونا يرجعهما إليه فلما مثلا بين يديه قال
لهما اصدقاني سنّ بكركما ولكما الأمان من تبعة مكركما
فأحجم الحدث واستقال وأقدم الشيخ وقال

أنا السروجي وهذا ولدي ... والشبل في المخبر مثل الأسد
وما تعدّت يده ولا يدي ... في إبرة يوما ولا في مرود
وإنما الدهر المسيء المعتدي ... مال بنا حتى غدونا نجتدي
كلّ ندي الراحة عذب المورد ... وكل جعد الكف مغلول اليد
بكل فن وبكل مقصد ... بالجدّ إن أجدى وإلا بالدد
لنجلبا لرشح إلى الحظ المزري ... وننفد العمر بعيش أنكد
والموت من بعد لنا بالمرصد ... إذ لم يفاجئ اليوم فاجا في غد

فقال له القاضي لله درّك فما أعذب نفثات فيك وواهاً لك
لولا خداع فيك وإني لك من المنذرين وعليك من الحذرين
فلا تماكر بعدها الحاكمين واتّق سطوة المتحكمين فما كل
مسيطر يقيل ولا كل أوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع
مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن حضرته
يلمع من جبهته ٭ قال الحارث بن همام فلم أر أعجب منها في
تصاريف الأسفار ولا قرأت مثلها في تصانيف الأسفار

المقامة التاسعة
الإسكندرية بلد بمصر

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب
إلى أن جبت ما بين فرغانة وغانة أخوض الغمار لأجني الثمار وأقتحم
الأخطار لكي أدرك الأوطار وكنت لقفت من أفواه العلماء
وثقفت من وصايا الحكماء أنه يلزم الأديب الأريب إذا دخل
البلد الغريب أن يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه
ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن في الغربة جور الحكام
فاتخذت هذا الأدب إماما وجعلته لمصالحي زماما فما
دخلت مدينة ولا ولجت عرينة إلا وامتزجت بحاكمها
امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الأجساد
بالأرواح ❁ فبينما أنا عند حاكم الإسكندرية في عشية
عرية وقد أحضر مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات
إذ دخل شيخ عفرية تعتله امرأة مصبية فقالت أيد الله
القاضي

وأدام به التراضي إني امرأة من أكرم جرثومة وأطهر أرومة
وأشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون
وخلقي نعم العون وبيني وبين جاراتي بون ❁ وكان أبي
إذا خطبني بناة المجد وأرباب الجد سكتهم وبكتهم
وعاف وصلتهم وصلتهم واحتج بأنه عاهد الله تعالى
بحلفة ألا يصاهر غير ذي حرفة فقيض القدر لنصبي و
وصبي أن حضر هذا الخدعة نادي أبي فأقسم بين رهطه أنه وفق
شرطه وادعى أنه طالما نظم درة إلى درة فباعهما
ببدرة فاغتر أبي بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله
فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن أناسي ونقلني إلى
كسره وحصلني تحت أسره وجدته قعدة جثمة وألفيته
ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي وأثاث وري
فما برح يبيعه في سوق الهضم ويتلف ثمنه في الخضم
والقضم إلى أن مزق ما لي بأسره وأنفق ما لي في عسره فلما
أنساني

طعم الراحة وعادت نشبي أنقى من الراحة قلت له يا هذا
إنه لا مخبأ بعد بؤس ولا عطر بعد عروس فانهض
لاكتساب بصناعتك واجتني ثمرة براعتك فزعم أن
صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر في الأرض من الفساد
ولي منه سخيلة كأنها خلالة وكلانا ما له بالة معة
ولا ترى له من الطوى دمعة وقد قدته إليك واحضرته
لديك لتعجم عود دعواه وتحكم بيننا بما أراك الله فأقبل
القاضي عليه وقال قد وعيت قصص عرسك فبرهن عن
نفسك وإلا كشفت عن لبسك وأمرت بحبسك فأطرق إطراق
الأفعوان ثم شمر للحرب العوان وقال

اسمع حديثي فإنه عجب يضحك من شرحه وينتحب
أنا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها والأصل غسان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب
أغوص في لجة البيان فأختار اللآلي منها وأنتخب
وأجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود محتطب
وآخذ اللفظ فضة فإذا ما صغته قيل إنه ذهب
وكنت من قبل أمتري نشبا بالأدب المقتنى وأحتلب
ويمتطي أخمصي لحرمته مراتبا ليس فوقها رتب
وطالما زفت الصلات إلي فلم أرض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به أكسد شيء في سوقه الأدب
لا عرض أبنائه يصان ولا يرقب فيهم إل ولا سبب
كأنهم في عراصهم جيف يبعد من نتنها ويجتنب
فحار لبي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب
وضاق ذرعي لضنك ذات يدي وساورتني الهموم والكرب
وقادني دهري المليم إلى سلوك ما يستشينه الحسب
فبعت حتى لم يبق لي لبد ولا بتات إليه أنقلب
وادنت حتى أثقلت سافي حمل دين من دونه العطب

ثم طويت الحشا على سغب خمسا فلما أمضني السغب
لم أر إلا جهازها عرضا أجول في بيعه وأضطرب
فجلت فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئب
وما تجاوزت إذ عبثت به حدا لتراضي فيحدث الغضب
فإن يكن غاظها توهمها أن بناني بالنظم تكتسب
أو أنني إذ عزمت خطبتها زخرفت قولي لينجح الأرب
فوالذي سارت الرفاق إلى كعبته تستحثها النجب
ما المكر بالمحصنات من خلقي ولا شعاري التمويه والكذب
ولا بناني مذ نشأت نبت بها إلا مواضي اليراع والكتب
بل فكرتي تنظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم لا السخب
وهذه الحرفة المشار إليها كنت أحبو بها وأجتلب
فأذن لشخصي كما أذنت لها ولا تراقب واحكم بما يجب
قال الراوي فلما أحكم ما شاده وأكمل إنشاده عطف
القاضي على الفتاة بعد أن شغف بالأبيات وقال أما إنه
قد ثبت

عند جميع الحكام وولاة الأحكام انقراض جيل الكرام وميل
الأيام إلى اللئام وإني لأخال بعلك صدوقا في الكلام
بريئا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح
عن المحض وبين مصداق النظم وتبين أنه معروق العظم
وإعنات المعذر ملأمة وحبس المعسر مأثمة وكتمان
الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي
إلى خدرك واعذري أبا عذرك ونهنهي من غربك وسلمي
لقضاء ربك ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما
من دراهمها قبصة وقال لهما تعللا بهذه العلالة وتنديا
بهذه البلالة واصبرا على كيد الزمان وكده فعسى الله
أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فنهضا وللشيخ فرحة
المطلق من الإسار وهزة الموسر بعد الإعسار قال الراوي
وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه
وكدت أفصح عن أفانين بيانه وأثمار أفنانه ثم أشفقت من عثور
القاضي

على مبتغاته ونبز بتر لسانه فلا يزيني عند عرفانه أن يريه
لإحسانه فأحجمت عن القول إحجام المرتاب وطويت
ذكره كطي السجل للكتاب إلا أني قلت بعدما انفصل
ووصل إلى ما وصل لو أن لنا من ينطلق في أثره لأتانا
بقص خبره وبما ينشر من حبره فأتبعه القاضي أحد أمنائه
وأمره بالتجسس على أنبائه فما لبث أن رجع متدهدها
وتفهقر مقهقها فقال له القاضي مهيم يا أبا مريم فقال لقد
عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لي طربا فقال له ماذا رأيت
وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه
ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول

كدت أصلى ببلية من وقاح شمري
وأزور السجن لولا حاكم الإسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما فاء
إلى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم
بحرمة عبادك

المغترين حرم حبسي على المتأدبين ثم قال لذلك الأمين علي به
فانطلق مجدا في طلبه ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال
القاضي أما إنه لو حضر لكفي الحذر ثم لأوليته ما هو
أولى ولأريته أن الآخرة خير له من الأولى قال الحارث بن همام
فلما رأيت صغو القاضي إليه وفوت ثمرة التنبيه عليه
غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار أو الكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة
الرحبية بلد فراتي

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة
طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة مشمعلة فلما
ألقيت بها المراسي وشددت أمراسي وبرزت من الحمام بعد
تسبيت راسي رأيت غلاما قد أفرع في قالب الجمال وألبس من الحسن
حلة الكمال وقد اعتلق شيخ بردنه يدعي أنه فتك بابنه
والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما
متطاير الشرار

والزحام عليهما يجمع بين الاجياد والاشرار الى ان تراضيا
بعد استشطاط اللدد بالتنافر الى والي البلد وكان ممن
يزن بالهنات ويغلب حب البنين على البنات فاسرعا الى
ندوته كالسليك في عدوته فلما حضراه جدد الشيخ
دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام وقد فتنه
بمحاسن غرته وطر عقله بتصفيف طرته فقال انها افيكة
افاك على غير سفاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال
فقال الوالي للشيخ ان شهد لك عدلان من المسلمين والا
فاستوف منه اليمين فقال الشيخ انه جدله خاسيا وافاح دمه
خاليا فانى لي شاهد ولم يكن ثم مشاهد ولكن ولني تلقينه
اليمين ليبين لك ايصدق ام يمين فقال له انت المالك لذلك
مع وجدك المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام
قل والذي زين الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب
بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والانوف بالشمم

والخدود باللهب والثغور بالشنب والبنان بالترف والخصور
بالهيف انني ما قتلت ابنك سهوا ولا عمدا ولا جعلت هامته
لسيفي غمدا والا فرمى الله جفني بالعمش وخدي بالنمش وطرتي
بالجلح وطلعي بالبلح ووردتي بالبهار ومسكتي بالبخار وبدري
بالمحاق وفضتي بالاحتراق وشعاعي بالظلام ودواتي بالاقلام
فقال الغلام الاصطلاء بالبلية ولا الايلاء بهذه الالية
والانقياد للقود ولا الحلف بما لم يحلف به احد وابى
الشيخ الا تجريعه اليمين التي اخترعها وامر له جرعها
فلم يزل التلاحي بينهما يستعر ومحجة التراضي تعور والغلام في
ضمن تابيه يخلب الوالي بتلويه ويطمعه في ان يليه الى
ان ران هواه على قلبه ولات بلبه وسول له الوجد الذي
تيمه والطمع الذي توهمه ان يخلص الغلام ويستخلصه
وان ينقذه من حبالة الشيخ ثم يقتنصه فقال للشيخ هل لك
فيما هو اليق بالاقوى واقرب الى التقوى فقال الام تشير
لاقفيه

ولا أنفد فيه فقال أرى أن تقصر عن القيل والقال وتقتصر
على ما به مستقل لأتحملن منها بعضا وأجتبي لك الباقي عرضا
فقال الشيخ ما بيني خلاف ولا يكن لوعدك إخلاف فنقده
الوالي عشرين ووزع على وزعته تكملة خمسين ورق ثوب
الأصيل وانقطع لأجله صوب التحصيل فقال له خذ ما راج
ودع اللجاج وعلي في غد أن أتوصل إلى أن ينض لك الباقي
ويتحصل فقال الشيخ أفعل ذلك على أن ألازمه ليلتي ويرعاه
إنسان مقلتي حتى إذا أعفى بعد إسفار الصبح بما بقي من مال الصلح
تخلصت قائبة من قوب وبرئ براءة الذيب من دم ابن يعقوب
فقال له الوالي ما أراك سمت شططا ولا رمت فرطا
قال الحارث بن همام فلما رأيت حجج الشيخ كالحجج السريجية
علمت أنه علم السروجية فلبثت إلى أن زهرت نجوم الظلام
وانتثرت عقود الزحام ثم قصدت فناء الوالي فإذا الشيخ
للفتى كالي فنشدته الله أهو أبو زيد فقال إي ومحل الصيد

فقلت من هذا الغلام الذي هفت له الأحلام فقال هو في النسب فرخي
وفي المكسب فخي فقلت له فهلا اكتفيت بمحاسن فطرته وكفيت
الوالي الافتتان بطرته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما
تقنصت الخمسين ثم قال بت الليلة عندي لنطفئ نار الجوى
ونبل الهوى من النوى فقد أجمعت على أن أنسل بسحرة مرهكي
قلب الوالي نار حسرته قال فقضيت الليلة معه في سمر أنق من
من حديقة زهر وحلة تحبر حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان
وآن انبلاج الصبح وحان ركب متن الطريق وأذاق الوالي
عذاب الحريق وسلم إلي ساعة الفراق رقعة محكمة الإلصاق
وقال ادفعها إلى الوالي إذا أسلت القرار وتحقق منا الفرار
ففضضتها فعل المتلمس من مثل صحيفة المتلمس فإذا فيها مكتوب
قل لوال غادرته بعد بيني نادما سادما بعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه لبه واصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين أعمى هواه عيناه فانثنى بلا عينين

خفض الحزن يا معنّى فما يجدي طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جل لدى المسلمين رزء الحسين
فلقد اعتضت عنه فهما وحزما واللبيب الأديب يبغي ذين
واغضض من بعدها المطامع واعلم ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ ولو كان محدقا باللجين
ولكم من سعى لينصاد فاصطيد ولم يلق غير خفي حنين
فتبصر ولا تشم كل برق رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام تكتسي فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى اتباع هوى النفس وبذر الهوى طموح العين

قال الراوي فمزقت رقعته شذر مذر ولم أبال أعذل أم عذر

المقامة الحادية عشرة
الساوية بلد فارسي فيها موعظة

حكى الحارث بن همام قال آنست من قلبي القساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور في مداواتها بزيارة القبور فلما صرت

إلى محلة الأموات وكفات الرفات رأيت جمعا على قبر يحفر ومجنوز يقبر فانحزت إليهم متفكرا في المآل ومتذكرا من درج من الآل فلما ألحدوا الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصرا بهراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فادكروا أيها الغافلون وشمروا أيها المقصرون وأحسنوا النظر أيها المتبصرون ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا تعبأون بنوازل الأحداث ولا تستعدون لنزول الأجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون بنعي يسمع ولا ترتاعون لإلف يفقد ولا تلتاعون للمناحة تعقد يشيع أحدكم نعش الميت وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلي بين وديده ودوده ثم يخلو بمزماره وعوده طالما أسيتم على انثلام الحبة وتناسيتم اخترام الأحبة واستكنتم لإعراض العسرة وا

بانقراض الأسرة وتضحكم عند الدفن ولا تضحككم ساعة
الدفن وتحتشمون خلف الجنائز ولا تحترزكم يوم تبيض الجوائز
وأعرضتم عن تعديد النوادب إلى إعداد المآدب وعن
تحرق الثواكل إلى التأنق في المآكل لا تبالون من هو بالك
ولا تخطرون ذكر الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام
بذمام أو حصلتم من الزمان على أمان أو وثقتم بسلامة
الذات أو تحققتم مسالمة كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون

ثم أنشد

أيا من يدعي الفهم إلى كم يا أخا الوهم تعبي الذنب والذم
وتخطي الخطأ الجم

أما بان لك العيب أما أنذرك الشيب وما في نصحه ريب
ولا سمعك قد صم

أما نادى بك الموت أما أسمعك الصوت أما تخشى من الفوت
فتحتاط وتهتم

فكم تسدر في السهو وتختال من الزهو وتنصب إلى اللهو
كأن الموت ما عم

وحتام تجافيك وإبطاء تلافيك طباعا جمعت فيك
عيوبا شملها انضم

إذا أسخطت مولاك فما تقلق من ذاك وإن أخفق مسعاك
تلظيت من الهم

وإن لاح لك النقش من الأصفر تهتش وإن مر بك النعش
تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر وتعتاص وتزور وتنقاد لمن غر
ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس وتحتال على الفلس وتنسى ظلمة الرمس
ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ لما طاح بك اللحظ ولا كنت إذا الوعظ
جلا الأحزان تغتم

ستذري الدم لا الدمع إذا عاينت لا جمع يقي في عرصة الجمع
ولا خال ولا عم

كأني بك تنحط إلى اللحد وتنغط وقد أسلمك الرهط
(تنزل — تسنق — الجمع)
إلى أضيق من سم (ثقب الإبرة)
هنالك الجسم ممدود ليستأكله الدود إلى أن ينخر العود
ويمسي العظم قد رم (تفتت)
ومن بعد فلا بد من العرض إذا اعتد صراط جسره مد
على النار لمن أم (قصد)
فكم من مرشد ضل ومن ذي عزة ذل وكم من عالم زل
وقال الخطب قد طم (عظم)
فبادر أيها الغمر لما يحلو به المر فقد كاد يهي العمر
(الجاهل — يسقط)
وما أقلعت عن ذم
ولا تركن إلى الدهر وإن لان وإن سر فتلفى كمن اغتر
(تسكن — انخدع)
بأفعى تنفث السم
وخفض من تراقيك فإن الموت لاقيك وسار في تراقيك
(يدري — وطى — ساقيك — جمع ترقوه)
وما ينكل إذ هم (عزم)

وجانب صعر الخد إذا ساعدك الجد وزم اللفظ إن ند
(الصعر إمالة الخد تكبرا — اجمع — شرد)
فما أسعد من زم
ونفس عن أخ البث وصدقه إذا أنث ورم العمل الرث
(فرج — الشكوى — أصلح — المفسود)
فقد أفلح من رم
ورش من ريشه انحص بما عم وما خص ولا تأس على النقص
(أجعل له ريشا — سقط — تحزن)
ولا تحرص على اللم
وعاد الخلق الرذل وعود كفك البذل ولا تستمع العذل
(الدني — اللوم)
ونزهها عن الأكل الطعم (تخم)
وزود نفسك الخير ودع ما يعقب الضير وهيئ مركب السير
وخف من لجة اليم (البحر)
بذا أوصيت يا صاح وقد بحت كمن باح فطوبى لفتى راح
(صاحب — ذا الطيب)
بآدابي يأتم
(المكر — خداع)
ثم حسر دونه عن ساعد شزير الأسر فقد شد عليه جبائر
(زند — القوة — كسر كمه)
لا الكسر متعرضا للاستماحة في معرض الوقاحة فأحلب به أو لبك
(الاستعطا)

لما دحى أترع كمه وملا ثم انحدر من الربوة جذلا بالحبوة

قال الراوي فجاذبته من ورائه حاشية ردائه فالتفت

إلي مستسلما وواجهني مسلما فاذا هو ابو زيد بعينه ومينه

فقلت له الى كم يا ابا زيد افانينك في الكيد لينحاش لك الصيد

ولا تعبأ بمن ذم

فأجاب من غير استحياء ولا ارتياء وقال

تبصر ودع اللوم وقل لي هل ترى اليوم فتى لا يقمر القوم

متى ما دسته تم

فقلت له بعدا لك يا شيخ النار وآملة العار فما مثلك

في طلاوة علانيتك وخبث نيتك الا مثل روث مفضض

او كنيف مبيض ثم تفرقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق

ذات الشمال يا وحت مهب الجنوب وناوح مهب الشمال

المقامة الثانية عشرة الدمشقية بلد شامي

حكى الحرث بن همام قال شخصت عن العراق الى الغوطة وانا ذو جرد

مربوطة وجدة مغبوطة يلهيني خلو الذرع ويزدهيني

حفول الضرع فلما بلغتها بعد شق النفس وانضاء العنس

الفيتها كما تصفها الألسن وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ

الأعين فشكرت يد النوى وجريت طلقا مع الهوى وطفقت

أفض بها ختوم الشهوات وأجتني قطوف اللذات الى ان

شرع سفر في الإعراق وقد استفقت من الإغراق فعادني

عيد من تذكار الوطن والحنين الى العطن فقوضت خيام

الغيبة وأسرجت جواد الأوبة ولما تأهبت الرفاق واستتب

الاتفاق أحجمنا عن المسير دون استصحاب الخفير فرُدناه

من كل قبيلة وأعملنا في تحصيله ألف حيلة فأعوز وجوده

في الأحياء حتى خلنا انه ليس من الأحياء فحارت لعوزه

عزوم السيارة وانتدوا بباب جيرون للاستشارة

فما زالوا بين عقد وحل وشد وسحل الى ان نفد التناجي

وقنط الراجي

وكان جدّ بهم شخص ميسمه ميسم الشبّان وشارته شارة
الرهبان وبيده سبحة النسوان وفي عينيه ترجمة النشوان
وقد قيّد لحظه بالجمع وأرهف أذنه لاستراق السمع
فلمّا آنس انكفاءهم وقد برح له خفاؤهم قال لهم يا قوم
ليفرخ كربكم وليأمن سربكم فسأخبركم بما يسرّوا روعكم
ويبدّدوا طوعكم فقال الراوي فاستطلعنا منه طلع الخفاء
واستنبأناه الجعالة عن السفارة فزعم أنّها كلمات لقّنها
في المنام ليحترس بها من كيد الأنام فجعل بعضنا يومض إلى
بعض ويقلّب طرفيه بين خفض وغضّ وتبيّن له أنّا استضعفنا
الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم اتّخذتم جدّي عبثًا
وجعلتم تبري خبثًا ولطالما جبت بها مخاوف الأقطار
وولجت مفاحم الأخطار فغنيت بها عن مصاحبة خفير
واستصحاب جفير ثمّ إنّي سأنفي ما رابكم واستسلّ الحذر الذي
نابكم بأن أوافقكم في البداوة وأنافقكم في السماوة فإن
صدقكم

وعليّ ما جدّ واسعري واسعدوا جدّي وإن كذبكم فمي فمزّقوا أدمي
وأريقوا دمي قال الحارث بن همّام فألهمنا تصديق رؤياه بتحقيق
ما رواه فنزعنا عن مجادلته واستهمنا على معادلته
وفصمنا بقوله عرى الريث وألغينا اتّقاء العائث والعابث
ولمّا عكمت الرحال وأزف الترحال استنزلنا كلماته
الراقية لنجعلها الواقية الباقية فقال ليقرأ كلّ منكم
أمّ القرآن كلّما أظلّ الملوان ثمّ ليقل بلسان خاضع وصوت
خاشع اللهمّ يا محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي
المخافات ويا كريم المكافاة ويا موئل العفاة ويا وليّ
العفو والمعافاة صلّ على محمّد خاتم أنبيائك ومبلّغ أنبائك
وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته وأعذني من نزغات
الشياطين ونزوات السلاطين وإعنات الباغين ومعاداة
العادين وعدوان المعادين وغلب الغالبين
وسلب السالبين وحيل المحتالين وغيلة المغتالين وأجرني
اللهمّ

من جور المجاورين ومجاورة الجائرين وكفف عني أكف الغاصبين
وأخرجني من ظلمات الظالمين وأدخلني برحمتك
في عبادك الصالحين اللهم احفظني في غربتي وغيبتي
وأوبتي ونجعتي ورجعتي وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي
واحفظني في نفسي ونفائسي وعرضي وعرضي وعدتي
وسكني ومسكني وحولي وحالي ومالي ومآلي ولا تحوجني
إلى تغيير ولا تسلط علي مغيرا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمنك
ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني إلى كلاءة
غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني رفاهية غير
واهية واكفني مخاشي الأدواء واكفني غواشي الألاء
ولا تظفر بي أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء ثم أطرق لا
يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا قد أبلسته خشية
أو أخرسته غشية ثم أقنع رأسه وصعد أنفاسه وقال
أقسم بالسماء

ووجهتي ووجاهتي

ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج
والبحر العجاج والهواء والعجاج إنها لمن أيمن العوذ
وأغنى عنكم من لابسي الخوذ من درسها عند ابتسام الفلق
لم يشفق من خطب إلى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق
أمن ليلته من السرق قال فتلقفناها حتى أتقناها وتدارسناها
لكي لا ننساها ثم سرنا نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة
ونحمي الحمولات بالكلمات لا بالكماة وصاحبنا يتعهدنا
بالعشي والغداة ولا يستنجز منا العدات حتى إذا عاينا أطلال
عانة قال لنا الإعانة الإعانة فأحضرناه المعلوم والمكتوم
وأريناه المعكوم والمختوم وقلنا له اقض ما أنت قاض فما
تجد فينا غير راض فما استخفه سوى الخف ولا جلى لعينه
غير العين فاحتمل منهما وقر بعيره ونأى بما يسد فقره ثم
خالسنا مخالسة الطرار وانصلت منا انصلات الفرار
فأوحشنا فراقه وأدهشنا امراقه ولم نزل ننشد عنه كل ناد
ونستخبر عنه

كُلِّ مُغْوٍ وَهادٍ اِلَى اَنْ قِيلَ اِنَّهُ مُذْ دَخَلَ عانَةَ ما زايَلَ الحانَةَ فَاَغْرانِي خُبْثُ هٰذا القَوْلِ بِسَبْكِهِ وَالاِنْسِلاكِ فِيما لَسْتُ مِنْ سِلْكِهِ فَادَّلَجْتُ اِلَى الدَّسْكَرَةِ فِي هَيْئَةٍ مُنْكَرَةٍ فَاِذا الشَّيْخُ فِي حُلَّةٍ مُمَصَّرَةٍ بَيْنَ دِنانٍ وَمَعْصَرَةٍ وَحَوْلَهُ سُقاةٌ تَبْهَرُ وَآسٌ وَعَبْهَرٌ وَمِزْمارٌ وَمِزْهَرٌ وَهُوَ تارَةً يَسْتَبْزِلُ الدِّنانَ وَطَوْرًا يَسْتَنْطِقُ العِيدانَ وَدَفْعَةً يَسْتَنْشِقُ الرَّيْحانَ وَاُخْرَى يُغازِلُ الغِزْلانَ فَلَمّا عَثَرْتُ عَلَى لَبْسِهِ وَتَفاوُتِ يَوْمِهِ مِنْ اَمْسِهِ قُلْتُ لَهُ اَوْلَى لَكَ يا مَلْعُونُ اَنَسِيتَ يَوْمَ جَيْرُونَ فَضَحِكَ مُسْتَغْرِبًا ثُمَّ اَنْشَدَ مُطْرِبًا

لَزِمْتُ السِّفارَ وَجُبْتُ القِفارَ وَعِفْتُ النِّفارَ لِاَجْنِيَ الفَرَحْ
وَخُضْتُ السُّيُولَ وَرُضْتُ الخُيُولَ لِجَرِّ ذُيُولِ الصِّبَى وَالمَرَحْ
وَمِطْتُ الوَقارَ وَبِعْتُ العَقارَ لِحَسْوِ العُقارِ وَرَشْفِ القَدَحْ
وَلَوْلا الطِّماحُ اِلَى شُرْبِ راحٍ لَما كانَ باحَ فَمِي بِالمُلَحْ
وَلا كانَ ساقَ دَهائِي الرِّفاقَ لِاَرْضِ العِراقِ بِحَمْلِ السُّبَحْ
فَلا تَغْضَبَنَّ وَلا تَصْخَبَنَّ وَلا تَعْتِبَنَّ فَعُذْرِي وَضَحْ

وَلا تَعْجَبَنَّ لِشَيْخٍ اَبَنَّ بِمَغْنًى اَغَنَّ وَدَنٍّ طَفَحْ
فَاِنَّ المُدامَ تُقَوِّي العِظامَ وَتَشْفِي السَّقامَ وَتَنْفِي التَّرَحْ
وَاَصْفَى السُّرُورِ اِذا ما الوَقُورُ اَماطَ سُتُورَ الحَيا وَاطَّرَحْ
وَاَحْلَى الغَرامِ اِذا المُسْتَهامُ اَزالَ اكْتِتامَ الهَوَى وَافْتَضَحْ
فَبُحْ بِهَواكَ وَبَرِّدْ حَشاكَ فَزَنْدُ اَساكَ بِهِ قَدْ قَدَحْ
وَداوِ الكُلُومَ وَسُلَّ الهُمُومَ بِبِنْتِ الكُرُومِ الَّتِي تُقْتَرَحْ
وَخُصَّ الغَبُوقَ بِساقٍ يَسُوقُ بِلا ما المَشُوقُ اِذا ما طَمَحْ
وَشادٍ يُشِيدُ بِصَوْتٍ يُمِيدُ جِبالَ الحَدِيدِ لَهُ اِنْ صَدَحْ
وَعاصِ النَّصِيحَ الَّذِي لا يُبِيحُ وِصالَ المَلِيحِ اِذا ما سَمَحْ
وَجُلْ فِي المَجالِ وَلَوْ بِالمُحالِ وَدَعْ ما يُقالُ وَخُذْ ما صَلَحْ
وَفارِقْ اَباكَ اِذا ما اَباكَ وَمُدَّ الشِّباكَ وَصِدْ مَنْ سَنَحْ
وَصافِ الخَلِيلَ وَنافِ البَخِيلَ وَاَوْلِ الجَمِيلَ وَوالِ المِنَحْ
وَلُذْ بِالمَتابِ اَمامَ الذَّهابِ فَمَنْ دَقَّ بابَ كَرِيمٍ فَتَحْ

فَقُلْتُ لَهُ بَخٍ بَخٍ لِبِرِّ اَبِيكَ وَاُفٍّ وَتُفٍّ لِغَوايَتِكَ فَبِاللّٰهِ مِنْ اَيِّ الاَعْشابِ عِيصُكَ

فقد أعضل عليّ عويصك فقال ما أجاب أن أفصح عنّي ولكنّي ساكني

أنا أطروفة الزّمان وأعجوبة الأمم
وأنا الحُوَّل الّذي احتال في العرب والعجم
غير أنّي ابن حاجةٍ هاضه الدّهر واهتضم
وأبو صبيةٍ بدوا مثل لحمٍ على وضم
وأخو العيلة المعيل إذا احتال لم يلم

قال الرّاوي فعرفت حينئذٍ أنّه أبو زيدٍ ذو الرّيب والعيب وجه الشّيب وساءني عظم تمرّده وقبح توردّه فقلت له بلسان الأنفة وإدلال المعرفة ألم يأن لك يا شيخنا أن تقلع عن الخنا فتنمّر وزمجر وتنكّر وفكّر ثمّ قال إنّها ليلة مراحٍ لا ليلة تلاحٍ ونهزة شرب راحٍ لا كفاحٍ فدع عمّا بدا إلى أن نلتقي غداً ففارقته فرقاً من عربدته لا تعلّقاً بعدته وبتّ ليلتي لابساً جلباب النّدم على نقل خطى القدم إلى ابنة الكرم لا الكرم وعاهدت الله سبحانه ألّا أحضر بعدها حانة خمّارٍ ولو أعطيت ملك بغداد وأن لا أشهد معصرة الشّراب ولو رددت على عصر الشّباب

ثمّ إنّا رحّلنا العيس وقت التّغليس وخلّفنا بين التّشحّن أبي نفع بن إبليس

المقامة الثّالثة عشرة البغداديّة بلد عراقي

روى الحارث بن همّامٍ قال ندوت بضواحي الزّوراء مع مشيخةٍ لا يعلق لهم مبارٍ بغبارٍ ولا يجري معهم ممارٍ في مضمارٍ فأفضنا في حديثٍ يفضح الأزهار إلى أن نصّفنا النّهار فلمّا غاض درّ الأفكار وصبت النّفوس إلى الأوكار لمحنا عجوزاً تقبل من البعد وتحضر إحضار الجرد وقد استتلت صبيةً أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذّبت إذ رأتنا أن عرتنا حتّى إذا ما حضرتنا قالت حيّا الله المعارف وإن لم يكنّ معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الأرامل أنّي من سروات القبائل وسريّات العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلّون الصّدر ويسيرون القلب ويمطون الظّهر ويولون اليد فلمّا أردى الدّهر الأعضاد وفجع بالجوارح وانقلب ظهراً لبطن

نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة
وصلد الزند ووهت اليمين وبان المرافق ولم يبق لنا ثنية
ولا ناب فمذ اغبرّ العيش الأخضر وازورّ المحبوب الأصفر
اسودّ يومي الأبيض وابيضّ فودي الأسود حتى رثى لي العدو
الأزرق فحبذا الموت الأحمر وتلوي من ترون عينه فراره
وترجمانه اصفراره قصوى بغية أحدهم بُردة وقصارى أمنيته
بَرْدة وكنت آليت أن لا أبذل الحرّ إلا للحر ولو أني متّ من
الضر وقد ناجتني القرونة بأن توجد عندكم المعونة وآذنتني
فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء **فنضّر الله** امرأً أبرّ
قسمي وصدّق توسّمي ونظر إليّ بعين يقذيها الجمود ويقذيها
الجود **قال الراوي** فهمنا لبراعة عبارتها وملح استعارتها
وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف إلحامك فقالت أفجر الصخر ولا
فخر فقلنا إن جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت
لأرينكم أولاً شعاري ثم لأروينكم أشعاري فأبرزت عن ردن درع

دريس وأبرزت برنة عجوز دردبيس **وأنشأت تقول**

أشكو إلى الله اشتكاء المريض ريب الزمان المتعدي البغيض
يا قوم إني من أناس غنوا دهراً وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا إذا ما نجعة أعوزت في السنة الشهباء روضاً أريض
تشب للسارين نيرانهم ويطعمون الضيف لحماً غريض
ما بات جار لهم ساغباً ولا لروع قال حال الجريض
فغيّضت منهم صروف الردى بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى أسد التحامي وأساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا وموطني بعد اليفاع الحضيض
وأفرخي ما تأتلي تشتكي بؤساً له في كل يوم وميض
إذا دعا القانت في ليله مولاه نادوه بدمع يفيض
إذا دعا القانت في ليله مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعّاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض

أتح لنا اللهم من عرضه ... من دنس الذم نقيّ رحيض
يطفي نار الجوع عنا ولو ... بمذقة من حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم ... ويغنم الشكر الطويل العريض
فوالذي تعنو النواصي له ... يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبتذل صفحتي ... ولا تصدّيت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت منّا خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منّا برّا تولّت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبّت الجماعة بعد ممرّها إلى سبرها لتبلو مواقع برّها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت إلى سوق مغتصّة بالأنام مختصّة بالزحام فانغمست في الغمار وامّلست من الصبية الأغمار ثم عاجت بخلوّ بال إلى مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها

من خصاص الباب وأرقب ما ستبديه من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيّا أبي زيد قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنّفه على ما أجرى إليه فاستلقى استلقاء المنتشين ثم رفع عقيرة المغرّدين واندفع ينشد

يا ليت شعري أدهري ... أحاط علما بقدري
وهل درى كنه غوري ... في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه ... بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف ... عليهم وبنكر
أصطاد قوما بوعظ ... وآخرين بشعر
وأستفز بخلّ ... عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر ... وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا ... مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي ... ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا ... عذري فدونك عذري

قال الحارث بن همام فلما ظهرت على جليّة أمره وبديعة أمره وما زخرف في شعره من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يسمع

التقييد ولا يفعل إلا ما يريد فثنيت إلى أصحابي عناني
وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على
محرمة العجائز

المقامة الرابعة عشرة
المكية

حكى الحرث بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام
فقضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب والرفث صادف
موسم الخيف معمعان الصيف فاستظهرت للضرورة بما
يقي حر الهجيرة فبينما أنا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمي
وطيس الحصباء وأعشى الهجير عين الحرباء إذ هجم علينا
شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ تسليم أديب
أريب وحاور محاورة قريب لا غريب فأعجبنا بما نثر من
سمطه وعجبنا من انبساطه قبل بسطه وقلنا له من أنت
وكيف ولجت وما استأذنت فقال أما أنا فعاف وطالب
إسعاف وشخصي غير خاف والنظر إلي شفيع لي كاف

وأما الانتساب الذي علق به الارتياب فما هو بمهم
إذ ما على الكرام من جناح فسألناه أنى اهتدى لنا
وبم استنزل علينا فقال إن للكريم نشرا تنم نفحاته تنشر
إلى روضه نفحاته فاستدللت بنوافح عرفكم على تبلج
عرفكم وبشرني تضوع رياكم بحسن المنقلب من عندكم
فاستخبرناه حينئذ عن لبانته لنتكفل بإعانته فقال
إن لي مأربا ولفتاي مطلبا فقلنا كلا المرامين سيقضى
وكلاكما سوف يرضى ولكن الكبر للكبر فقال أحلو من
كحال الشيخ الغرم وثب للمقال كالمنشط من العقال وأنشد

إني امرؤ أبدع بي بعد الوجا واللغب
وشقتي شاسعة يقصر عنها خببي
وما معي خردلة مطبوعة من ذهب
فحيلتي منسدة وحيرتي تلعب بي
إن رحلت راجلا خفت دواعي العطب
وإن تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبي

فرقتني بني سعد وعبتني في صبب
وانتم منتجع الراجي ومن بني الطلب
لهاكم منهلة ولا انهلال السحب
وجاركم في حرم ووفركم في حرب
ما لاحد من نايع بكم تخاف ناب النوب
ولا اشتد امل حباكم فما حبي
فانعطفوا في قصتي واحسنوا منقلبي
فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي
لساءكم ضري الذي اسلمني للكرب
ولو خبرتم حسبي او نسبي ومذهبي
وما حوت معرفتي من العلوم النخب
لما اعترتكم شبهة في ان ذا اي اديب
فليت اني لم اكن رضعت ثدي الادب
فقد دهاني شومه وعقني فيه ابي

فقلنا له اما انت فقد صرحت ابياتك بفاقتك وعطب ناقتك وسنمطيك ما يوصلك الى بلدك فاما ادبه وولدك فقال له قم يا بني كما قام ابوك وفه بما في نفسك لا فض فوك فنهض الفتى نهوض البطل للبراز واصلت لسانا كالعضب الجراز وانشد

يا سادة في المعالي لهم مبان مشيده
ومن اذا ناب خطب قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيده
ابيد منكم سؤلا وجرذقا وعصيده
فان علا فرقا فيه توابل لشهيده
او لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريده
فان تعذر طرا فجوة وبهيده
فاحضروا ما تسنى ولو شطا من قديده
وروجوه فنفسي لما يروج مريده
والزاد لا بد منه لرحلة لي بعيده
وانتم خير رهط يرجى غدا للشديده
انديكم كل يوم لها ايادٍ جديده
ويا حكم واصلات شمل الصلات المفيده
وبغيتي في مطاوي ما ترفدون زهيده
وفي اجري وعقبى تنفيس كربي حميده
والى نتاج فكري بفخر كل قصيده

قال الحارث بن همام فلما راينا الشبل يشبه الاسد رحلنا
الى الدد زودنا الولد فقابلنا الصنع بشكر نشر اردينه
وادّيا به دينه ولما عزمنا على الانطلاق وعقدنا للرحلة حبك
النطاق قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عرقوبا وبقيت
حاجة في نفس يعقوب فقال حاش لله وكلا بل جل معروفكم
وجلا فقلت له فبربّنا كما دِناك وافدنا كما افدناك ابن
الدوبة فقد ملكتنا فيك الحيرة فتنفس تنفس من ادّكر
اوطانه وانشد والشهيق يلعثم لسانه

سروج داري ولكن كيف السبيل اليها
وقد اناخ الاعادي بها واخنوا عليها
فوالتي سرت ابغي حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شي مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع
فكره ان يستوكفها ولم يملك ان يكفكفها فقطع
انشاده المستحلى واوجز في الوداع وولّى

المقامة الخامسة عشرة الفرضية

اخبر الحارث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية
الرباب ولا ارق صب طرد عن الباب ومني بصد الاحباب
فلم تزل الافكار تهيج همي وتجيل في الوساوس وهمي حتى
تمنيت لما عانيت ان ارزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول
ليلتي الليلاء فما انقضت منيتي ولا اغمضت مقلتي حتى قرع
الباب قارع له صوت خاشع فقلت في نفسي لعل غرس التمني
قد اثمر وليل الحظ قد اقمر فنهضت اليه عجلان وقلت من
الطارق الآن فقال غريب جنه الليل وغشيه السيل
ويبتغي الذرى الاغبر واذا اسحر قدم السير فلما دل شعاعه
على شمسه ونم عنوانه بسر طرسه علمت ان مسامرته
غنم ومساهرته نعم ففتحت الباب بابتسام وقلت ادخلوها
بسلام فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته وبلل القطر بردته
فحيا بلسان عضب وبيان عذب ثم شكر على تلبية صوته
واعتذر من الطروق في غير وقته فآنسته بالمصباح المتقد

ريب

وتأملته تأمل المنتقد فألفيته شيخنا أبا زيد بلا
ولا رجم غيب فأحللته محل من ظفرني بقصوى الطلب
ونقلني من وقدة الكرب إلى روح الطرب ثم أخذ يشكو لي
الأين وأخذت في كيف وأين فقال أبلغني ريقي فقد لاث العي
طريقي فظننته مستبطنا حميا السغب متكاسلا لهذا
السبب فأحضرته ما يحضر للضيف المفاجي في الليل
الداجي فانقبض انقباض المحتشم وأعرض إعراض البشم
فسوت ظنا بامتناعه وأحفظني حؤول طباعه حتى كدت
أغلظ له في الكلام وألسعه بحمة الملام فتبين من
لمحات ناظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف الثقة
بأهل المقة عد عما أخطرته بالك واستمع إلي لا أبا لك
فقلت هات يا أخا الترهات فقال اعلم أني بت البارحة
حليف إفلاس ونجي وسواس فلما قفى الليل نحبه وعور
الصبح شهبه غدوت وفي الإشراق إلى بعض الأسواق

متصديا بالصيد بشبح أو جرس سمح فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه
وأحسن إليه مضيفه يجمع على التحقيق صفا الرحيق
ونمو العقيق وقبالته لبأ قد برز كالإبريز الأصفر ويزهى
في اللون المزعفر يمشي على طاهيه بلسان ناهيه
ويصوب رأي مشتريه ولو نقد حبة القلب فيه فاستفزتني
الشهوة بأشطانها وأسلمتني العيمة إلى سلطانها فبقيت
أحير من ضب وأذهل من صب لا وجد يوصلني إلى نيل المراد
ولدنة الازدراد ولا قدم تطاوعني على الذهاب مع حرقة
الالتهاب لكن حداني القرم وسورته والسغب وفورته
على أن أنتجع كل أدرد فأنتجع من الورد ببرض فلم أزل
سحابة ذلك النهار أدلج لوى إلى الانهار وهي لا ترجع
ببلة ولا تجلب نقع غلة إلى أن صغت الشمس للغروب وصغيت
النفس من اللغوب فرحت بكبد حرى وأنثنيت أقدم رجلا
وأؤخر أخرى وبينما أنا أمشي وأقعد وأهب وأركد إذ
فابلني شيخ

يتأوّه آهة الثكلان، وعيناه تهملان، فما شغلني ما أنا فيه
من داء الذيب، والخوى المذيب، عن تعاطي مداخلته، والطمع
في مخاتلته، فقلت له: يا هذا إن لبكائك سرًّا، ووراء خرقك
لسترًا، فأطلعني على برحائك، واتخذني من نصحائك، فإنك
ستجد مني طبًّا آسيًا، أو عونًا مواسيًا، فقال: والله ما تأوّهي
لعيش فات، ولا لدهر آفات، بل لانقراض العلم ودروسه، وأفول
أقماره وشموسه، فقلت: وأي حادثة نجمت، وقضية استعجمت،
حتى هاجت لك الأسف على نفد من سلف، فأبرز رقعة من كمه،
وأقسم بأبيه وأمه، لقد أنزلها بأعلام المدارس، فما امتازوا
عن الأعلام الدوارس، واستنطق لها أحبار المحابر، فخرسوا
ولا خرس سكان المقابر، فقلت: أرنيها فلعلي أغني فيها،
فقال: ما أبعدت في المرام، ورب رمية من غير رام، ثم ناولنيها فإذا

مثل قاله الحكم بن عبد يغوث

المكتوب فيها:

أيها العالم الفقيه الذي فاق ذكاءً فما له من شبيه
أفتنا في قضية حار فيها كل قاضٍ وحار كل فقيه

رجل مات عن أخ مسلم حر تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبر أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها ما تبقى بالإرث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها، ولمحت سرها، قلت له: على الخبير بها سقطت،
وعند ابن بجدتها حططت، إلا أني مضطرم الأحشاء، مضطر إلى
العشاء، فأكرم مثواي، ثم استمع فتواي، فقال: لقد أنصفت
في الاشتراط، وتجافيت عن الاشتطاط، فسر معي إلى من نعت،
لتطف بما تشتهي وتنقلب كما ينبغي، قال: فصاحبته إلى ذراه،
كما حكم الله، فأدخلني بيتًا أحرج من التابوت، وأوهن من بيت
العنكبوت، إلا أنه جبر ضيق بقعته، بتوسعة ذرعه، فتناهى
في القرى، ومطايب ما يشترى، فقلت: أريد أزهى راكب على
أشهى مركوب، وأنفع صاحب مع أضر مصحوب، فأفكر
ساعة طويلة، ثم قال: لعلك تعني بنت نخلة، مع لبا سخيلة

فقلت إياهما عنيت ولأجلهما تعنيت فنهض نشيطًا
ثم ربض متشيطًا وقال اعلم أصلحك الله أن الصدق نباهة
والكذب عاهة ولا تحملنك الجوع الذي هو شعار الأنبيا
وحلية الأولياء على أن تلحق بمن مان وتتخلق بأخلاق
الذي يجانب الإيمان فقد تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها
وتأبى الدنية ولو اضطرت البهام أني لست ممن يبور
وكذا أغضي على صفقة مغبون ها أنا قد أنذرتك قبل أن
يهتك الستر وينعقد بيننا الوتر فلا تلغ تدبر الإنذار
وحذار من المكاذبة حذار فقلت له والذي حرم أكل
الربا وأحل أكل اللبا ما فهت بزور ولا دليتك بغرور
وستخبر حقيقة الأمر وتحمد بذل اللباء والتمر فهش
هشاشة المصدوق وانطلق مغذا إلى السوق فما كان بأسرع
من أن أقبل بهما يتلح ووجهه من التعب يكلح فوضعهما لدي
وضع الممتن علي وقال اضرب الجنس بالجنس تحظ بلذة العيش

يحسر عن ساعد النهم وحملت حملة الفيل المغتلم وهو ينهكهما
يلحظ الخنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى إذا التقمت النوى عن اللبا والتمر
وغادرتهما أثرًا بعد عين أوردت حسرته في ظلال لبياب
وفكره في جواب الأبيات فما لبث أن قام وأحضر الدواة وزبر كلامًا
وقال قد ملأت الجراب فاسمع الجواب وإلا فهيا أن تكلت
لاغترام ما أكلت فقلت له ما عندي إلا التحقق فاكتب الجواب وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل إني كاشف سرها الذي تخفيه
إن ذا الميت الذي قدم الشرع أخا عرسه على ابن أبيه
رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له ولا عرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن يسر ذويه
فهو ابن ابنه بغير مراء وأخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصحيح أدنى إلى الجد وأولى بإرثه من أخيه
فلذا حين مات أوجب للزوجة ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الأصل أخوها من أمها باقيه
وتخلى الأخ الشقيق عن الإرث وقلنا يكفيك أن تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها كل قاض يقضي وكل فقيه

قال فلما اثبت الجواب واستثبت منه الصواب قال لي الفلك
والليل فشمر الذيل وبادر السيل فقلت اني بدار غربة وفي ايواء
افضل قربة لا سيما وقد اغدف جنح الظلام وسح الرعد
بي الغمام فقال اغرب عافاك الله الى حيث شئت ولا تطمع
ان تبيت فقلت ولم ذاك مع خلو دارك قال لاني اتهمت النظر في
انتقامك ما حضر حتى لم تبق ولم تذر فرايتك لا تنظر في مصلحتك
ولا تراعي حفظ صحتك ومن امعن فيما امعنت وبطن بطنما ابطنت
لم يخلص من كظة مدنفة او هيضة متلفة فدعني بالله كفافا
واخرج عني ما دمت معافى فوالذي يحيي ويميت ما لك عندي
مبيت فلما سمعت اليته وبلوت بليته خرجت من بيته بالرغم
وتزودا الغم تجوبني السما وتخبط بي الظلما وتنبحني الكلاب
وتتقاذف بي الابواب حتى ساقني اليك لطف القضا فشكرا
ليده البيضاء فقلت له احبب بلقائك المتاح الى قلبي
المرتاح ثم اخذ يفتن في حكاياته ويشرط مضحكاته بمبكياته

الى ان عطس انف الصباح وهتف داعي الفلاح فتاهب لاجابة الداعي
ثم عطف الي وداعي فعقته عن الانبعاث وقلت الضيافة
ثلث فابى وخرج ثم ام المخرج وانشد اذ عرج ❀

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه
فاجتلا الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون اليه

قال الحرث بن همام فودعته بقلب دامي القرح ووددت لو ان الليل لم يطوه الصبح

المقامة السادسة عشرة المغربية

حكى الحرث بن همام قال شهدت صلوة المغرب في بعض مساجد المغرب
فلما اديتها بفضلها وشفعتها بنفلها اخذ طرفي رفقة
قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون
كاس المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت في محادثتهم
لكلمة تستفاد وادب يستزاد فسعيت اليهم سعي المتطفل عليهم
وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلب جنا الاسمار لا جني الثمار ويبتغي
ملح الحوار

ملتحفا بالحوار فملوا الى الخباء وقالوا مرحبا مرحبا فلم اجلس
الا كلمحة بارق خاطف او نغبة طائر خائف حتى غشينا جوّاب
على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين
ثم قال يا اولي الالباب والفضل اللباب اما تعلمون ان انفس القربات
تنفيس الكربات وامتن اسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات
واني ومن احلني ساحتكم واتاح لي استماحتكم لشريد محل قاص
وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يفثأ عنا حميا المجاعة
فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشا ولم يبق الا فضلات
العشاء فان كنت بها قنوعا فما تجد فينا منوعا فقال ان اخا
الشدائد ليقنع بلفاظات الموائد ونفاضات المزاود فامر كل
منهم عبده ان يزوده ما عنده فاعجبه الصنع وشكر عليه وجلس
يرقب ما يحمل اليه وثبنا الى استثارة ملح الادب وعيونه
واستنباط معينه من عيونه الى ان خضنا فيما لا يستحيل بالانعكاس
كقولك **ساكب كاس** فتداعينا الى ان ننتج له الافكار ونفترع
منه الابكار

على ان ينظم الباني ثلث جمانات في عقده ثم تندرج الدرر
من بعده فيبرع ذو ميمنته في نظمه ويتبع صاحب
على رغمه **قال الراوي** وكنا قد انتظمنا عدة اصابع
الكف وبالفنا الفة اصحاب الكهف فابتدر لنظم مختبى
صاحب ميمنتي وقال **لم اخا ملّ** وقال من يليه منه **كبّر رجاء اجر ربك**
وقال الذي يليه **من يرب اذا بر ينم** وقال الاخر **سكّت
كل من نمّ لك تكس** وافضت النوبة الي وقد تعين ان
السمط السباعي علي فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويبتني
ويعسر ويني من ذلك ما استطع فلا اجد من يطعم الى ان ركد
النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابي لو حضر السروجي
هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو نزلت هذه باياس
لا مستعفى باليأس وجعلنا نفيض في استصعابها واستغلاق
بابها وذلك الضيف المعتري يلحظنا لحظ المزدري ويجمع
الدرر ونحن لا ندري فلما عثر على انتضاحنا ونضوب
ضحضاحنا

فقال يا قوم إن من نزل الفناء العظيم استبلد العقيم والا استشفى
بالسقيم وفوق كل ذي علم عليم ثم أقبل علي وقال سأنوب
منابك وأكفيك ما نابك فإن شئت أن تثري ولا تعثر
فقل مخاطبا المرذم البخل وأكثر العذل لذ بكل مؤمل
إذا لم وملك بذل وإن أحببت أن تنظم فقل للذي تعظم

أُسْ أرملاً إذا عرا … وارعَ إذا المرءُ أسا

أسْنِدْ أخا نباهةٍ … أبِنْ إخاءً دنِسا

أُسلُ جَنابَ غاشمٍ … مُشاغبٍ إن جلَسا

أسِرْ إذا هبَّ مِرا … وارمِ به إذا رسا

اسكُن تقوَّ فعسى … يُسعِفُ وقتٌ نكَسا

الارمل الذي نفد زاده

قال فلما سحرنا بآياته وحسرنا بعد غاياته مدحناه حتى
استعفى ومنحناه إلى أن استكفى ثم شمر ثيابه وأذفر جرابه ونهض
ينشد

لله در عصابة صدقوا المقال مقا ولا

فاقوا الأنام فضائلا ما بورك وقوا اضلالا

حاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا
وحللت بينهم سائلا فوجدت جودا سائلا
أقسمت لو كان الأنام جبالا لكانوا أبدالا
ثم خطا فبدر بمحين وعاد مستعبرا من الحين وقال
عدم الآل وكين من سلب المال إن الغاسق قد وقب
ووجه المحجة قد انتقب وبيني وبين كني لبلد أشرد وطريق
طامس فهل من مصباح يومئني العثار ويبين لي الآثار فلما
حيي بالملتمس وجلا الوجوه ضوء القبس رأيت صاحب صيرنا
هو أبو زيدنا فقلت لأصحابي هذا الذي أشرت إليه إذا
نطق أصاب وإذا استمطر صاب فانتعلوا نحوه الأعناق
وأحدقوا به الأحداق وسألوه أن يسامرهم ليلته على
أن يجبروا عيلته فقال حبا لما أحييتم وحيا بكم إذ
رحبتم غير أني قصدتكم وأطفالي يتضورون من الجوع ويدعون
لي بوشك الرجوع وإن استراثوني خامرهم الطيش ولم يصف
لي العيش فدعوني لأذهب فأسد مخمصتهم وأسيغ غصتهم

ثم انقلب إليكم على الأثر منتاهباً للسير إلى السحر فقلنا لأحد
الغلمة اتبعه إلى بيته ليكون أسرع لبغيته فانطلق
معه مصطحباً جرابه ومحتضناً إياه فأبطأ بطأً جاوز حدّه
ثم عاد الغلام وحده فقلنا له ما عندك من الحديث عن الخبيث
فقال أخذ بي في طرق متعبة وسبل متشعبة حتى أفضينا إلى
دويرة خربة فقال ها هنا مناخي ووكر أفراخي ثم استفتح
بابه واختلج مني جرابه وقال لعمري لقد خففت عني وأسديت
الحسنى مني فهاك نصيحة هي من نفائس النصائح ومغارس المصالح

إذا ما حويت جنا نخلة … فلا تقربنها إلى قابل
وأما سقطت على بيدر … فحوصل من السنبل الحاصل
ولا تلبثن إذا ما لقطت … فتنشب في كفة الحابل
ولا توغلن إذا ما سبحت … فإن السلامة في الساحل
وخاطب بهات وجاوب بسوف … وبع آجلاً منك بالعاجل
ولا تكثرن على صاحب … فما مل قط سوى الواصل

ثم قال اخزنها في تامورك واتخذها إمام أموك وبادر إلى صحبك

في كلاءة ربك فإذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي وأتل عليهم وصيتي
وقل لهم عني إن السهر في الخرافات لمن أعظم الآفات ولست
الغني أخسر راسي ولا أجلب الهوس إلى راسي قال الراوي
فلما وقفنا على نجوى شعره على نكره ومكره تلاومنا على تركه
والاغترار بإفكه ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة

المقامة السابعة عشرة القهقرية وبها رسالة

حدث الحارث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومطامح
عليهم سيما الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في مماراة
الحبوب ومباراة منشطة للقلوب فهفا بي لقصدهم هوى
المحاضرة واستحلاء المناظرة فلما انحفزت بمحطهم
في سمطهم قالوا أأنت ممن يبلي في الهيجاء ويلقي دلوه في الدلاء
فقلت بل أنا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فانبعثوا
عن حجاجي وأفاضوا في التناجي وكان في حبوحة حلقتهم
وإكليل رفقتهم

شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم حتى عاد أنحل من قلم
وأنحل من خلم الا أنه كان يبدي العجاب إذا أجاب وينسي
سحبان كلما أبان فأعجبت بما أوتي من الإصابة والتبريز
على تلك العصابة وما أن يفضح كل معمى ويصمي في كل مرمى
إلى أن خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى
انفضاض القوم واضطرارهم إلى الصوم عرض بالمطارحة واستأنف
في المفاتحة فقالوا له جدا ومن لنا بذلك فقال أتعرفون
رسالة أرضها سماؤها وصبحها مساؤها نسجت على منوال البين
وجليت في لونين وصلت إلى جهتين وبدت ذات وجهين
إذ نزعت من مشرقها فيا هنيك برونقها وإن طلعت من مغربها
فيا لعجبها قال وكأنما القوم رموا بالصمات وحقت عليهم
كلمة الإنصات فما نبس منهم إنسان ولا فاه لأحدهم لسان
فتبين أنهم بكما كالأنعام وصموتا كالأصنام فقال لهم قد أجلتكم
أجل العدة وأرخيت لكم طول المدة ثم ها هنا مجمع الشمل
وموقف الفضل

فإن سمحت خواطركم مدحنا وإن صلدت زنادكم قدحنا فقالوا له
والله ما في لجة هذا البحر مسبح ولا في ساحله مسرح
فأرح أفكارنا من الكد وهب العطية بالنقد واتخذنا أخو
نبوز إذا ونيت وشيوخ متى استفتيت فأطرق ساعة ثم
قال سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني وانقلوا عني الإنسان
صنيعة الإحسان ورب الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة
الحمد وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير
البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة وعقد المحبة
يقتضي النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق
سحر الألباب وشرك الهوى آفة النفوس وملل الخلائق شين
الحلاحل وسوء الطمع يباين الورع والتزام الحزم زمام
السلامة وتطلب المثالب شر المعايب وتتبع العثرات يدحض
المودات وخلوص النية خلاصة العطية وتهنئة النوال
تمن السؤال وتكلف الكلف يسهل الكلف وتنفير المعونة يسني
المؤونة

وفضل الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة وجزل
المدائح ثمن المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجلبة
الغواية استغراق الغاية وتجاوز الحد يكل الحد وتعدي
الأدب يحبط القرب وتناسي الحقوق ينشئ العقوق وتحاشي
الريب يرفع الرتب وارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار وسمو
الأقدار بموافاة الأقدار وشرف الأعمال في تقصير الآمال
وإطالة الفكرة تنقيح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة
ومع اللجاجة تلغى الحاجة وعند الأوجال تتفاضل الرجال
وتفاضل الهمم تفاوت القيم وتدرب السفير يهذب التدبير
وتخلل الأحوال تبين الأهوال وتموج الصبر ثمر
النصر واستحقاق الإحماد بحسب الاجتهاد ووجوب الملام
كفاء المحافظة وصفاء الموالي بتعهد الموالي وتحلي المروات
بحفظ الأمانات واختبار الإخوان بتخفيف الأحزان ودفع
الأعداء بكف الأدواء وافتخار العقلاء بمقاربة الجهلاء

العبرة

وتبصر العواقب يؤمن المعاطب واتقاء الشنعة بنشر السمعة
وفتح الجفاء يثني الوفاء وجوهر الأحرار عند الأسرار
ثم قال هذه مائتا لفظة تحتوي على أدب وعظة فمن ساقها
هذا المساق فلا مراء ولا شقاق ومن رام عكس قالبها
وأن يردها على عقبها فليقل الأسرار عند الأحرار وجوهر
الوفاء يثني الجفاء وفتح السمعة بنشر الشنعة ثم على هذا
المسحب فليسحبها ولا يرهبها حتى تكون خاتمة فقرها
وآخر دريها ورب الإحسان صنيعة الإنسان قال الراوي
فلما صدع برسالته الفريدة وأملوحته المفيدة علمنا
كيف يتفاضل الإنشاء وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء
ثم اعتلق كل منا بذيله وفلذ له فلذة من نيله فأبى قبول
فلذتي وقال لست أرزأ أبناء ملتي فقلت له كن أبا زيد
على شحوب سحنتك ونضوب ماء وجنتك فقال أنا هو على
تحولي وحولي وتقشف محولي فأخذت في تربيته على تشرفه
وتغربه

فحوقل واسترجع ثم أنشد من قلب موجع

سلّ الزمان على عضبه ليروعني وأحدّ غربه
واستلّ من جفني كراه مراغماً وأسال غربه
وأجالني في الآفاق أطوي شرقه وأجوب غربه
فبكل جوّ طلعة في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرّب شخصه متغرب ونوى اغتربه

ثم تولى يجر عطفيه ويخطر بيديه ونحن بين متلفت إليه ومتهافت عليه ثم لم نلبث أن حللنا الحُبا وتفرقنا أيادي سبا

المقامة الثامنة عشرة السنجارية ببلد بأرض الموصل

١٤١

حكى الحارث بن همام قال قفلت مرة من الشام أؤم مدينة السلام في ركب من بني نمير ورفقة أولي خير وميرة ومعنا أبو زيد السروجي عقلة العجلان وسلوة الثكلان وأعجوبة الزمان والمشار إليه بالبنان في البيان فصادف نزولنا سنجار أن أولم بها أحد التجار

فدعا إلى مأدبته الجفلى من أهل الحضارة والفلا حتى سرت دعوته إلى القافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة فلما أجبنا مناديه وحللنا ناديه أحضر من أطعمة الأيدي والأيدين ما حلا في الفم وحلي بالعين ثم قدم جاماً كأنما جمد من الهواء أو جمع من الهباء أو صيغ من نور الفضاء أو قشر من الدرة البيضاء وقد أودع لقائف النعيم وضمخ بالطيب العميم وسبقوا إليه بشرب من تسنيم وسفر عن مرأى وسيم وأرج نسيم فلما اضطرمت بحضرة الشهوات وقرمت إلى مخبره اللهوات وشارفت أن تشن على سربه الغارات وينالني عند نهبه باللثات نشز أبو زيد كالمجنون وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه على أن يعود وألا يكون كقدار في ثمود فقال والذي نشر الأموات من الرجام لا عدت دون رفع الجام فلم نجد بداً من تألفه وإبرار حلفه فأشلناه والعقول معه شائلة والدموع عليه سائلة

فلما فاء إلى مجثمه وخلص من مأثمه سألناه لم قام ولدي
معنى استرفع الجام فقال إن الزجاج نمام وإني آليت
مذ أعوام ألا يصحبني نموم في مقام فقلنا وما سبب تمييزك
الصبي وإلينك الخبي فقال كان لي جار لسانه يغرّب
وقلبه عقرب ولفظه شهد ينقع وجنّه سمّ منقع فملت
لمجاورته إلى محاورته واغتررت بمكاشرته في معاشرته
واستهوتني خضرة دمنته لمنادمته وأغرتني خدعه
بمناسمته فمازجته وعندي أنه عقاب كاسر وأنشته
على أنه حب مواسر فوضح أنه حباب مواسر وما لحبته
ولا أعلم أنه عند نفثه ممن يفرح بفقده وعاقر به ولم
أدر أنه بعد قرمه ممن يطرب المغرم وكانت عندي جارية
لا يوجد لها في الكمال مجارية إن سفرت خجلت النيرين
وصليت القلوب بالنيران وإن بسمت أزرت بالجمان
وبيع المرجان بالمجان وإن رنت هيجت البلابل وحققت
سحر بابل

وإن نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من المعاقل
وإن قرأت شفت المفؤود وأحيت المؤود وخلتها أوتيت
من مزامير آل داود وإن غنت ظل معبد لها عبدا وقيل
سحقا لإسحق وبعدا وإن زمرت أضحى زنام عندها زنيما
بعد أن كان بالحيلة زعيما وبالأطراب زعيما وإن رقصت
أمالت العمائم عن الرؤوس وأنستك رقص الحبب في الكؤوس
فكنت إذ ذاك نبي معها حمر النعم وأحلى بتمليها جيد النعم
وأجمع منها عن الشمس والقمر وأذود ذكراها عن سمر
السمر وأنا مع ذلك أبخ من أن تبدى بزبانها زنخ أو
يكمن لها سطيح أو ينم عليها برق مليح فاتفق لوشك نقص
الحظ المنحوس ونكد الطالع المنحوس أن نطفتني نوب
حميا المدام عند الجار النمام ثم نابت الفهم بعد أن صرد
السهم فاحتسبت الحياك البوال وضيعة ما أودع ذلك
الغربال نبذا بي عاهد به على عزم ما لقطنه وأن يحفظ
السر

ولو أحفظته لزعم انه يخزن الاسرار كما يخزن اللئيم
الدينار وانه لا يهتك الاستار ولو عرض لأن يلج النار
فما غبر على ذلك الزمان الا يوم او يومان حتى ند الأمير
تلك المدينة وواليها ابن المقدرة اذ يقمر بابه نيله مجددا
عرض حبله ومستمطرا عارض نيله وارتاد أن تصحبه تحفة
تلائم هواه ليقدمها بين يدي نجواه وجعل يبذل الجعائل
لروّاده ويسنّي المراغب لمن يظفره بمراده فاستفّ ذلك
الجائر الختّار الى بذوله وغصّ في أدراع العار عذل
عذوله فأتى لو أني باشرا أدنيه وأتيته ما كنت أسرّه
فما راعني إلا أشياب صاغيته إليّ وأشبال حفدته عليّ
يسومني إشادتهم بالدرة اليتيمة على أن يحكم عليه في
القيمة فغشيني من الهم ما غشي فرعون وجنوده من اليم ولم
أزل أدافع عنها ولا يغني الدفاع وأستشفع إليه ولا
يجيبني إلا انتشفاع وكلما رأى مني ازدياد الاعتياص ارتياد
المناص

تحرّم وتضرّم وحرق على الأرّم ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقة بدني
ولا بأن تنزع قلبي من صبي حتى آل أبو عبيد ابقاعا والتقريع
قراعا فعنّاني الاشفاق من الجبن الى ان قضته سواد العين
بصفو العين ولم تحط الواشي بغير الإثم والشين فعاهدت
الله تعالى مذ ذلك العهد الا احاضر نماما من بعد
وأن الزجاج مخصوص بهتك الطباع الذميمة وبه يضرب المثل في
النميمة فقد جرى عليه سبيل يمنى ولذلكم السبب لم تمتد اليه يميني
فلا تعذلوني بعد ما قد شرحته على أن حرمتم في اقتطاف القطا
فقد بان عذري في صنيعي وانني سأدنو فتشفي من تلبّثي وطاد
على أن ما زودتكم من فكاهة الذهن الحلوي لبني كل عاد
قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبّلنا عذاره وقلنا
له قدما وقربنا لنميمة حبرا ليسترجي أن تستر عن جماله الخطب ما
ما انتشر ثم سألناه عما أحدث جانّ القتّات ودخلله القفار
بعد أن راشه نبلا للسعاية وجزم حبل الرعاية فقال الأخذ
في الاستخذاء

والاستكانة والاستشفاع إلى ذوي المكانة وكنت حرجت
على نفسي أن يسترجعه أمسي أو يرجع إلى أمسي فلم يكن
له مني سوى الرد والإصرار على الصد وهو لا يكتئب من
التجه ولا ينثني عن وقاحة الوجه بل يلظ بالوسائل ويلح
في المسائل بما أنقضني من إبرامه ولا أبعد عليه نيل مرامه
إلا أبيات نفث بها الصدر الموتور والخاطر المتور فإنها
كانت مدحرة لشيطانه ومسكنة له في أوطانه وعند إنشادها
بت طلاق الحبور ودعا بالويل والثبور ويئس من نشر وصلي
المقبور كما يئس الكفار من أصحاب القبور فاستنشدناه أن
ينشدناها ويشفينا ريّاها فقال أجل خلق الإنسان
من عجل ثم أنشد لا يزدهيه خجل ولا يثنيه وجل

ونديم محضته صدق ودي إذ توهمته صديقا حميما
ثم أوليته قطيعة فالخبر ألفيته صديدا حميما
خلته قبل أن تجرب إلفا ذا ذمام فبان خلفا ذميما

وتخيرته كليما فأمسى منه قلبي بما جناه كليما
وظننته مهيمنا رحيما فتبينته لعينا رجيما
وتراءيته مريدا فجلى عنه سبكي له مريدا لئيما
وتوسمت أن يهب نسيما فأبى أن يهب إلا سموما
بت من لسعه الذي أعجز الراقي سليما وبات مني سليما
وبدا نهجه غداة افترقنا مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن نابيا خصيبا ولكن كان بالشر نابيا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كان عقيما ولم يكن لي نديما
بغض الصبح حين نم إلى قلبي لأن الصباح يلفي نموما
ودعاني إلى هوى الليل إذ كان سواد الدجى رفيقا كتوما
وكفى من يشي ولو فاه بالصدق أثاما فيما أتاه ولوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه وسجعه واستملح تفريعه
وسجعه بوأه مهاد كرامته وصدره على تكرمته ثم استحضر
عشر صحاف من الغرب فيها حلوا الفانيذ والضرب وقال للأتباع انهبوا

النار وأصحاب الجنة ولا يسع أن تجعل لبري كبدي الظنة
وهذه الأبيات تنزل منزلة الأبرار في صون الأسرار ولا تولها
الإبعاد ولا تجحدها بعاداً ثم أمر خادمه بنقلها إلى مثواه
ليحكم فيها بهواه فأقبل علينا أبو زيد وقال أقروا أسوة
الفتح وأبشروا بإبان الفرح فقد جبر الله بكلكم وسنى
أكلكم وجمع بظل الحلواء شملكم وعسى أن تكرهوا شيئاً
وهو خير لكم ولما هم بالانصراف مال إلى الشهداء الظراف
وقال للأديب إن من دلائل الظرف سماحة المهدي بالطرف
فقال كلاهما والغلام فاحذف الكلام وانهض بسلام فوثب
إلى الجواب وشكر شكر الروض للسحاب ثم اقتادنا أبو زيد إلى
جوابه وحكمنا في حلوائه وجعل يقلب الأواني بين يديه ويقض
عدها على عده ثم قال لست أدري أأشكو ذا لكاع التمام أم
أشكر وهل أتناسى فعلته أم أذكر فإنه وإن كان أسلف الجريمة
وتمم اليتيمة بغنيمة أهلت بهذه اليتيمة وبسيفه الحادث
ان هذه

الغنيمة وقد خطر ببالي أن نرجع إلى أشبالي وأقنع بما سنى لي
ولا أتعب نفسي ولا أجمالي وأنا أودعكم وداع محافظ
واستودعكم خير حافظ ثم استوى على راحلته راجعاً في حافرته
ولا دويا إلى ناقته فغادرنا بعد أن وجدت عنسه وزايلنا
أنسه كرسيت غاب ضيغمه أو ليل أفل بدره

المقامة التاسعة عشرة
النصيبية بلد بأرض الجزيرة

روى الحارث بن همام قال أمحل العراق ذات العوم لإنباء
وتحدث الركبان بريف نصيبين وبلهنية أهلها المخصبين
فاقتعدت مهرياً واعتقلت سمهرياً ومرت تلفظني أرض إلى
أرض وتجذبني دفع من خفض حتى بلغتها نقضاً على نقض فلما
أنخت بمغناها الخصيب وضربت في مرعاها بنصيب نويت
أن ألقي بها جراني وأتخذ أهلها جيراني إلى أن تمحي المسنة
الجماد وينتعش أرض قومي العهاد فوالله ما أغمضت مقلتي
بنومها

ولا تمحّضت ليلتي عن يومها أو ألفيت أبا زيد السروجي
يجول في أرجاء نصيبين ويخبط بها خبط المصابين والمصبين
وهو ينثر من فيه الدرر ويحتلب بكفيه الدرر فوجدت
جهابذ قد حاز مغنما ونحى الفن فقد صار توأما فلم أزل
أتبع ظله أينما انبعث وألتقط لفظه كلما نفث إلى أن عراه
مرض امتد مداه وعرقته مداه حتى كاد يسلبه ثوب المحيا
ويسلمه إلى أبي يحيى فوجدت لفوت ملقاه وانقطاع
ما نجلبه المنبعث عن مرامه والمنقطع عند فطامه ثم أرجف بأن
رهنه قد غلق ومخلب الحمام به قد علق فقلق صحبه لإرجاف
المرجفين وانثالوا إلى عقوته موجفين

حيارى يميد بهم شجوهم كأنهم انتضوا الخندريسا
أسالوا الغروب وعطّوا الجيوب وصكّوا الخدود وشجّوا الرؤوسا
يودّون لو سالمته المنون وغالت نفائسهم والنفوسا

قال الراوي وكنت فيمن انتقى أصحابه واغتدى إلى بابه فلما
انتهينا

ل

إلى فنائه وتصدّى بنا الاستنشاء أنبائه برز إلينا فتاه
مفترّة شفتاه فاستطلعناه طلع الشيخ في شكاته وقوى
حركاته فقال قد كان في قبضة المرضة وعركة
الوعكة إلى أن شفّه الدنف وأشفى به التلف ثم منّ
الله بفيئة ذمائه فأفاق من إغمائه فارجعوا أدراجكم
وأنضوا انزعاجكم فكان قد علا وباح وساقكم الراح
فأعظمنا بشراه واقترحنا أن نراه فدخل مؤذنا بنا ثم خرج
آذنا لنا فلقينا منه لقى ولسانا طلقا وجلسنا محدقين
بسريره ومحدّقين إلى أسارير فقلّب طرفه في الجماعة
ثم قال احتملوها بنت الساعة **وأنشد**

عافاني الله وشكرا له من علة كادت تعفّيني
ومن بالبرء على أنه لا بدّ من حتف سيبريني
ما بيننا شانئ ولكنه إلى تقضّي الأكل ينسيني
إن حمّ لم يغن حميم ولا حمى كليب منه يحميني
وما أبالي إذ ناب يومه أم أخّر الحين إلى حين

نسخة والإنافة من إغمائه

فأيّ فخرٍ في حبوةٍ أدنيتها البلايا ثمّ تبليني

قال فدعوناه بامتداد الأجل إذ بذّ الرجل ثم تداعينا
إلى القيام لابتغاء الإبرام فقال كلّا إنّ بياض يومكم
عندي لتشفعوا بالمفاكهة وجَدْبي فإنّ مناجاتكم قوتُ
نفسي ومغناطيس أُنسي فتحيّزنا لمرضاته وتحامينا معاصاته
وأقبلنا على الحديث نمخض زبده ونلغي زبده إلى أن حان
وقت المقيل وكلّت الألسن من القال والقيل وكاد يومنا
حامي الوديقة يابس الحديقة فقال إنّ النعاس قد أمال
الأعناق وراود الأحداق وهو خصم ألدّ وخطب لا يُردّ
فصلوا أجنحته بالقيلولة واقتدوا فيه بالآثار المنقولة
قال الراوي فاتبعنا ما قال وقلنا وقال فضرب الله على
الآذان وأفرغ السِّنة في الأجفان حتى خرجنا من حكم الوجود
وصرنا بالهجود عن السجود فما استيقظنا إلا والحرّ
قد باخ واليوم قد شاخ فتنكّرنا للصلوة العجماوين وأدّينا
ما حلّ من

الدَّين ثم تحتحثنا للارتحال إلى مُلتقى الرحال فالتفت أبو زيد إلى شبليه
وكان على شاكلته وشكله وقال إني لإخال أبا عمرة قد
أضمر في أحشائهم الجمرة فاستدع أبا جامع فإنه يشفي
كلّ جائع وأذّن فيه بابن نعيم الصابر على كلّ ضيم ثم عزّز بأبي حبيب
المحبّب إلى كلّ لبيب المقلّب بين إحراق وتعذيب وأمتِ بأبي
ثقيف محيّا هو من الريف وهلمّ بأبي عون فما مثله من عون
ولو استحضرتَ أبا جميل لجمّل أيّ تجميل وكيّ هو ماء القِرى
المذكرة بكسرى ولا تنسَ أمّ جابر فكم لها من ذاكر وناد
أمّا الفرج ثم أفِك بها ولا حرج واختم بأبي ذرّين فهو مسلاة
كلّ حزين وإن تقرن به أبا الفالوذج أسمك من التجلّد وإيّاك
واستمدّ أبا المرخين قبل استقلال الحمول ليبين وإذا انزع
القوم عن المرابر وصافحوا أبا أباس فاطف عليهم أبا البشر
فإنه عنوان السرور وقال ففقه ابنه لطائف رموزه
تمتمته فطاف علينا بالطيبات والطيب إلى أن دنت الشمس
بالمغيب

فلما اجمعنا على التوديع قلنا له الم تر الى هذا اليوم البديع
كيف بدا اصبحه مقطرا وممسيه مستنيرا فسكت حتى اطال ثم رفع
رأسه وقال

لا تيأسن عند النوب من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم جرى نسيما وانقلب
وسحاب مكروه تنشى فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب
ولطالما طلع الأسى وعلى تقيته غرب
فاصبر اذا ما ناب روع فالزمان ابو العجب
وترج من روح الاله لطائفا لا تحتسب

قال فاستملينا ابياته الغرر واثنينا لله تعالى الشكر وودعناه مسرورين ببشره مغمورين ببره

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من كلمات لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين والسمهرية الرماح وفي تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت بذلك

لصلابتها ماخوذ من قولهم اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما وقوله ضرب الله على الآذان اي انامنا ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم اي انمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع وقوله نكرعنا لصلوة العجماء اي غسلنا اكارعنا وهو كناية عن الوضوء والعجماء وان صلوتا الظهر والعصر سميتا بذلك لاسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجماء وقوله هلم اي قل هلم وهي تاتي بمعنى هات وبمعنى اقبل والافصح ان يوحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجميع هلموا وللمؤنث الواحدة هلمي وللاثنتين هلما وللجميع هلممن وقوله حي هلا اي عجل يقال حي هل بفلان بتسكين اللام وتحريكها وتنوينها وباثبات النون معها ومنه قول ابن مسعود في عمر رضي الله عنهما

اذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر وفي حي هل لغات اعرضنا
عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفا شرحها فهذا تفسير
الالفاظ اللغوية واما تفسير الكنى الطفيلية والكنايات
الصوفية فابو يحيى كنية الموت ويكنى ايضا ابا مالك
وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحوارى وابو حبيب الجدى
وابو ثقيف الخل وابو عون الملح وابو جميل البقل وام القرى
الهسكباج وام جابر الهريسة وام الفرج الجوذابه وابو زرين
الخبيص وابو العلاء الفالوذق وابو اياس الغسول
والمرجفان الطست والابريق وابو السرو البخور

المقامة العشرون
الفارقية بلد بديار بكر

حكى الحرث بن همام قال يممت ميافارقين مع رفقة
يمارون في المناجاة ولا يدرون ما طعم المداجاة فكنت
بهم كمن لم يرم عن وجاره ولا ظعن عن الفه وجاره فلما
انخنا بها

مطايا التسيار واستقلنا عن الاكوار الى الاوكار تواصينا بنبذ الكلف
الصحبة وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا
نغشاه طرفي النهار ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينا نحن
به في بعض الايام وقد انتظمنا في سلك الالتيام وقف بنا
ذو مقول جرى وجرس جهوري فحيا تحية نفاث في العقد

عندي يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار للبيب الاريب
رايت في ريعان عمري اخا ... باس له حد الحسام القضيب
يقدم في المعرك اقدام من ... يوقن بالفتك ولا يستريب
يفرج الضيق بتكراره ... حتى يرى ما كان ضنكا رحيب
ما بارز الاقران الا انثنى ... عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستغلقا ... مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودي حين يسمو له ... نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها ... يميس في برد الشباب القشيب
بين نشاوى لعبد وبين شفته ... وهو لدى الكل المفدا الحبيب
فلم يزل يبتز دهر له ... ما فيه من بطش وعود صليب
حتى اصارته الليالي لقى ... يعافه من كان منه قريب

فلما عجز الراقي في تحليل ما به من الداء واعيا الطبيب
وصار دم الابيض وصار منه من بعد ما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجى لمن يرغب في تكفين ميت غريب
ثم انه اعلن بالنحيب وتباكى المحب على الحبيب ولما
رقأت دمعته وانفثأت لوعته قال يا جهابذة الرواد
وقدوة الاجواد والله ما نطقت ببهتان ولا اخبرتكم الا
عن عيان ولو كان في عصاي سير والغيث مطير لاستأثرت
بما دعوتكم اليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن
كيف الطيران بلا جناح وهل على من لا يجد من جناح قال
الراوي فطفق القوم يتناظرون فيما يأمرون ويتخافتون فيما
يأتون فتوهم انهم على صرفه مجمعون او مطالبته ببرهان
ففرط منه ان قال يا بلاقع القاع ويرامع البقاع ما هذا
الارتياء الذي يأباه الحباحب كأنكم كلفتم مشقة لا تنصفه

او استوهبتم بتلة لا بردة او حزنتم لكسوة البيت لا تكفين ميت
اف لمن لا تندى صفاته ولا ترشح حصاته فلما بصرت
الجماعة بما قيه ومرادة مذاقيه روفاه كل منهم بنيله
واحتمل ظله خوف سيله قال الحارث بن همام وكان
هذا السائل واقفا خلفي ومحتجبا بظهري عن طرفي فلما
ارضاه القوم بسيبهم وحق علي التأسي بهم خلجت خاتمي
من خنصري ولففت اليه بصري فاذا هو شيخنا السروجي
قرنه ولا مرية فايقنت انها اكذوبة تكذبها واحبولة شرك
نصبها الا اني طويته على غره وصنت شفاه عن فريه
بالخاتم وقلت ارصده لنفقة المأتم فقال وإنها لك فما اضرم
شغلتك واكرم فعلتك ثم انطلق يسعى قدما ويهرول
قدما فنزعت الى عرفان مبيته وامتحان دعوى ميتة فقرعت
ظنبوبي واتبعت الهبوب حتى ادركته على غلوة واخليته
في خلوة فاخذت بمجامع اردانه وعقبته عن سنن ميدانه

وقلت له والله ما لك مني ملجأ ولا منجا او تريني مثك
المسبحا فكشف عن سراويله واشار الى غرموله فقلت له
قاتلك الله فما اغدرك بالنهي واحبك على اللهو ثم
عدت الى اصحابي عود الرائد الذي لا يكذب اهله ولا
ينمق قوله فاخبرتهم بالذي رايت وما رويت ولا رايت
فقهقهوا من كيت وكيت ولعنوا ذاك الميت ❁

المقامة الحادية والعشرون الرازية بلد اعجمي فيها موعظة

حدث الحرث بن همام قال عنيت مذ احكمت تدبيري
من دبيري بان اصغي الى العظات والغي الكلم المحفظات
لاتحلى بمحاسن الاخلاق واتخلى مما يسم بالاخلاق وما
زلت اخذ نفسي بهذا الادب واحمد به جمرة الغضب حتى
صار التطبع فيه طبعا والتكلف له هوى مطبعا فلما
حللت بالري وقد حللت حبا الغي وعرفت الحق من الغي رايت بها
ذات بكرة

زمرة اثر زمرة وهم منتشرون انتشار الجراد ومستنون استنان
الجياد ومتواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون
دونه فلم يتكأدني لاستماع المواعظ واختبار الواعظ
لان اقاسي الداغط واحتمل الضاغط فاصحبت اصحاب
المطواعة وانخرطت في سلك الجماعة حتى افضينا الى
ناد جمع الامير والمامور وحشد النبيه والمغمور
وفي وسط هالته ووسط اهلته شيخ قد تقوس وتقلنس
وتطلس وتقلس وهو يصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين
الصخور فسمعته يقول وقد افتتن به الفضول
ما ابن ادم ما اغراك بما يغرك واضراك بما يضرك والهجك بما يطغيك
وابهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك
وتنزع في قوس تعديك وتنزري الحرص الذي يرديك لا
بالكفاف تقنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات تستمع
ولا بالوعيد ترتدع دابك ان تتقلب مع الاهواء وتخبط
خبط العشواء

وهمك ان تترابى بالاحتراث وتجمع التراث للوراث
يعجبك التكاثر بما لديك وتسعى ابدا لغاربك ولا
تذكر ما بين يديك ولا تبالي الك ام عليك اتظن ان
ستترك سدى والا تحاسب غدا ام تحسب ان الموت
يقبل الرشا او يميز بين الاسد والرشا كلا لن يدفع
المنون المال ولا بنون ولا ينفع اهل القبور سوى العمل
المبرور فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس
عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى وان ليس للانسان الا ما
سعى وان سعيه سوف يرى ثم انشد انشاد وجل بصوت زجل
لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى اذا سكن المثري الثرى وثوى به
فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني من اجره وثوابه
وبادر به صرف الزمان فانه بمخلبه الاشغى يقول ونابه
ولا تامن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل اخنى عليه ونابه
وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه اخو ضلة الا هوى من عقابه
وحافظ على تقوى الاله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه

الويل

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه
وان قصارى مسكن الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبابه
فواها لعبد ساءه سوء فعله وابدى التلافي قبل اغلاق بابه
قال فظل القوم بين عبرة يذرونها وتوبة يظهرونها
حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت
الاصوات وانتام الانصات استنصح مستنصح بالامير
الحاضر وجعل نجاد ابنه من عامله الجائر والامير صلغ
الى خصمه لاحه عن كشف ظلمه فلما يئس من وجه استنهض
الواعظ بالنصحه فنهض نهضة الشهم واشتد معرضا بالا
عجبا للدراج ان ينال ولاية حتى اذا ما نال بغيته تعاظم
يسري ويحكم في المظالم والقا في وردها طورا وطورا مولغا
ما ان يبالي حين يتبع الهوى فيها ااصلح دينه ام اوتغا
يا ويحه لو كان يوقن انه ما حالة الا تحول لما طغا

أو لو تبين ما ندامة من صغى سمعا الى نكت الوشاة لما صغا
فانقد لمن اضحى الزمام بكفه وتغاض ان لغي الرعاة او لغا
وارع المرار اذا دعاك لرعيه ورد الاجاج اذا حماك السيغا
واحمل اذاه ولو امضك مسه واسال غرب الدمع منك وافرغا
فليضحكنك الدهر منه اذا نبا عنه وشب لكيده نار الوغا
وليبرزن به الشمات اذا بدا متحليا من شغله متفرغا
ولتأوين له اذا ما خر اضحى على ترب الهوان ممرغا
هذا له ولسوف يوقفه موقفا فيه يجزي رب الفصاحة اللثغا
ولتحشرن اذا نفخ الفلاة وتحاسبن على النقيبة والشغا
وتؤاخذن بما اجتنا ومن اجتنا وبطالبن بما اختسا وبما ارتغا
ونناقشن على الدقيق ومثل ما قد كان يفعل بالورى بل ابلغا
حتى يعض على الولاية كفه ويود لو لم يبغ منها ما بغا

ثم قال ايها المتوشح بالولاية المترشح للرعاية دع الادلال بدولتك والاغترار بصولتك فان الدولة ريح قلب والاقبال برق خلب

وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته واشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا تكن ممن يذر الاخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويشغبها ويظلم الرعية ويوذيها واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا يهمل يا انسان ثم سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان

قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه واستقع وجعل يتأفف من الامرة ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد الى الشاكي فاشكاه والى المشكو فاشجاه والطف الواعظ وحباه وعزم عليه ان يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا وولى الظالم محسورا وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته ويتباهى بفوز صفقته واتبعته اخطو متقاصرا واراعيه لحظا باصرا فلما استشف ما اخفيه وفطن لتقلب طرفي فيه قال خير دليليك من ارشدك فاقترب مني وانشد

انا الذي تعرفه يا حارث حدث ملوك فكه منافث
اطرب ما لا تطرب المثالث طورا اخو جد وطورا عابث

ما عَبَّتْنِي بَعْدَكَ الحَوادِثُ — وَلَا التَحَى عُودِي خَطْبٌ كارِثُ
وَلَا فَرَى أَدِيمِيَ حَدٌّ فارِثُ — بَلْ مِخْلَبِي بِكُلِّ صَيْدٍ ضابِثُ
وَكُلُّ سَرْحٍ فِيهِ ذِيبِي عائِثُ — حَتَّى كَأَنِّي لِلأَنامِ وارِثُ
سامُهُمْ وَحامُهُمْ وَيافِثُ

قالَ الحارِثُ بْنُ هَمّامٍ فَقُلْتُ لَهُ تَاللهِ إِنَّكَ لَأَبُو زَيْدٍ وَلَقَدْ تَمَّمْتَ بِاللهِ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ فَهَشَّ هَشاشَةَ الكَرِيمِ إِذا أُمَّ وَقالَ اسْمَعْ يا ابْنَ أُمِّ

عَلَيْكَ بِالصِّدْقِ وَلَوْ أَنَّهُ أَحْرَقَكَ الصِّدْقُ بِنارِ الوَعِيدْ
وَابْغِ رِضا اللهِ فَأَغْبَى الوَرَى مَنْ أَسْخَطَ المَوْلَى وَأَرْضَى العَبِيدْ

ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَ أَخِلّاءَهُ وَانْطَلَقَ يَسْحَبُ أَرْدانَهُ فَطَلَبْناهُ مِنْ بَعْدُ بِالبَرِيِّ وَاسْتَنْشَيْنا خَبَرَهُ مِنْ مَدارِجِ الطُّرُقِ فَما فِينا مَنْ عَرَفَ قَرارَهُ وَلَا دَرَى أَيُّ جَرادٍ عارَهُ

المَقامَةُ الثّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ الفُراتِيَّةُ

حَكَى الحارِثُ بْنُ هَمّامٍ قالَ أَوَيْتُ فِي بَعْضِ الفَتَراتِ إِلَى سَقْيِ الفُراتِ فَلَقِيتُ بِها كُتّاباً

أَبْرَعَ مِنْ بَنِي الفُراتِ وَأَعْذَبَ أَخْلاقاً مِنَ الماءِ الفُراتِ فَكَلِفْتُ بِهِمْ لِتَفَنُّنِهِمْ لَا لِذَهَبِهِمْ وَكاثَرْتُهُمْ لِأَدَبِهِمْ لَا لِمَآدِبِهِمْ فَجالَسْتُ مِنْهُمْ أَضْرابَ القَعْقاعِ بْنِ شَوْرٍ وَوَصَلْتُ بِهِمْ إِلَى الكَوْرِ بَعْدَ الحَوْرِ حَتَّى إِنَّهُمْ أَشْرَكُونِي فِي المَرْتَعِ وَالمَرْبَعِ وَأَحَلُّونِي مَحَلَّ الأُنْمُلَةِ مِنَ الإِصْبَعِ وَاتَّخَذُونِي أَنِيسَهُمْ عِنْدَ الوِلايَةِ وَالعَزْلِ وَخازِنَ سِرِّهِمْ فِي الجِدِّ وَالهَزْلِ فَاتَّفَقَ أَنْ نُدِبُوا لِبَعْضِ الأَوْقاتِ لِاسْتِقْراءِ مَزارِعِ الرَّزْداقاتِ فَاخْتارُوا مِنَ الجَوارِي المُنْشَآتِ جارِيَةً كَالجالِكَةِ الشَّبابِ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ وَتَنْسابُ فِي الحَبابِ كَالحُبابِ ثُمَّ دَعَوْنِي إِلَى الشِّرْعَةِ وَاسْتَدْعَوْنِي لِلمُرافَقَةِ فَلَمّا تَوَرَّكْنا عَلَى المَطِيَّةِ الدَّهْماءِ وَتَبَطَّنّا الوَلِيَّةَ الماشِيَةَ عَلَى الماءِ أَلْفَيْنا بِها شَيْخاً عَلَيْهِ سَحْقُ سِرْبالٍ وَسَبُّ بالٍ فَعافَتِ الجَماعَةُ مَحْضَرَهُ وَأَنِفَتْ مِنْ أَنْ يَحْضُرَهُ وَهَمَّتْ بِإِبْرازِهِ مِنَ السَّفِينَةِ لَوْلَا ما تَأَبَّى لَها مِنَ السَّكِينَةِ فَلَمّا لَمَحَ مِنّا اسْتِثْقالَ ظِلِّهِ وَاسْتِبْرادَ طَلِّهِ تَعَرَّضَ لِلمُنافَثَةِ

وقمت وحمدك بعد أن عطش فما شمت فأجرد نظر فيما آلت
حالته إليه وينتظر نصرة المبغي عليه وجعلنا نخوض في شجون من
حديث ومجون إلى أن أفضى ذكر الكاتبين وفضلهما وتباين
أفضلهما فقال قائل إن كتبة الإنشاء أنبل الكتّاب ومال
مائل إلى تفضيل الحسّاب واحتدّ الحجاج وامتدّ اللجاج حتى إذا
لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مسرح قال الشيخ لقد أكثرتم
يا قوم اللغط وأثرتم الصواب والغلط وإن جليّة الحكم عندي
فارتضوا بنقدي ولا تستفتوا أحدًا بعدي اعلموا أن
صناعة الإنشاء أرفع وصناعة الحساب أنفع وقلم المكاتبة
خاطب وقلم المحاسبة حاطب وأساطير البلاغات تنسخ
لتدرس ودساتير الحسبانات تنسخ وتدرس والمنشئ
جهينة الأخبار وحقيبة الأسرار ونجيّ العظماء وكبير
الندماء وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان
الحكمة وترجمان الهمّة وهو البشير والنذير والشفيع
والسفير

به تستخلص الصياصي وتملك النواصي ويقتاد العاصي ويستدنى
القاصي وصاحبه بريء من التبعات آمن كيد السعاة مقرّظ
بين الجماعات غير معرّض لنظم الجماعات ❁ فلما انتهى في
الفصل إلى هنا الفصل لحظ من لحظات القوم أنه ازدرع
حبًّا وبغضًا وأرضى بعضًا وأحفظ بعضًا فعقّب كلامه بأن
قال إلا أن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة
الإنشاء مبنيّة على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم
المنشئ خابط وبين إتاوة توظيف المعاملات وتلاوة
طوامير السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعتوره التباس
إذ الإتاوة تملأ الأكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج
الأوارج يغني الناظر واستخراج المدارج يعني الناظر ثم
إن الحسبة حفظة الأموال وحملة الأثقال والنقلة الأثبات
والسفرة الثقات وأعلام الإنصاف والانتصاف والشهود
المقانع في الاختلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان
وقطب الديوان

لمح من لحظات

وقسطاس الاعمال والمهيمن على العمال واليه المآب
في السلم والهرج وعليه المدار في الدخل والخرج وبه مناط
الضر والنفع وفي يده رباط الاعطاء والمنع ولولا قلم
الحساب لأودت ثمرة الاكتساب ولاتصل التغابن الى
يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح
الظلامات مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف
التظالم مسلولا على ان يراع الانشاء متقول ويراع
الحساب متأول والمحاسب مناقش والمنشئ ابو براقش ولكليهما ابو براقش طاير يتلون
حمة حين يرقى الى ان يلقى ويذقي واعنات فيما ينشي الى ان
يغشى ويرشى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما
هم **قال الحارث** بن همام فلما امتع الاسماع بما راق وراع
استنسبناه فاستنزر وابى الانتساب ولو وجد منتسبا بالاح[illegible]
فحملت من لبسه على عمه حتى اذكرت العلامة فقلت والذي
سخر الفلك للدوار والفلك للسيار انك لابو زيد وان
كنت اعهد

ذا رواء وايد فتبسم ضاحكا من قولي وقال انا هو على انني كآله حالي
وحولي فقلت لاصحابي هذا الذي لا يفري فريه ولا يباري
عبقريه فخطبوا منه الود وبذلوا له الوجد فرغب عن الدلفة
ولم يرغب في التحفة وقال اما بعد ان سخفتم حتى لاجل تحفي
وكسفتم بالي لاخلاق سربالي فما اراكم الا بالعين
السخينة ولا لكم مني الا الصحبة السفينة **ثم انشد**
اسمع اخي وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله او خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي رضاه وبطشه
ويبين خلب برقه من صدقه للشائمين ووبله من طشه
فهناك ان تر ما يشين فواره كرما وان تر ما يزين فافشه
ومن استحق الارتقاء فرقه ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بان التبر في عرق الثرى خاف الى ان يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها من حكه لا من ملاحة نقشه

ومن الغباوة أن تعظّم جاهلا لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذّبا في نفسه لدروس بزّته ورثّة فرشه
ولكم أخي طمر هيّب لفضله ومفوّف البردين عيب لفحشه
وإذا الفتى لم يغش عارا لم تكن أسماله إلا مراقي عرشه
ما إن يضرّ العضب كون قرابه خلقا ولا البازي حقارة عشّه
ثم ما عتّم أن استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح
فندم كلّ منّا على ما فرّط في ذاته وأغضى جفنه على قذاته
وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصا لرثاثة برده وأن لا
نزدري سيفا مغمولا في غمده

المقامة الثالثة والعشرون البغدادية

حكى الحارث بن همّام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ الزمن
فأرقت كأس الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت في سيري
وعورا لم تدمّثها الخطا ولا اهتدت إليها القطا حتى وردت
حمى الخلافة

والحرم العاصم من المخافة فسروت إهاب الروع واستشعرت
وتسربلت لباس الأمن وشعاره وقصرت همّي على لذّة أجتنيها
وملحة أجتليها فبرزت يوما إلى الحريم لأروّض طرفي
وأجيل في طرفه طرفي فإذا فرسان متتالون ورجال
متتالون وشيخ طويل اللسان قصير الطيلسان قد لبّب
فتى جديدا لشباب خلق الجلباب فركضت إثرهما لنظاره حتى
وافينا باب الإمارة وهناك صاحب المعونة متربّعا في
دسته ومحتبيا بسمته فقال له الشيخ أعزّ الله الوالي
وجعل كعبه العالي إنّي كفلت هذا الغلام فطيما وربّيته
يتيما ثم لم آله تعليما فلما مهر وبهر جرّد سيف العدوان عليّ
ولم أخله يلتوي عليّ وينتحي حين ينتهي منّي ويلتحي فقال له الغلام
علام عثرت منّي حتى تنشر هذا الخبي عنّي فوالله ما سترت وجه
برّك ولا هتكت حجاب سرّك ولا شققت عصا أمرك ولا
ألغيت تلاوة شكرك فقال له الشيخ ويلك وأيّ ريب أخزى
من ريبك

وهل عيب أفحش من عيبك وقد ادّعيت سحري ذا الذي انتحلته
وانتحلت شعري الذي استرقته واستراق الشعر عند الشعراء
أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات
الأفكار كغيرتهم على البنات الأبكار فقال الوالي
للشيخ وهل خبرت سلخ أم نسخ أم مسخ فقال والذي جعل
الشعر ديوان العرب وترجمان الأدب ما أخذت سوى أن بتر
شمل شرحه وأغار على ثلثي سرحه فقال له أنشد أبياتك
بزمّتها ليتّضح ما اختزله من جملتها فأنشد

سلخ أخذ المعنا
نسخ نقله بعينه
مسخ قلب المعنا

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا بعدا لها من دار
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرّار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى بجلائل الأخطار
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمرّدا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجنّ وأولغت فيه المدى ونزت لأخذ الثار

فاربأ بعمرك أن يمرّ مضيّعا فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبّها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الأسرار
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدا ووثبة الغدّار
واعلم بأنّ خطوبها تفجا ولو طال المدى ووني سرى الأقدار

فقال له الوالي ثمّ ماذا صنع هذا قال أقدم للؤمه في الجزاء
على أبياتي السداسية الأجزاء فحذف منها جزئين ونقص من أوزانها
وزنين حتى صار الذي فيها دينين فقال بئس ما أخذ ومن أين فلذ
فقال أعرني سمعك وأخل للتفهّم ذهنك حتى تبين كيف أصلت
وتقدر قدر اجترامه إليّ ثمّ أنشد وأنفاسه تتصعّد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمرّدا
قلبت له ظهر المجنّ وأولغت فيه المدى

فإياك بعمرك أن تُرى مُضيِّعاً فيها سُدى
واقطع علاقة حبّها وطلابها تلقَ الهدى
وارفق إذا ما سالمت من كيدها حربُ العدى
واعلم بأنّ خطوبها تفجا ولو طال المدى

فالتفتا إلى الغلام وقالا له تبّاً لك من خرّيج مارق وتلميذ سارق فقال الفتى برئتُ من الأدب وبنيه وتخلّقتُ بمن يناويه ويقوّض مبانيه إن كانت أبياته نمّت إليّ قبل أن ألّف نظمي وإنما اتفق توارد الخواطر كما قد يقع الحافر على الحافر قال فكأنّ الوالي جوّز صدق زعمه فندم على بادرة ذمّه وظلّ يفكر فيما يكشف له عن الحقائق ويميّز به الفائق من المائق فلم يرَ إلا أخذهما بالمناضلة ولزّهما في قرن المساجلة فقال لهما إن أردتما افتضاح العاطل وانضاح الحقّ من الباطل فتراسلا في النظم وتباريا وتجاولا في حلبة الإجازة وتجاريا ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيّ عن بيّنة فقالا له بلسان واحد وجواب متوارد قد رضينا

بسبرك فمرنا بأمرك فقال إني مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما إلى الآن عشرة أبيات تلحمان بها بوشيه وترصّعانها بحليه وضمّناها شرح حالي مع إلف بديع الصفة ألمى الشفة مليح التثنّي كثير التجنّي مغرًى بتناسي العهد وإطالة الصدّ وإخلاف الوعد والتلاعب بالعبد قال فبرز الشيخ مجلّياً وتلاه الفتى مصلّياً وتجاريا بيتاً بيتاً فبنيا على هذا النسق إلى أن كمل نظم الأبيات واتّسق

وأحوى حوى رقّي برقّة لفظه وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدّى لقتلي بالصدود وإنني لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
أصدّق منه الزور خوف ازوراره وأرضى استماع الهجر خشية هجره
وأستعذب التعذيب منه وكلما أجدّ عذابي جدّ بي حبّ برّه
تناسى ذمامي والتناسي مذمّة وأحفظ قلبي وهو حافظ سرّه
وأعجب ما فيه التباهي بعجبه وأكبر عذري أنّ فوه بكبره
له منّي المدح الذي طاب نشره ولي منه طيّ الودّ من بعد نشره

ولو أن عذلا ما جنى وفلاحا على وعبري جيبي رشته ...

ولولا تشبث عيني بدارا إلى من أجتلي نور بدره
وإني على نشر بغيه امرؤ وأين أرى المرحلوا في انقيادي لأمره

فلما أنشدا ما ألوا إلى منزا سلين بهت لذكائهما المتعادلين وقال أشهد بالله أنكما فرقدا سماء وكزندين في وعاء وأن هذا الحدث لينفق مما آتاه الله ويستغني بوجه عن سواه فتب أيها الشيخ من اتهامه وثب إلى إكرامه فقال الشيخ هيهات أن تراجعه ثقتي أو تعلق به ثقتي وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق والتشنيع فاعترضه الفتى وقال يا هذا إن اللجاج شوم والحنق لوم وتحقق الظنة إثم وإعنات البري ظلم وهبني اقترفت جريرة أو اجترحت كبيرة أما تذكر إذ أنشدتني لنفسك في باب أنسك

سامح أخاك إذا خلط منه الإصابة بالغلط
وتجاف عن تعنيفه إن زاغ يوما أو قسط
واحفظ صنيعك عنده شكر الصنيعة أم غمط
وأطعه إن عاصى وهن إن عز وادن إذا شحط
واقن الوفاء ولو أخل بما اشترطت وما اشترط
واعلم بأنك إن طلبت مهذبا رمت الشطط
من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
أوما ترى المكروه والمحبوب لزا في نمط
كالشوك يبدو في الغصون مع الجنى المتلقط
ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط
ولو انتقدت بني الزمان وجدت أكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض نضنضة الصل ويحملق حملقة البازي المطل ثم قال والذي زين السماء بالشهب وأنزل الماء من السحب ما رفعي عن الاصطلاح إلا لتوقي الافتضاح فإن هذا الفتى اعتاد أن أمونه وأنا عيي شؤونه وقد كان الدهر يسح فلم أكز الشح فأما الآن فالوقت عبوس والعيش بوس حتى إن يدي هذه عارية وبيتي لا تطور به فارة قال فرق لمقالهما قلب الوالي وأوى لهما من غير الليالي وصبا إلى اختصاصهما بالإسعاف وأمر المتصادين بالانصراف

قال الراوي وكنت معشوقا إلى مرأى الشيخ لعلي أعلم علمه

إذا عاينت وسمه ولم يكن الزحام يسفر عنه ولا يفرج
لي فأدنو منه فلما تقوّضت الصفوف وأجفل الوقوف
توسّمته فإذا هو أبو زيد والفتى فتاه فعرفت حينئذٍ مغزاه
فيما أتاه وكدت أنقضّ عليه لأستعرف إليه فزجرني بإيماض
طرفه واستوقفني بإيماء كفّه فلزمت موقفي وأخّرت منصرفي
فقال الوالي ما أمرك ولأيّما سبب مقامك فاستبله الشيخ
وقال إنه أنيسي وصاحب ملبوسي فتسمّح حينئذٍ بتأنيسي ورخّص
في جلوسي ثم أفاض عليهما خلعتين ووصلهما بنصاب من العين
واستعهدهما أن يتعاشرا بالمعروف إلى ظلال اليوم
المخوف فنهضا من ناديه مشيدين بشكر أياديه وتبعتهما
لأعرف مثواهما وأتزوّد من نجواهما فلما أجزنا حمى الوالي
وأفضينا إلى الفضاء الخالي أدركني أحد جلاوزته مهيبا بي
إلى حوزته فقلت لأبي زيد ما أظنه استحضرني إلا ليستخبرني
فماذا أقول وفي أيّ وادٍ معه أجول فقال بيّن له غباوة قلبه

وتلعابي بلبّه ليعلم أنّ ريحه لاقت إعصارا وجدوله
تيّارا فقلت أخاف أن يتّقد غضبه فيلفحك لهبه أو
يستشري طيشه فيسري إليك بطشه فقال إني أرحل إلى
الرها وأنّى يلتقي سهيل والسها فلما حضرت الوالي
وقد خلا مجلسه وانجلى تعبّسه أخذ يصف أبا زيد وفضله
ويذمّ الدهر له ثم قال نشدتك الله ألست الذي أعاره
الدست فقلت والذي أحلّك في هذا الدست ما أنا بصاحب
ذلك الدست بل أنت الذي تمّ عليه الدست فازورّت مقلتاه
واحمرّت وجنتاه وقال والله ما أعجزني قطّ فضح مريب ولا
تكشيف معيب ولكن ما سمعت بأنّ شيخا دلّس بعد ما تطلّس
فبهذا تمّ له أن لبّس فتنبّئني أن سمع ذلك اللكع فلأن أشفق
منك لتقيّي طوده فظعن عن بغداد من فوره فقال لا قرّت
له نوى ولا كلأه ابن ثوى فما أولت أشدّ من نكره ولا
دنت أمرّ من مكره ولولا حرمة أدبه لأوغلت في طلبه

الى ان ينبع ما وقع به واني لاكره ان تشيع فعلته بمدينة
السلام فافتضح بين الانام ويحبط مكانتي عند الامام واصير
ضحكة الخاص والعام فعاهدني على ان لا تفوه بما اعتمد
دمت جلاء هذا البلد قال الحرث بن همام فعاهدته معاهدة
من لا يتاول ووفيت له كما وفى السموال ❊

المقامة الرابعة والعشرون القطيعية محلة من محال بغداد فيها الاحاجي

حكى الحرث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في ابان الربيع
فتية وجوههم ابهج من نواره واخلاقهم ابهج من ازهاره
والفاظهم ارق من نسيم اسحاره فاجتليت منهم ما يزري
على الربيع الزاهر ويغني عن رنات المزاهر وكنا تقاسمنا
على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وان لا ينفرد احدنا
بالتذاذ ولا يستاثر ولو بزاد فاجمعنا في يوم سما دجنه
وبنى حسنه وحكم بالاصطباح مزنه على ان نلتهي بالخروج

الى بعض المروج لنسرح النواظر في النواضر ونصقل الخواطر بشيم
المواطر فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندماني جذيمة
مودة الى حديقة اخذت زخرفها وازينت وتنوعت
ازاهيرها وتلونت ومعنا الكميت والشموس والسقاة
الشموس والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه ويقري
كل سمع ما يشتهيه فلما اطمان بنا الجلوس ودارت علينا
الكؤوس وغل علينا ذمر عليه طمر فجهمناه تجهم العيد
الشيب وخلنا صفو يومنا قد شيب الا انه سلم تسليم
اولي الفهم وجلس يفض لطائم النثر والنظم ونحن نتزوى
من انبساطه وننبري لطي بساطه الى ان غنانا شادينا المغرب بهذين

الدم سعاد لا تصلين حبلي ولا تاوين لي بما الاقي
صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي
وها انا قد عزمت على انتصاف اساقي فيه خلي ما يساقي
فان وصلا الذ به فوصل وان صرما فصرم كالطلاق

قال فاستفهمنا العائب بالمثاني لم نصب الوصف الأول

ورفع الثاني فأقسم بتربة أبويه لقد نطق بما اختاره سيبويه

فتشعبت حينئذ آراء الجمع في تجويز النصب والرفع فقالت

فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طائفة لا يجوز فيهما

إلا الانتصاب واستبهم على آخرين الجواب واستعر بينهم

الاصطخاب وذلك اللوذعي يبدي ابتسام ذي معرفة وأنكر

بقه ببنت شفه حتى إذا سكنت الزماجر وصمت المزجور

والزاجر قال يا قوم أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول

من عليله إنه ليجوز رفع الوصفين ونصبهما والمغايرة

في الإعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الإضمار وتقدير

المحذوف في هذا المضمار قال فنفرط من الجماعة إفراط في

مماراته والانخراط إلى مباراته فقال أما إذ دعوتم نزال

فلتبتم للنضال فما كلمة هي إن شئتم حرف محبوب أو اسم لما فيه

حرف حلوب وأي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم

وأية هاء إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين تدخل

السين فتعزل العامل من غير أن تخامل وما منصوب أبدا على

الظرف لا يخفضه سوى حرف وأي مضاف أخل من عرى الإضافة

بعروة واختلف حكمه بين مساء وغدوة وما العامل الذي

يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه مثل عمله وأي عامل نائبه

أرحب منه وكرا وأعظم مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا وفي أي

موطن يلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال

بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب وما اسم

لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين وفي

وضعه الأول التزام وفي الثاني إلزام وما وصف إذا أردف

بالنون نقص صاحبه في العيون وقوم بالدون وخرج من الزبون

وتعرض للهون فهذه ثنتا عشرة مسألة وفق عددكم ووزن لددكم

وإن عدتم عدنا ولو زدتم زدنا قال المخبر بهذه الحكاية فورد علينا

من أحاجيه اللاتي هالت لما انثالت ما حارت له الأفكار وكادت تعنزز

فلما أعجزنا العوم في جره، واستسلمت تمائمنا لسحره،
عدلنا من استثقال الرؤية له، إلى استنزال الرواية عنه،
ومن بغي التبرم به، إلى ابتغاء التعلم منه. فقال: والذي
نزل النحو في الكلام، منزلة الملح للطعام، لا أنلتكم
مراما، ولا شفيت لكم غراما، أو تخولني كل يد، وتختصني
كل منكم بيد. فلم يبق في الجماعة إلا من أذعن لحكمه، ونبذ
له خباءة كمه. فكشف حينئذ من أسرار ألغازه، وبدائع
إعجازه، ما جلا به صدأ الأذهان، وجلى مطلعه بنور البرهان.
قال الراوي: فبينما نحن نهيم، ونعجب إذ أجبنا، وندمنا على
ما ند منا، أخذنا نعتذر إليه اعتذار الأكياس، ونعرض
عليه انتضاع الكاس، فقال: مأرب لا حفاوة، ومشرب لم
يبق له عندي حلاوة. ثم شمخ بأنفه صلفا، ونأى بجانبه أنفا، وأنشد:

نهاني الشيب عما فيه أفراحي … فكيف أجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة … وقد أنار مشيب الرأس إصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت … روحي بجسمي وألفاظي بإفصاحي
ولا اكتست لي بكاسات الشمول يد … ولا أجلت قداحي بين أقداح
ولا صرفت إلى صرف ومشعشعة … همي ولا رحت مرتاحا إلى راح
ولا نظمت على مشمولة أبدا … شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي
محا المشيب مراحي حين خط على … رأسي فأبغض به من كاتب ماح
ولاح يلحي على جري العنان إلى … ملهى فسحقا له من لائح لاح
ولو لهوت وفودي شائب لخبا … بين المصابيح من غسان مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم … والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم إنه انساب انسياب الأيم، وأجفل إجفال الغيم، فعلمت
أنه سراج سروج، وبدر الأدب الذي يجتاب البروج، وكان
قصارانا التحرق لبعده، والتفرق من بعده.

تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية

أما صدر البيت الأحجي من الأغنية التي هو فان وفلان الذي

المرء مجزي بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر وهذه المسألة أوردها
سيبويه في كتابه وجوّز في إعرابها أربعة أوجه: أحدها وهو
أجودها أن تنصب خيرا الأول وترفع الثاني وتنصب شرا الأول
وترفع الثاني ويكون تقديره إن كان عمله خيرا فجزاؤه خير
وإن كان عمله شرا فجزاؤه شر فينتصب الأول على أنه خبر كان
ويرتفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف وقد حذفت في هذا الوجه
كان واسمها لدلالة حرف الشرط الذي هو إن على تقديرهما
وحذفت أيضا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط
عليه لأنه كثيرا ما يقع بعدها: والوجه الثاني أن تنصبهما
جميعا ويكون تقدير الكلام إن كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا
وإن كان عمله شرا فهو يجزى شرا فينتصب الأول على أنه خبر كان
وينتصب الثاني انتصاب المفعول به: والوجه الثالث أن ترفعهما
جميعا ويكون تقدير الكلام إن كان في عمله خير فجزاؤه خير فيرتفع
خير الأول على أنه اسم كان ويرتفع الثاني على أنه فاعل كان
كان

المقدرة ههنا هي التامة التي تأتي بمعنى حدث ووقع ولا تحتاج إلى الخبر
كقوله تعالى وإن كان ذو عسرة ويكون التقدير في المسألة
إن كان خير فجزاؤه خير أي إن حدث خير فجزاؤه خير: والوجه الرابع
وهو أضعفها أن ترفع الأول على ما تقدم شرحه في الوجه
الثالث وتنصب الثاني على ما بيّن ذكره في الوجه الثاني ويكون
التقدير إن كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى حسب هذا التفسير
والمقدرات المحذوفات فيه يجري إعراب هذا البيت الذي
ومما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به إن سيفا
فسيف وإن خنجرا فخنجر. **وأما الكلمة** التي هي حرف محبوب
أو اسم لما فيه حرف حلوب فهي نعم إذا أردت بها تصديق الأخبار
أو العدة عند السؤال فهي حرف وإن عنيت بها الإبل فهي اسم
والنعم تذكر وتؤنث وتطلق على الإبل وعلى كل ما يشبهها
إبل وفي الإبل الحرف وهي الناقة الضامر سميت حرفا تشبيها لها
بحرف السيف وقيل إنها الضخمة سميت تشبيها لها بحرف الجبل

وأما الاسم

المتردد بين فرد حازم وجمع ملازم فهو سراويل قال بعضهم هو
واحد وجمعه سراويلات فعلى هذا القول هو فرد وكني عن ضمه
الخصر بانه حازم وقال آخرون هو جمع وواحده سروال مثل
شملال وشماليل فهو على هذا القول جمع ومعنى قولنا ملازم
اي لا ينصرف وانما لم ينصرف هذا النوع من الجمع وهو كل جمع
ثالثه الف بعدها حرف مشدد او حرفان او ثلثة لثقله وتفرده
دون غيره من الجموع بانه لا نظير له في الاسماء الاحاد واما الها التي
اذا التحقت اماطت التفرد واطلقت المثقل فهي الها التي الحقه بالجمع
المتقدم ذكره كقولنا صياقلة وصيارفة فينصرف هذا الجمع عند
التحاق الها به لانها قد اصارته الى مثال الاحاد كقوله فاهية
وكراهية فخففت هنا السبب وصرف هذه العلة وقد يكفي
هذه الاجنبية عما لا ينصرف بالمثقل كما يكفي في التي قبلها عما لا ينصرف
بالملازم واما السين التي تعزل لها ما من عمل ان تجامل هي اذا
دخلت على الفعل المستقبل وفصلت بينه وبين ان التي كانت قبل
دخولها

التي

من ادوات النصب فيرتفع حينئذ الفعل وتستقل ان عن كونها الة
للفعل وذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره
علم انه سيكون واما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى
حرف فهو عند اذ لا تجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى
عنده فهو لحن واما المضاف الذي لا يخل من الاضافة بعروة
خلف حكمه بين مساء وغدوة فهو لدن ولدن من الاسماء
الملازمة للاضافة وكل ما ياتي بعدها مجرور بها الا غدوة فان
العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالهم اياها في الكلام ونونوها
ايضا لتبيين بذلك انها منصوبة لا انها من نوع المجرور الا انها لا
تنصرف وعند بعض النحويين ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما
فرقا لطيفا وهو ان عند يشمل معناها على ما هو في ملكك و
مما دنا منك وبعد عنك ولدن يختص معناها ما حضرك وقرب منك
واما العامل الذي يتصل آخره بالواو ويعمل معكوسه مثل عمله فهو
يا ومعكوسها اي وكلتاهما من حروف النداء وعملهما في الاسم المنادى
بيتان وان

أن كانت الباء أدور في الكلام وأكثر في الاستعمال وأما العامل
الذي تأتيه أرحب منه وكرًا وأعظم مكرًا وأكثر لله تعالى ذكرًا
فهو باء القسم وذلك أن الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها
مع ظهور فعل القسم في قولك أقسم بالله ولدخولها أيضا على المضمر
كقولك بك لأفعلن ثم قد أبدلت الواو منها في القسم لأنهما جميعا
من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لأن الواو تفيد الجمع والباء
تفيد الإلصاق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من
الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام ولهذا ألغز بأنها أكثر لله
تعالى ذكرًا ثم إن الواو أكثر موطنًا من الباء لأن الباء لا تدخل
إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل
والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب وتنتظم أيضا مع
ناصب الفعل وأدوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم
المكر وأما الموطن الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان
وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال فهو أوان مراتب العدد المضاف
وذلك ما بين

الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها
كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والهاء في غير
هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك قائم وقائمة وعالم وعالمة
فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث حتى
انقلب كل واحد منهما في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه وأما الموضع
الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبه
الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو في أحدهما
وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى أو من أسماء الإشارة
نحو ذاك وهذا فيجب لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته
ليعرف الفاعل منهما بتقدمه والمفعول بتأخره وأما الاسم الذي
لا يفهم إلا بإضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين فهو
مهما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي بمعنى اكفف
ومن ما والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيدت عليها ما
أخرى كما تزاد على إن فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين
بلفظ واحد

فإذا دخلوا بين ألف ما الأولى لها اقتضاء ثانٍ مهما ومهما من أدوات
الشرط والجزاء ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى
إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل أفعل وتكون حينئذ
للفعل وإن اقتصرت منهما على حرفين وهما ما التي بمعنى اكفف فهم
المعنى وكنت ملتزمًا من خاطبته أن يكف وأما الوصف الذي إذا
ردف بالنون نقص صاحبه في العيون وقوّم بالدون وخرج من
الحرز وتعرض للهون فهو ضيف إذا لحقته النون استحال إلى ضيفن وهو
الذي يتبع الضيف ويتنزل في النقد منزلة الزيف

المقامة الخامسة والعشرون
الكرجية بلد العجم

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين أقتضيه وأرب أقضيه
فبلوت من شتائها الكالح وصرها الناقح ما عرّفني جهد البلاء
وعكفني على الاصطلاء فلم أكن أزايل وجاري ومستوقد ناري
إلا لضرورة أدفع إليها أو إقامة جماعة أحافظ عليها
واضطررت

في يوم جوّه مزمهر ودجنه مكفهر إلى أن برزت من كناني لمهم عناني
فإذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة وقد اعتم بريطة واستثفر
بفويطة وحوله جمع كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري ... أصدق من عريي وإذ القرّ
فاعتبروا بما بدا من ضري ... باطن حالي وخفي أمري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر ... فإنني كنت نبيه القدر
آوي إلى وفر وحدّ يبري ... تفيض صفري وتبيض سمري
وتشتكي كومي عداة أقري ... فجرّد الدهر سيوف الغدر
وشنّ غارات الرزايا الغبر ... ولم يزل يسحتني ويبري
حتى عفت داري وغاض درّي ... وبار شعري في الورى وشعري
وصرت نضو فاقة وعسر ... عاري المطا مجرّدًا من قشري
كأنني المغزل في التعري ... لا دفء لي في الضرّ والصنبر
غير التضحي واصطلاء الجمر ... فهل خضمّ ذو رداء غمر
يسترني بمطرف أو طمر ... طلاب وجه الله لا لشكري

الكوما الناقة العظيمة السنام

ثم قال يا أرباب الثراء الرافلين في الفراء من أوتي خيرا
فلينفق ومن استطاع أن يرفق فليرفق فإن الدنيا غدور والدهر
عثور والمكنة زورة طيف والفرصة مزنة صيف وإني
والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت الأهب له قبل موافاته
وها أنا اليوم يا سادتي ساعدي وسادتي وجلدتي بردتي وحفنتي
جفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي فإن السعيد
من اتعظ بسواه واستعد لمسراه قبل له قد جلوت علينا
أدبك فاجل لنا نسبك فقال تبا لمفتخر بعظم نخر إنما الفخر
بالتقى والأدب المنتقى ثم أنشد

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه على ما تقضّى يومه لا ابن أمسه
وما الفخر بالعظم الرميم وإنما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محقوقفا واجرنثم مقفقفا وقال اللهم يا من عمر
بنواله وأمر بسؤاله صل على محمد وآله وأعني على البرد وأهواله
وأتح لي حرا يؤثر من خصاصة ويواسي ولو بنفاضة قال الراوي
فلما جلى عن

النفس العصامية والملح الأصمعية جلت ملامح غمته وتمت من نجمه
ترجمته حتى استبنت أنه أبو زيد وأن تعريه أحبولة صيد ولمح
هو أن عرفاني قد أدركه ولم يملك أن يهتكه فقال أقسم
بالسمر والقمر والزهر والزهر إنه لن يستر البرد إلا من طالت جمته
واشرأب ما المروءة أبهمه فعقلت ما عناه وأن لو بذرا لقوم
معناه وساءني ما يعانيه من الرعدة واقشعرار الجلدة وبها بنا
لفروة هي بالنهار رياش وفي الليل فراش فنضوتها عني وقلت له
أقبلها مني فما كذب أن فراها وعيني تراها ثم أنشد

لله من ألبسني فروة أضحت من الرعدة لي جنة
ألبسنيها واقيا مهجتي وقي شر الإنس والجنة
سيكسبني اليوم ثنائي وفي غد سيكسى سندس الجنة

قال فلما فتن قلوب الجماعة بافتنانه في البراعة ألقوا إليهم من
الفراء المغشاة والجباب الموشاة ما آده ثقله ولم يكد يقله
فانطلق مستبشرا بالفرج مستنشقا للكرج وتبعته إلى حيث
أذن تقعنا لتلقيه

وبدت السماء نقية فقلت له لشد ما قرسك البرد فلا تغتر
من بعد فقال ويك ليس من العدل سرعة العذل فلا تعجل
بلوم هو ظلم ولا تقف ما ليس لك به علم فوالذي نور الشيبة
وطيب تربة طيبة لولم أتعر لدخت بالجبة وصفر العيبة
ثم نزع إلى الفرار وتبرقع بالاكفهرار وقال أما تعلم أن شنشنتي
الانتقال من صن إلى صيف والانعطاف من عمرو إلى زيد وإذ أك
قد عفتني وعففتني وأفتني أضعاف ما أفدتني فأعفني عافاك الله من
لغوك واشدد يدي باب جدك ولهوك بجذته جنب التلعابة
وجمجمت به للدعابة وقلت له والله لولم أوارك وأغط على
عوارك لما وصلت إلى الصلة ولما انقلبت أكسى من بصلة فجازني
على إحساني إليك وسترتي لك وعليك بأن تسمح لي ببرد الفروة
أو تعرفني كما فات الشتوة فنظر إلي نظر المتعجب وازمهر ازمهرار
المتغضب ثم قال أما رد الفروة فأبعد من رد أمس الدابر والميت
الغابر وأما كما فات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك وأوهى
وعاء خزنك

حتى أنبئت ما أنشدتك بالدسكرة لابن سكرة :.
جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلى بعد الكباب وكس ناعم وكسا
ثم قال الجواب شيء خرج من جلباب بدني فاكتف بما وعيت وانكفي
ففادته وقد ذهبت فروتي لشقوتي وحصلت على الرعدة طول أسبوع

المقامة السادسة والعشرون
الأهوازية بلد بخوزستان

حدث الحارث بن همام قال حللت سوق الأهواز لابسا حلة الإملاق
فلبثت فيها مدة أكابد شدة وأزجي أياما مسودة إلى أن رأيت
تمادي المقام من دواعي الإسقام فرمقتها بعين القالي وفارقتها
مفارقة الطلل البالي وظعنت عن وشلها كميش الإزار
إلى المياه الغزار حتى إذا سرت منها مرحلتين وبعدت سيري
ترات لي خيمة مضروبة ونار مشبوبة فقلت آتيها لعلي أنقع
صداي أو أجد على النار هدى فلما انتهينا إلى ظل الخيمة رأيت
غلمة روقة

وشارة مرموقة وشيخا عليه بزة سنية ولديه فاكهة جنية
فحييته ثم جاملته فضحك إلي وأحسن الرد علي وقال اجـ
لس الى من نزوره فاكتنه وتشوق مفاكهته فجلست لاغتنام
مخاصته لا لالتهام ما يحضى به فحين سفر عن ادابه وكشر
عن انيابه عرفت انه ابو زيد بحسن ملحه وقبح قلحه فتعارفنا
حينئذ وحفت بي فرحتان ساعتئذ ولم ادر ايهما انا اصفى
فرحا واوفى مرحا ابانكشاف دجنة اشجاني ام بخصب رحاله
بعد امحاله وتاقت نفسي الى ان افحص عن سره وابطن داعية
يسره فقلت له من اين انيابك والى اين انسيابك وبم امتلأ عيابك
فقال اما المقدم فمن طوس واما المقصد فالى السوس واما
الجدة التي اصبتها فمن رسائل اقتضبتها فسالته ان يفرشني
دخلته ويسرد علي رسالته فقال دون مرامك حرب البسوس او
تصحبني الى السوس فصاحبته اليها قهرا وعكفت عليه بها شهرا
وهو يعلني كاسات التعليل ويجرعني اعنة التاميل حتى اذا
خرج صدري

وعيل صبري قلت له انه لم يبق لك علة ولا لي بالمقام تعلة وفي غل
ازجر غراب البين وارحل عنك بخفي حنين فقال حاش لله ان
اخلفك او اخالفك وما ارجات ان احدثك الا لابثك
واذا كنت قد استربت بعداتي واغراك ظن السوء بمباعدتي
فاصخ لقصص سيرتي المستمرة واصغها الى اخبار الفرج بعد
الشدة فقلت هات فما اطول طيلك واهول حيلك
فقال اعلم ان الدهر العبوس القاني الى طوس وانا يومئذ
فقير وقير لا فتيل لي ولا نقير فالجاني صفر اليدين الى التطوف
بالبين فادتني لسوء الاتفاق ممن هو عسر الاخلاق وتوهمت
تسني النفاق فتوسعت في الانفاق فما افقت حتى لهظني دين
حقه ولا زمني مستحقه فجزت في امري واطلقت عيني علي
عسري فلم يصدق املاقي ولا نزع عن ارهاقي بل جد في التقاضي
ولج في اقتيادي الى القاضي وكلما خضعت له في الكلام واستنزلت منه
رفق الكرام ورغبته في ان ينظرني بمياسرة او ينظرني الى
ميسرة

نقال لا تطمع في الانتظار واختار الانتصار فوحقك ما ترى
مسالك الخلاص او تريني سبائك الخلاص فلما رأيت اخذ
لدده وان لا مناص لي من يده شاغلته ثم واثبته ليرفعني
إلى والي الحرام لا إلى الحاكم في المظالم لما كان يبلغني من افضال
الوالي وفضله وتشدد القاضي وبخله فلما حضرنا باب
أمير طوس آنست لا بأس ولا بؤس فاستدعيت دواة وبيضاء
وانشأت لبنه رسالة رقطا وهي أخلاق سيدنا الحبيب
وبعقوبه يلب وقرنه يجب ونابه يتلف وخلته يستب ونطيقته
نصب وغربه ذلق وشهبه تأتلق وظلفه نار وقوم بهجه بار
وذهنه ثلب وجرب ونعته شرق وغرب ∴
سبب قلب سوق مر فطن معزب عزوف عبوف
مخلف متلف اغر فرند نابه فاصل زكي انوف
مقلق اذا نطق اذا ناب هياج وجل خطب مخوف
مناظم شرفه تأتلق وسوبوب حبابه يكف ونايل يديه فاض
قلبه غاض

وخلف سخايه مختلب وذهب عيابه مجترب من كف لفه فلج وعلب
وناجر بابه جلب وخلب كف عن همه نهى وفي شي مزد نبن غوى وقد
لبانه بعز ونكب عن مذهب كر ليس بوثاب عند لهو شر تل يعف عفه بر ∴
فلنا يجب وشنيء عفافه شغفا به قلبا به خلاب
اخلافه عن ترف وفوقه فوق اذا انا صلته غلاب
بسج بفتن ودونه وازهفا خل فليس بخفه بزتاب
لا باجل بل باذل خر واذ اتقى بر لا يليه تاب
ان عز اذل فل غرب عضاضه بمنابه فالحب منه ناب
وجد بر يمن لب وفطن وقرب وشطن اذا ذعر لغريع زمن وجابر
مد رضع ثنى لبانه حضر باقاضه نقتنا به نعشق وتبع وطا
فانهج ونافر فاذنج وفاخو ابلج اثعب من سيلي وقرط اذ
اذهر وبلي ونوح صفاته نجيب عفاته ∴
ولا خلاف ذا الهجة ممتد طلب خصبه
فانه بر بمن ابن صنو شهبه ∴
دان منا ناظره بليس خوف ذنبه

فليهن سيدنا فوزه بمفاخر تأثلت وجلت وفوته بصنايع
نمت ونمت : وبدايم قرب حضرته غوث رفقه فانه يلبذ بذب
وشرير جذب وجرح ثوب اثرت وناظم قلايد تسير اذا
جاش بخطبته فلذ بوخذ قايلهم فس ثم باقل فان خبر فلت
نميت وجلت ربا ضافا قد نمت : هذا ثم شبه برض وفوته قرض
وفلقه عشو وجلبابه خلق وقد قلو لتوغر غيم غاشم يشنجنه بحق
لا زم فان من سيدنا بكفه بحبان كفه توشح بمجد باق وبما
باجر فكى من وثاق لا خلت سجايا خلقه برقد شابه برقه بمن
رب ازلي حي ابدي : فلما استشف الامير لالبها ولمح السر
المودع فيها اوعز لي بالكال بغضها دني وفصل ما بين خصمي وبيني
ثم استخلصني لمكاثرته واختصني باثرته فلبثت بضع سنين
انعم في نعم صافيته وارتع في ريف دافيته حتى اذا غمرني موهبه
واطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال على ما نفي من حسن الحال
قال فقلت له فتشكر المن اباح لك لقيا الشيخ الكريم وانقذك
من ضغطه

الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص من الخصم الالد
ثم قال انما اخبئ اليك ان احتبيك من العطا او احفك
بالرسالة الدفطا قلت املاء الرسالة احب الي فقال وهو
اخف علي فان تحمله ما يلحي بالاذى اذ ان اهون من تحمله ما ببهظ
من الاذى ثم كانه انف واستحيا الجمع بين الرسالة
والاخذ بالفقرة منه بسهمين وفصلت عنه بغنمين واتيت الى وطني
قرير العين بما حزت من الرسالة والعين

المقامة السابعة والعشرون الوبرية

حكى الحارث بن همام قال ملت في ريق زماني الذي غبر
الى مجاورة اهل الوبر لاخذ اخذ نفوسهم الابية والسنتهم العربية فشمرت
تشمير من لا يالوا جهدا وجعلت اضرب في الارض غورا ونجدا
الى ان انتجعت جمة من الراعية وثلة من الثاغية ثم اويت
الى عرب ذوي اقبال ابناء اقوال فاوطنوني امنع جناب وفلوا
عني حد

كل ناب فما نابني عندهم هم ولا قرع صفاتي سهم الى ان
اضللت في ليلة منيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم اطب
نفسا بالغاء طلبها والقاء حبلها على غاربها فتبذرت فرسا
محضارا واعتقلت لدنا خطارا وسرت ليلتي جمعاء اجوب
البيد واقتري كل شجر ومرد الى ان نشر الصبح راياته
وحيعل الداعي الى صلاته فنزلت عن متن الركوبة لاداء
المكتوبة ثم جلت في صهوتها وفررت عن شحوتها وسرت
لا ارى اثرا الا قفوته ولا نشزا الا علوته ولا واديا
الا جزعته ولا راكبا الا استطلعته وحظي مع ذلك يزداد
هدرا ولا اجد وردا ولا صدرا الى ان حانت صكة عمي ولفح حر
يذهل غيلان عن مي وكان يوما اطول من ظل القناة واحر
من دمع المقلاة فايقنت اني ان لم استكن من الوقدة واستجم
بالرقدة اذ تعنى اللغوب وعلقت بي شعوب فعجت الى سرحة
كثيفة الاغصان وريقة الافنان لاغور تحتها الى المغيربان

فوالله ما استروح نفسي ولا استراح فرسي حتى نظرت الى سانح في قمة
سائح وهو ينتجع نجعتي ويشتد الى بقعتي فكرهت انعياجه
الى معاجي واستعذت بالله من شر كل مفاجي ثم ترجيت ان
يكون نصرا منشدا او يبدو امرا مرشدا فلما اقترب من سرحتي وكاد
يحل بساحتي الفيته شيخنا السروجي متشحا بجرابه و[illegible]
اهبة بجوابه فانسني اذ ورد وانساني ما شرد ثم [illegible]
من اين اثره وكيف عجره وبجره فانشد بديها ولم يقل ابها

قل لمستطلع دخيلة امري لك عندي كرامة وعزا زه
انا ما بين جوب ارض فارض وسرى في مفازة فمفا زه
زادي الصيد والمطية نعلي وجهازي الجراب والعكا زه
فاذا ما هبطت مصرا فبيتي غرفة الخان والنديم جزا زه
ليس لي ما اسا ان فات او احزن ان حاد ولا الزمان ابتزا زه
عبرا اني ابيت خلوا من الهم ونفسي عن الاسى منحا زه
ارقد الليل ملء جفني وقلبي بارد من حرارة وحزا زه

لا أبالي من أي كأس تفوّقت ولا ما حلاوة من مرّ زه
لا ولا أستجيز أن أجعل الذلّ مجازاً إلى تسنّي جا زه
وإذا مطلب كسا حلّة العار فبعداً لمن يروم نجا زه
ومتى اهتزّ للدنايا نكس عاف طبعي طباعه واهتزا زه
فالمنايا ولا الدنايا وخير من ركوب الخنا ركوب الجنا زه
ثم دفع إلى شطري طرفه وقال لأمرٍ ما جدع قصير أنفه فأخبرته خبر
لتفاقم نافقتي السارحة وما عانيته في يومي والبارحة فقال دع الإ
لى ما فات والطماح إلى ما طاح ولا تأس على ما ذهب ولو
أنه وادٍ من ذهب ولا تستمل من مال عن نجدك وأضرم نار
تباريحك ولو كان ابن بوحك أو شقيق روحك ثم قال هل لك
في أن تقيل وتتحامى القال والقيل فإن الأبدان لا بدّ أن تضاغب والهاجرة
ذات لهب ولن يصقل الخاطر وينشّط الفاتر كقائلة الهواجر
وخصوصاً في شهري ناجر فقلت ذاك إليك وما أريد أن أشقّ
عليك فافترش الترب واضطجع وأظهر أنه قد هجع وأنفقت
على أن

أخرج ولا أنعس فأخذتني السِّنة لمّا رُمت ألّا أسنه فلم أفق إلّا والليل
قد تولّج والنجم قد تبلّج ولا السروجيّ ولا المسرج فبتّ
بليلة نابغية وأحزان يعقوبية أساور الوجوم وأساهر
النجوم أفكّر تارة في رحلتي وأخرى في رجعتي إلى أن وضح لي
عند افترار ثغر الضوء في وجه الجوّ راكب تخدي في الدوّ فألمعت
إليه بثوبي ورجوت أن يعرّج إلى صوبي فلم يعبأ بالماعي
ولا أوى لالتياعي بل سار على هينته وأصماني بسهم إهانته
فأوفضت إليه لأستردفه وأحتمل تغطرفه فلمّا أدركته
بعد الأين وأجلت فيه مسرح العين وجدت ناقتي مطيّته
وضالّتي لقطته فما كذبت أن أذريته عن سنامها وجاذبته
طرف زمامها وقلت أنا صاحبها ومضلّها ولي رسلها ونسلها
فلا تكن كأشعب فتتعب وتتعب فأخذ يلدغ ويصئي ويتنح
ولا يستحي وبينا هو يبرق ويلمع ويستأسد ويستكين إذ
غشينا أبو زيد لابساً جلد النمر وهاجماً كالسيل المنهمر

أن يكون يومه كأمسه وبدوه مثل شمسه فالحق بالقارظين

وأصير خبرا بعد عين فلم أنا لا إن ذكرته العهود المشبة

والفعلة الأسيّة وناشدته الله أوَ أفي اليوم تلتك أو

أم ما فيه إثلاد في فقال معاذ الله أن أجهز على مكلوم أو

أصل حروري بسموم بل أبتدي لأخبرتكه جالك وأكون

يمينا لشمالك فسكن عند ذلك جاشي وانجاب استيحاشي

فأطلعته طلع اللقحة وبرقع صاحبي بالفحة فنظر إليه نظر

العربية إلى الفريسة ثم أشرع قبله الرمح وأقسم له بمن

أنار الصبح لئن لم ينح منجا الذباب ويبرز من الغنيمة بالإياب

ليوردن سنانه وريده وليفجعن به وليده ووديده

فنبذ زمام الناقة وجار وأفلت وله حصاص فقال لي

أبو زيد تسلّمها وتسنّمها فإنها إحدى الحسنيين وبل أحوى

من ذي بليين قال الحارث بن همام فحرت بين لوم أبي زيد وشكره

وزنة نفعه بضره فكأنه توسم بذات صدري أو تكهن ما خامر

سري

فقابلني بوجه طليق وأنشد بلسان ذليق

يا أخي الحامل ضيمي دون إخواني وقومي

إن يكن ساءك أمسي فلقد سرك يومي

فاغتفر ذاك لهذا واطّرح شكري ولومي

ثم قال أنا بنو وأنت منق فكيف نتفق ولي بقيي أديم الأ

وبرّكض طرفه أيما ركض فما عدوت أن اقتعدت مطيتي وعد

لطيتي حتى وصلت إلى حلتي بعد اللتيا والتي

تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله ربّق زماني يعني أوثقه وربقه وقد يشدّد فيقال ربّق

وقوله لأخذ إخذ نفوسهم يعني أفتدي بهم يقال منه أخذ إخذه

وأخذه بكسر الهمزة وفتحها والحجمة نحو المائة من الإبل

والثلة القطيع من الغنم والراغبة الإبل والثاغبة الشاة

ومنه قولهم ما له راغية ولا ثاغية أي لا ناقة ولا شاة

أرداف أقيال أي يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله أبناء
أقوال أي قومي يقال للمنطيق انه ابن أقوال وقوله
فتدبرت فرسا محضارا المتدبر الوثوب على ظهر الفرس
والمحضار والمحضير الشديد العدو وقوله أقتني كل شجراء
ومرداء الأقفر تتبع الأرض والشجراء ذات الشجر والمرداء
الخالية من النبات ومنه اشتقاق الأمرد لخلو وجهه من
الشعر وقوله حيعل الداعي الى الصلوة يعني به قول المؤذن
حي على الصلوة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة
ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة
والحسبلة والسبحلة والجعلفة فالهيللة حكاية قول لا
اله الا الله والحمدلة حكاية قول الحمد لله والحولقة حكاية
قول لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله
والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول
سبحان الله والجعلفة حكاية قول جعلت فداك وقوله نزلت عن
متن المركوبة

يعني المركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة
وقد قرئ فمنها ركوبتهم ⁘ والصهوة مقعد الفارس من الفرس
الخطوة ⁘ والجزع قطع الوادي عرضا وقوله صكة عمي يعني
به قائم الظهيرة وقد اختلف في أصله فقيل كان عمي رجلا
مغوارا لغزا قوما عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة
فصار مثلا لكل من جاء لذلك الوقت ⁘ وقيل المراد به الظبي
لأنه يسدر في الهواجر فيصطك بما يستقبله كاصطكاك
الأعمى ثم صغر الأعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغروا
أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير وقوله وكان يوما أطول
من ظل القناة وأحر من دمع المقلاة يوصف اليوم الطويل بظل
القناة كما يوصف اليوم القصير بإبهام القطاة والعرب
تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ومنه قول شبرمة بن الطفيل ⁘
ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر ⁘
وأما المقلاة فهي التي لا يعيش لها ولد فدمعها أبدا حار
لحزنها

لأنه يقال إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة
ولهذا قيل للمدعو له أقر الله عينه مأخوذ من القر وهو البرد
وقيل للمدعو عليه أسخن الله عينه مأخوذ من السخنة وهي
الحرارة وقيل إن أقر الله عينه مأخوذ من القرار فكأنه دعا له
أن يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح إلى مال غيره وكانت الجاهلية
تزعم أن المقلاة إذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها
وإلى هذا أشار بشر بن أبي خازم في قوله ∴
∴ تظل مقاليت النساء يطأنه يقلن ألا يلقى على المرء مئزر ∴
وقوله علقت بي شعوب يعني المنية ولا يدخل هنا الاسم أداة
التعريف مثل دجلة وعرفة وقوله أغور تحتها إلى المغيربان
التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل
للنوم والاستراحة والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس
تصغيره المغيرب إلا أن العرب ألحقت آخره ألفا ونونا على طريق
الشذوذ وقوله مضطغنا أهبة تجوابه الاضطغان أن تحمل
الشيء تحت حضنه

والاضطبان أن تجعله تحت ضبنه وأول مراتب الحمل الإبط ثم يليه
الضبن وهو أسفل الإبط ثم الحضن وهو عند الجنب والتجواب
مصدر جاب وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء
وقوله عجري وبجري يريد به جميع أمري الظاهر والباطن وأصل
العجر العقد الناتئة في العصب والبجر العقد الناتئة في
الجوف وقوله ولم يقل إيها أي لم يأمرني بالكف يقال للمستزاد
إيه وللمستكف إيها وقوله لأمر ما جدع قصير أنفه قصير هذا
هو مولى جذيمة الأبرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت
الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي بن أخت جذيمة
هو الذي جدع أنفه بيده اتهاما له بأنه غش خاله جذيمة إذ أشار
عليه بقصدها فحظي بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا إلى العراق
فكان يأتيها بالطرف منه إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال
في الصناديق وتوصل إلى قتلها والأخذ بثأر مولاه منها
وقصته مشهورة وقوله ولو كان ابن بوحك يعني ولد الصلب أشار
إلى أنه ولده في ناحية

وهي عرضتها وجمعها بوح وقيل إن البوح من أسماء الذكر ؞
وقوله في شهري ناجرهما شهرا الحر وقيل هما حزيران وتموز
وقوله بت بليلة نابغية أو ما به إلى قول النابغة ؞
فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع ؞
وقوله ألمعت إليه بثوبي يعني أشرت إليه يقال منه لمع وألمع
بمعنى وقوله تلدغ وتصيء هذا المثل يضرب لمن يظلم ويشكو
يقال صاءت العقرب تصيء صئيا وصئيا بفتح الصاد وكسرها إذا
صوتت وكذلك الفرخ وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى
تشكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان ؞
وقوله ينزو ويلين هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال إن
أصله الجدي ينزو وهو صغير فإذا كبر لان وقوله لا يساجله
النمر هذا المثل يضرب للمتنفج الجري لأن النمر أجرى سبع وأقله
احتمالا للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر أي صار مثل النمر وقوله
فالحق بالقارظين الأصل في القارظ أنه الذي يجني القرظ وهو النبات
المدبوغ به

والقارظان المشار إليهما أحدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا
خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما
المثل لكل غائب لا يرجى إيابه وإليهما أشار أبو ذؤيب في قوله ؞
وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل ؞
وقوله حرور بني سموم الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح
الحارة نهارا وقد تقام إحداهما مقام الأخرى مجازا وقوله لبث
العريسة يعني مأوى السبع يقال منه عرس وعريسة بإثبات الهاء
وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فأما الغيل والخيس
فلم تلحق بهما الهاء وقوله وأفلت وله حصاص هذا المثل يضرب لمن نجا
من هلكة أشفى عليها بعدما كاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل
إنه الضراط وقوله وبل أهون من وبلين هذا المثل يضرب لمن
ناله بعض المكروه تسلية له ومنه قول الشاعر ؞ وبعض الشر أهون من بعض ؞
وقوله أنا تئق وأنت مئق فكيف نتفق هذا المثل يضرب للمتنافيين
في الخلق فالتئق هو الممتلئ غيظا مأخوذ من قولهم أتأقت الإناء
إذا ملأته

والمئق هو الباكي فكأن التئق يسرع إلى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعا باحتماله ومثله قول بعضهم أنا تئق وأنت مئق فكيف نأتلف وقوله لطيتي يعني لقصدي وجهتي وقد تقال فيه بالتخفيف وقوله بعد اللتيا والتي اللتيا تصغير التي وهي على غير قياس التصغير المطرد لأن القياس أن يضم أول الاسم إذا صغر وقد أقر هنا الاسم على فتحته الأصلية عند تصغيره لأن العرب عوضته عن ضم أوله بأن زادت ألفا في آخره وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيا وذياك وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل هما من أسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

أخبر الحرث بن همام قال استنبطت في بعض أسفاري قند سمرقند وكنت يومئذ قوام الشطاط جموم النشاط أرمي عن قوس المراح إلى غرض الأفراح وأستعين بماء الشباب على ملاحي السراب فوافيتها بكرة عروبة بعد أن كابدت الصعوبة فسعيت وما ونيت إلى أن حصلت البيت فلما نقلت إليه قدمي وملكت قول عيني إلى الحمام على الإثر فأمطت عني وعثاء السفر وأخذت في غسل الجمعة بالأثر ثم بادرت في هيئة الخاشع إلى مسجدها الجامع لأحتل بمن يقرب من الإمام ويقرب أفضل الإنعام فخطبت بأن حليت في الحلبة وتخيرت المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله أفواجا ويردون فرادى وأزواجا حتى إذا اكتظ الجامع بحفله وأظل تساوي الشخص وظله برز الخطيب في أهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة إلى أن مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين ثم قعد حتى ختم نظم التأذين ثم قام وقال الحمد لله الممدوح الأسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللأواء مالك الأمم ومصور الرمم

واهل السماح والكرم ومهلك عاد وارم ادرك كل سر علمه
ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد كل مارد
حوله احمده حمد موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم
وهو الله لا اله الا هو الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد له
ولا والد ولا رده معه ولا مساعد ارسل محمدا للاسلام ممهدا
وللملة موطدا ولادلة الرسل مؤكدا وللاسود والاحمر
مسددا وصل الارحام وعلم الاحكام ووسم الحلال والحرام
ورسم الاحلال والاحرام كرم الله محله وكمل الصلوة والسلم
له ورحم آله الكرماء واهله الرحماء ما همر ركام وهدر
حمام وسح رهام وسطا حسام اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء
واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء واردعوا اهواءكم ردع الاعداء
واعدوا للرحلة اعداد السعداء وادرعوا حلل الورع وداووا
علل الطمع وسووا اود العمل وعاصوا وساوس الامل وصوروا
لاوهامكم حؤول الاحوال وحلول الاهوال ومساورة الاعلال
ومصارمة

المال والآل واذكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه
واللحد ووحدة مودعه والملك وروعة سؤاله ومطلعه
والحوا الدهر ولؤم كره وسوء محاله ومكره كم طمس معلما
وامر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما همه سكر السماع
وسح المدامع وادرا المطامع وادرا المسمع والسامع عم
حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع والمحسود والحساد
والاساود والاساد ما مؤمل الآمال وعكس الآمال ولا
وصل الاوصال وكلم الاوصال ولا سر الا وساء ولؤم واساء
ولا اصح الا ولدا ولا لدا وردع الاود الله الله رعاكم الله
الام مدة اللهو ومواصلة السهو وطول الاصرار وحمل
الاصار واطراح كلام الحكماء ومعاصاة اله السماء اما
الهرم حصادكم والمدر مهادكم اما الحمام مدرككم والصراط
مسلككم اما الساعة موعدكم والساهرة موردكم اما اهوال
الطامة لكم مرصدة اما دار العصاة الحطمة الموصدة
حارسهم مالك

وردوا اوردهم حالك وطحا مهم السموم وهوا وهم السموم لا
مال اسعدهم ولا ولد ولا عدد حماهم ولا عدها الارحام
الله امر لملك هواه وارم مسالك هداه واحكم طاعة مولاه
وكد لدوح ماواه وعمل ما دام العمر مطاوعا والدهر موادعا
والصحة كاملة والسلامة حاصلة والا دهمه عدم المرام
وحصر الكلام والمام الالام وحموم الحمام وهمود الحواس
ومراس الارماس آها لها حسرة الهما موكدة امدها سرمد
وممارسها مكمد ما له اهله حاسم ولا لسدمه راحم ولا له
مما عراه عاصم الهمكم الله احمد الالهام وردكم رداء
الاكرام واحلكم دار السلم واسال الله الرحمة لكم ولاهل
ملة الاسلام وهو اسمح الكرام والمسلم والسلام

قال الحارث بن همام فلما رايت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا
بغير نقط دعاني الاعجاب بنمطها العجيب الى استجلاء وجه
الخطيب فاخذت اتوسمه جلا واقلب الطرف فيه محدقا الى ان

يصدق العلامات انه شيخنا ابو زيد ذو المقامات ولم يكن بد من الصمت
في ذلك الوقت فامسكت حتى خلا من الفرش وحل الانتشار
في الارض ثم واجهته بلقائه وابتدرت لقاءه فلما حظي علي
في القيام واحتفى في الاكرام ثم استصحبني الى داره واولج
خصايص اسراره وحين انتشر جناح الظلام وحان منقلب
المنام احضر اباريق المدام مكعومة بالفدام فقلت اتحسوها
امام النوم وانت امام القوم فقال مه انا بالنهار خطيب
وفي الليل اطيب فقلت والله ما ادري أأعجب من تسليك عن
اناسك ومسقط راسك ام من خطابتك مع ادناسك ومدار
كاسك فاشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني

لا تبك الفا نأى ولا دارا ودر مع الدهر كيف ما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنا ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارا
ولا تضع فرصة السرور فما تدري ايوما تعيش ام دارا
واعلم بان المنون جائلة وقد ادارت على الورى دارا

وأقسمت لا تزال قابضة ملك عصر الحيا وما دارا
فكيف ترجى النجاة من شرك لم ينج منه كسرى ولا دارا

قال فلما اعتورتنا الكؤوس وطربت النفوس جرعني اليمين الغموس على أن أحفظ عليه الناموس فاتبعت مرامه وراعيت ذمامه ونزلته منزلة الفضيل وسدلت الذيل على مخازي الليل ولم يزل ذلك دأبه ودأبي إلى أن تهيأ إيابي فودعته وهو مصر على التدليس ومسر حسو الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية ببلد عراقي

حكى الحارث بن همام قال ألجأني حكم دهر قاسط إلى أن أنتجع أرض واسط فقصدتها وأنا لا أعرف بها سكنا ولا أملك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد الناكص إلى خان ينزله شذاذ الآفاق وأخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه وظرافة سكانه يرغب الغريب في استيطانه وينسيه هوى أوطانه فاستفردت منه بحجرة ولو أنافس في أجرة فما كان إلا كلمح طرف أو خطرة حرف حتى سمعت جاري بيت بيت يقول للنزيل في البيت قم يا بني لا قعد جدك ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه البريء واللون الدري والأصل النقي والجسم الشقي الذي نبذ وشرد وشهر وسجن وفطم وأدخل النار بعدما لطم ثم اركض إلى السوق ركض المشوق فقايض به اللات الملت المنسأ المسلح المكمد المفرح المعني المروح ذا الزفير المحرق والحنين المشوق واللفظ المقنع والنيل المتبع الذي إذا طرق دعا وبرق باح بما وعى ونفث في الخرق قال فلما قرت شقشقة الهادر ولم يبق إلا صدر الصادر برز فتى بمئزر وما معه أنيس فرأيتها عضلة تلعب بالعقول وتغري بالدخول في الفضول فانطلقت في إثر الغلام لأخبر فحوى الكلام فلم يزل يسعى سعي العفاريت تضايق الحوانيت حتى انتهى عند الرواح إلى حجانة القداح فناوله بائعها

رغيفا وتناول منه مجرا لطيفا فعجبت من فطانة المرسِل
والمرسَل وعلمت انها سر وجيبه وان لم اسال وما كذبت
ان بادرت الى الخان متطلعا لعيان ما انطرته فهمي وهل
قرطس في التكهن سهمي فاذا انا في الفراسة فارس وابو زيد
بوصيد الخان جالس فتهادينا بشرى اللقاء وتفاوضنا
تحية الاصدقاء ثم قال ما الذي بك حتى نابك جنابك فقلت
دهر هاض وجور فاض فقال والذي انزل المطر من الغمام
واخرج الثمر من الاكمام لقد فسد الزمان وعم العدوان
وعدم المعوان والله المستعان فكيف افلت وعلى اي صفة
اجفلت فقلت اتخذت الليل قميصا وادلجت فيه خميصا فاطرق
ينكت في الارض ويفكر في ارتياد القرض ثم اهتز
هزة من كتيبة فنصر او بدت له فرصة وقال قد علق بقلبي ان
تصاهر من ياسو جراحك ويريش جناحك فقلت وكيف اجمع
بين عرو وفقر ومن الذي يرغب في صل بن صل فقال انا المشير
بك فابك

والوكيل لك وعليك مع ان دين القوم جبر الكسير وفك الاسير
واحترام العشير واستنصاح المشير الا انهم لو خطب
اليهم ابراهيم ابن ادهم او جبلة بن الايهم لما ذادوه الا
على خمس ما به ذدتهم اقتداء بما مهر رسول الله زوجاته
به انكحه بناته على انك لن تطالب بصداق ولا تلجا الى
طلاق ثم اني ساخطب في موقف عقدك ومجمع حشدك
خطبة لم تفتق رتق سمع ولا خطب بمثلها في جمع

قال الحارث بن همام

فازدهاني بوصف الخطبة المتلوة دون الخطبة المجلوة
حتى قلت له قد وكلت اليك هذا الخطب فدبره تدبير من
طب لمن حب فنهض مهرولا ثم عاد متهللا وقال ابشر باعتاب
الدهر واختلاب الدر فقد ثبت العقد واكفلت النقد
وكان قد ثم اختلى في مواعدة اهل الخان اعتياد حلواء الابراز
فلما مد الليل اطنابه واغلق كل ذي باب بابه اذن في
الجماعة الا احضروا في هذه الساعة فلم يبق منهم الا من حضر
بنيه ولبى صوته

فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود عليه
جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ النجوم ويدعه
الى ان نعس القوم وغشي النوم فقلت له يا هذا اضع الناس
في الراس وخلص الناس فنظر نظرة في النجوم ثم انشط
عقله الوجوم واقسم بالطور والكتاب المسطور
ليبرزن هذا الامر المستور ولينشرن ذكرهم الى يوم النشور
ثم انه جثا على ركبتيه واستدعى الاسماع لخطبته وقال
الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور كل مولود
ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطد الاطواد ومرسل
الامطار ومسهل الاوطار عالم الاسرار ومدركها ومدمر
الاملاك ومهلكها ومكور الدهور ومكررها ومورد
الامور ومصدرها عم سماحه وكمل ركامه وهطل
وهمل وطاوع السؤل والامل واوسع المرمل والارمل
احمده حمدا ممدودا مداه واوحده كما وحده الاواه

وهو الله لا اله للامم سواه ولا صادع لما عدله وسواه ارسل محمدا
علما للاسلام واماما للحكام ومسددا للرعاع ومعطلا
احكام ود وسواع اعلم وعلم وحكم واحكم واصل الاصول
ومهد وأكد الموعود واوعد واصل الله له الاكرام واودع
روحه السلام ورحم آله واهله الكرام ما لمع آل وملع
دال وطلع هلال وسمع اهلال اعملوا رحمكم الله اصلح
الاعمال واسلكوا مسالك الحلال واطرحوا الحرام ودعوه
واسمعوا امر الله وعوه وصلوا الارحام وراعوها وعاصوا
الاهواء واردعوها وصاهروا اهل الصلاح والورع وصارموا
رهط اللهو والطمع ومصاهركم اطهر الاحرار مولدا
واسراهم سوددا واحلاهم موردا واصحهم موعدا وها هو
امكم وحل حرمكم مملكا عروسكم المكرمة وما مهرها
مهر الرسول ام سلمة وهو اكرم صهر اودع الاولاد وملك
ما اراده وما سها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم

أسأل الله لكم إحماد وصاله، وودوام إسعاده، وألهم
كلا إصلاح حاله، والإعداد لمعاده، وله الحمد السرمد
والمدح لرسوله محمد. فلما فرغ من خطبته البديعة النظام
البيّنة النظام من الإعجام، عقد العقد على الخمس المبين
وقال لي بالرفاء والبنين، ثم أحضر الحلوا التي كان أعدها
وأبرز الآنية عندها، فأقبلت الجماعة عليها، وكدت
أهوي بيدي إليها، فزجرني عن المؤاكلة وأنهضني للمناولة
فوالله ما كان بأسرع من نصاح الأحقاف حتى خرّ القوم للأذقان
فلما رأيتهم كأعجاز نخل خاوية، أو صرعى بنت خابية، علمت
أنها أخت الكبر، وأم العبر، فقلت له يا عُدَيّ نفسه وعُبَيد
الدرهم أتت للقوم حلوى أم بلوى، فقال لم أعد خبيص البيج في
صحاف الخليج، فقلت أقسم بمن أطلعها زهرا، وهدى بها السارين
طرق الفجر جئت شيئا نكرا، وأبقيت لك في المخزيات ذكرا
ثم حرّك فكره في صبور أمره وخيفة من عدوى عُرّه حتى طارت
نفسي شعاعا

وارتعدت فرائصي ارتياعا، فلما رأى استطارة فَرَقي واستشاطة
قلقي قال ما هذا الفكر المرمض والروع المومض، فإن يكن فكرك
في أهلي من أجلي فأنا الآن أرتع وأظفر وأقوى هذه البقعة منّي
وأقفر، وكم مثلها فارقتها وهي تصفر، وإن يكن نظر النفس حذرا
من حبسك فتناول قُصالة الخبيص، وطب نفسا عن القفص حتى
تأمن المستغوي والمغوي، ويمهد لك المقام بعلي والإفلات المفر
المفر قبل أن تسحب وتجر، ثم عمد لاستخراج ما في البيوت من
الأكياس والتحوت، وجعل يستخلص خالصة كل مخزون ونخبة
كل مدروع وموزون، حتى غادر ما ألفاه تحته كعظم استخرج
مخه، فلما همّ بما اصطفاه ودنّم، وشمّر عن ذراعه وحزم
أقبل علي إقبال من لبس الصفاقة، وخلع الصداقة، وقال
هل لك في المصاحبة إلى البطيحة لأصلك بأخرى مليحة، فأقسمت
له بالذي جعله مباركا إنما كان لم تجعله ممن خان في
الله لا قبل لي بنكاح حرّتين ومعاشرة ضرّتين، ثم قلت له قول
المتطبع بطباعه

الكائل له بصاعه قد كفتني الحد ولي فخر فاخترا اخر للاخرى
فتبسم من كلامي ودلف لا لتراي فلوت عنه عذاري وابرزت
له اذ ورا رى فلما بصر بانقباضي وتجلى له اعراضي انشد

يا صارفا عني المودة والزمان له صروف
ومعنفي في فضح من جاورت تعنيف العسوف
لا تلحني فيما اتيت فانني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم ارهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم لما سبكتهم زيوف
ما فيهم الا مجيف ان تمكن او مخوف
لا بالصفي ولا الوفي ولا الحفي ولا العطوف
فوثبت فيهم وثبة الليث الضري على الخروف
وتركتهم صرعى كانهم سقوا كاس الحتوف
وتحكمت فيما اقتنوه يدي وهم رغم الانوف
ووترت ارباب الارائك والدرانك والسجوف
ولطالما خلفت مكلوم الحشا خلفي يطوف
ووقفت في هول يراع الاسد فيه من الوقوف
ولكم سفكت وكم فتكت وكم هتكت حمى انوف

وكم ادكاض موبق لي في الذنوب وكم خفوف
لكنني اعددت حسن الظن بالمولى الرؤوف

فلما انتهى الى هنا اليتيح في الاستبعاد والظ بالاستغفار حتى
استمال هوى قلبي المنحرف ورجوت له ما يرجى للمقترف المعترف
ثم انه غيض دمعه المنهل وتابط جرابه واستل وقال الابنه احتمل
الباقي والله الواقي قال المخبر بهذه الحكاية فلما رابت الاسباب
الحسنة والخبيثة وانتهى الداء الى الكية علمت ان ثويتي
بالخان مجلبة للهوان فضممت رحلي وجمعت للرحلة ذيلي
وبت ليلتي اشرئب الى الطيب واحتسب الله على الخطيب

المقامة الثلثون
المصرية بلد معروف

حكى الحارث بن همام قال ادلجت من مدينة المنصور الى بلدة
بها اذا دفعه وخفض ومالك رفع وخفض فقلت الى مصر وقد تاق
السقيم الى الاساة والكريم الى المواساة فرفضت علائق
الاستقامة

ونقضت عود الاقامة واعروريت ظهر النعامة واجفلت
نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومداناة
الحين كلفت بها كلف الشنوان بالاصطباح والحيران بتنفس
الصباح فبينما انا بوفّاها اطوف تحتي فرس قطوف اذ رايت
على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسالت لاستماع النزهة
عن العصبة والوجهة فقيل اما القوم فشهود واما المقصد
فاملاك مشهود فحدتني ميعة النشاط على ان سرت مع الفراط
لافوز بحلاوة اللقاط واحوز حلوا السماط فافضينا بعد
مكابدة العناء الى دويرة رفيعة البنا وسيعة الفناء تشهد لبانيها
بالثراء والسناء فلما نزلنا عن صهوات الخيول وقدّمنا
الاقدام للدخول رايت دهليزها مجلّلا باطمار مخرّقة ومكلّلا
بمخاذف معلّقة وهناك شيخ على قطيفة فوق دكّة لطيفة فراقني
عنوان الصحيفة ومرأى هذه الطريفة ودعاني النظر بتلك
المناظر الى ان زعمت لذلك الجالس وعزمت عليه بمصرف الانداد
ليعرّفني من

رب هذه الدار فقال ما لها مالك معيّن ولا صاحب مبيّن انما هي مصطبة
المقبلين والمدبرين ووليجة المستفسقين والمتحلوزين فقلت
في نفسي انا لله على ضلّة المسعى وامحال المرعى وهممت في
الحال بالرجوع لكنني استهجنت العود من فوري والقهقرة
دون غيري فولجت الدار متجرّعا الغصص كما يلج العصفور
القفص فاذا فيها ارائك منقوشة وطنافس مفروشة ونمارق
مصفوفة وسجوف مرصوفة وقد اقبل الملاك يميس في بردته
ويتبختر بين حفدته فحين جلس كانه ابن ماء السماء نادى مناد
من قبل الاحماء وحرمة ساسان استاذ الاستاذين وقدوة
الشحاذين لا عقد هنا العقد المحلّل في ذا اليوم الاغرّ المحجّل
الا الذي جال وجاب وشبّ في الكدية وشاب فاعجب
رهط الصهر ما اشار اليه واذنوا في احضار المنصوص عليه
فبرز جنيبد شيخ قد امال الملوان قامته ونوّر الفتيان
ثغامته فتباشرت الجماعة باقباله وتبادرت الى استقباله
فحين جلس على

ذُرِّيَّتِهِ وَسَكَنَتِ الْأَصْوَاتُ لِهَيْبَتِهِ إِذْ دَلَفَ إِلَى مِسْنَدٍ وَمَسَحَ
سَبَلَتَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمُبْتَدِئِ بِالْإِفْضَالِ الْمُبْتَدِعِ
لِلنَّوَالِ الْمُتَقَرَّبِ إِلَيْهِ بِالسُّؤَالِ الْمُؤَمَّلِ لِتَحْقِيقِ الْآمَالِ الَّذِي
شَرَعَ الزَّكَاةَ فِي الْأَمْوَالِ وَزَجَرَ عَنْ نَهْرِ السُّؤَّالِ وَنَدَبَ إِلَى
مُوَاسَاةِ الْمُضْطَرِّ وَأَمَرَ بِإِطْعَامِ الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّ وَوَصَفَ
عِبَادَهُ الْمُقَرَّبِينَ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ فَقَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ
وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ أَحْمَدُهُ عَلَى مَا
رَزَقَ مِنْ طُعْمَةٍ هَنِيَّةٍ وَأَعُوذُ بِهِ مِنِ اسْتِمَاعِ دَعْوَةٍ بَغِيَّةٍ
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلٰهٌ يَجْزِي
الْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَيَمْحَقُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ
وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الرَّحِيمُ وَرَسُولُهُ الْكَرِيمُ ابْتَعَثَهُ
لِيَنْتَسِخَ الظُّلْمَةَ بِالضِّيَاءِ وَيَنْتَصِفَ لِلْفُقَرَاءِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ فَرَفَقَ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ بِالْمِسْكِينِ وَخَفَضَ جَنَاحَهُ لِلْمُسْتَكِينِ وَفَرَضَ الْحُقُوقَ
فِي أَمْوَالِ الْمُثْرِينَ وَبَيَّنَ مَا يَجِبُ لِلْمُقِلِّينَ عَلَى الْمُكْثِرِينَ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ

صَلَاةً تُحْظِيهِ بِالزُّلْفَةِ وَعَلَى أَصْفِيَائِهِ أَهْلِ الصُّفَّةِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ
اللّٰهَ تَعَالَى شَرَعَ النِّكَاحَ لِتَتَعَفَّفُوا وَسَنَّ التَّنَاسُلَ لِكَيْ تَنْمُوا
فَقَالَ سُبْحَانَهُ لِتَعْرِفُوا إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا وَهٰذَا أَبُو الدَّرَّاجِ وَلَّاجُ بْنُ
خَرَّاجٍ ذُو الْوَجْهِ الْوَقَاحِ وَالْإِفْكِ الصُّرَاحِ وَالْهَرِيرِ وَالصِّيَاحِ
وَالْإِبْرَامِ وَالْإِلْحَاحِ يَخْطُبُ سَلِيطَةَ أَهْلِهَا وَشَرِيطَةَ بَعْلِهَا
قَنْبَسَ بِنْتَ أَبِي الْعَنْبَسِ لِمَا بَلَغَهُ عَنْهَا مِنَ الْتِحَافِهَا بِإِلْحَافِهَا
وَإِسْرَافِهَا فِي إِسْفَافِهَا وَانْكِمَاشِهَا عَلَى مَعَاشِهَا وَانْتِعَاشِهَا
عِنْدَ هِرَاشِهَا وَقَدْ بَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ شَلَاقًا وَعُكَّازًا
وَصِفَاعًا وَكُرَّازًا فَأَنْكِحُوهُ نِكَاحَ مِثْلِهِ وَصِلُوا حَبْلَكُمْ بِهِ
وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ أَقُولُ قَوْلِي هٰذَا
وَأَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُكْثِرَ فِي الْمَقَاطِبِ
نَسْلَكُمْ وَيَحْرُسَ مِنَ الْمَعَاطِبِ شَمْلَكُمْ فَلَمَّا فَرَغَ الشَّيْخُ مِنْ نَثَاهُ
وَأَبْرَمَ لِلْخَتَنِ عَقْدَ خِطْبَتِهِ تَسَاقَطَ مِنَ النِّثَارِ مَا اسْتَغْرَقَ حَدَّ
الْإِكْثَارِ

واغرى الشيخ بالإيثار ثم نهض يسحب ذلاذله ويقدم اراذله
قال الحارث بن همام فتبعته لانظر عرجة القوم واكمل بهجة
اليوم فعاج بهم الى سماط زينته طهاته وتناصفت في الحسن
جهاته فحين ربع كل شخص في ربضه وطفق يرتع في روضه
انسللت من الصف وفررت من الزحف فحانت من الشيخ لفتة
الي ونظرة هجم بها طرفه علي وقال الى اين يا برم هلا
عاشرت معاشرة من فيه كرم فقلت والذي خلقها طباقا
وطبقها اشراقا لا ذقت لماقا ولا لست رماقا او تخبرني اين
مدب صباك ومن اين مهب صباك فتنفس الصعداء مرارا وارسل
البكاء مدرارا حتى اذا استنزف الدمع استنصت الجمع وقال لي اسمع

مسقط الراس سروج ... وبها كنت اموج
بلدة يوجد فيها ... كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل ... وصحاريها مروج
وبنوها وبنيهم ... نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ... ومراها البهيج
واذا ازهر رباها ... حين تنجاب الثلوج
من راها قال مرسى ... جنة الدنيا سروج
ولمن نزح عنها ... زفرات ونشيج
مثل ما لاقيت مذ ... ازعجني عنها العلوج
عبرة تهمي وشجو ... كلما قر يهيج
وهموم كل يوم ... خطبها خطب مريج
ومساع في التراخي ... قاصرات الخطو عوج
ليت يومي حم لما ... حم لي منها الخروج

قال فلما بين بلده ووعيت ما انشده علمت انه علامتنا
ابو زيد وان كان الهرم قد لاقه بقيد فبادرت الى مصافحته
واغتنمت مواكلته من صحفته وظلت مدة مقامي بمصر اعشو
الى شواظه واحشو اصدافي من درر الفاظه الى ان نعب بيننا
غراب البين ففارقته مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون
الجحفة موضع الحجاز

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب ذي ريقان

[illegible]

الاكتنان بالغاب وأهوى الإبراز ومن القراب لعلمي أن السفر
ينجح السفر وينتج الظفر ومفارقة الوطن تعمر الفطن وتحفز
من قطن فأجلت قداح الاستشارة واقتدحت زناد الاستخارة
ثم استحثثت جأشا أثبت من الحجارة وأصعدت إلى ساحل الشام
للتجارة فلما خيّمت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة صادفت
بها ركبانا تعدّ للسرى ورحالا تشدّ إلى أم القرى فعصفت بي ريح
الغرام واهتاج لي شوق إلى البيت الحرام فزممت ناقتي ونبذت علقتي
وعلاقتي وقلت للائمي أقصر فإني سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع وأسلو بالحطيم عن الحطام
ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل
وإلى الخير جري الخيل فلم نزل بين إدلاج وتأويب وإنجاد
وتقريب إلى أن زجّينا أيدي المطايا بالنخفة في إيصالنا إلى الجحفة
فحللنا ها هنا متأهبين للإحرام متباشرين بإدراك المرام فلم يكن إلا
أن أنخنا الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع من بين الهضاب شخص
ضاحي الإهاب

وهو ينادي يا أهل النادي هلمّ إلى ما ينجي يوم التناد فانخرط إليه الحجيج
وانصلتوا له واحتفوا به وأنصتوا فلما رأى تألّبهم حوله واستطلاعهم
قوله تسنّم إحدى الإكام ثم تنحنح مستفتحا للكلام وقال يا
معشر الحجاج الناسلين من الفجاج أتعقلون ما تواجهون وإلى من
تتوجهون أم تدرون على من تقدمون وعلى ما ذا تقدمون أتظنون
أن الحج هو اختيار الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل
وإيقار الزوامل أم تظنون أن النسك هو نضو الأردان وإنضاء
الأبدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل
هو اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية وإخلاص النية في قصد
تلك البنية وإمحاض الطاعة عند وجدان الاستطاعة وإصلاح
المعاملات أمام إعمال اليعملات فوالذي شرع المناسك
للناسك وأرشد السالك إلى المسالك في الظلام الحالك ما
ينقي الاغتسال بالذنوب من الانغماس في الذنوب ولا تغني تعرية
الأجسام بتغبية الإجرام ولا تغني لبسة الإحرام عن التلبس بالمحارم
ولا ينفع

التوشح الاضطباع بالإزار مع الاضطلاع بالأوزار ولا التحني لتقرب
بالحلق مع التقلب في ظلم الخلق ولا يرحض التنسك بالتقصير درن
التمسك بالتقصير ولا يسعد بعرفة غير أهل المعرفة ولا يزكو
بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد المقام الأمين إلا من استقام ولجّ
ولا يحظى بقبول الحج من زاغ عن المحجة فرحم الله امرأ صفا قبل
مسعاه إلى الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه على الأضا
ونزع عن تلبيسه قبل نزع ملبوسه وفاض بمعروفه قبل الإفاضة عن
تعريفه ثم رفع عقيرته بصوت أسمع الصم وكاد يزعزع الجبال الشم

وأنشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ... ولا اعتيامك أجمالا وأحداجا
الحج أن تقصد البيت الحرام على ... تجريدك الحج لا تبغي به حاجا
وتمتطي كاهل الإنصاف متخذا ... ردع الهوى هاديا والحق منهاجا
وأن تواسي بما أوتيت مقدرة ... من مد كفا إلى جدواك محتاجا
فهذه إن حوتها حجة كملت ... وإن خلا الحج منها كان إخداجا
حسب المرائين غبنا أنهم غرسوا ... وما جنوا ولقوا كدا وإزعاجا
وأنهم حرموا الأجر ومحمدة ... وأحموا عرضهم من عاب أو هاجا
لحي ابغ بما تبتدي به من قرب ... وجه المهيمن ولاجا وخراجا
فليس يخفى على الرحمن خافية ... إذا خلا العبد في الطاعات أو داجا
وبادر الموت بالحسنى تقدمها ... فما ينهنه داعي الموت إن فاجا
واقف التواضع خلقا لا تزايله ... عنك الليالي ولو ألبستك التاجا
ولا تشم كل خال لاح بارقه ... ولو تراءى هتون السكب ثجاجا
ما كل داع بأهل أن يصاخ له ... كم قد أصم سنى بعض من ناجى
وما اللبيب سوى من بات منتشفا ... ببلغة تترح الأيام إذ راجا
فكل كثر إلى قل مغبته ... وكل باد إلى بين وإن هاجا

قال الراوي فلما ألح عقم الأفهام بسحر الكلام استروحت خبث
النخ أبي زيد وما دعي الارتياح إليه أي ميد فكشحت عن
نت حكمته والحذر من أكمته ثم دلفت إليه لأتصفح صفحات
محياه واستشف جوهر جلده فإذا هو الضالة التي أنشدها
وناظم القلائد اللاتي أنشدها فعانقته عناق اللام للألف
ونزلته

مَنْزِلَةَ الْبِرِّ عِنْدَ اللّٰهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يُجَارِيَنِي فَأَبَى أَوْ يُزَامِلَنِي
فَنَبَا وَقَالَ آلَيْتُ بِحَجَّتِي هَذِهِ أَلَّا أَحْتَقِبَ وَلَا أَعْتَقِبَ وَلَا
أَكْتَسِبَ وَلَا أَنْتَسِبَ وَلَا أَرْتَفِقَ وَلَا أُرَافِقَ وَلَا أُوَافِقَ مَنْ
ثُمَّ ذَهَبَ يُهَرْوِلُ وَغَادَرَنِي أُوَلْوِلُ فَلَمْ أَزَلْ أُقَرِّبُهُ نَظَرِي وَأَوَدُّ
لَوْ مَشَيْتُ عَلَى نَاظِرِي حَتَّى تَوَقَّلَ الْخَلِيُّ الْأَطْوَادَ وَوَقَفَ الْحَجِيجُ بِالْمِرْصَادِ
فَجُزْنَا شَاهِدَ انْصِيَاعِ الدُّخَانِ نُزَّالَ الْكُثْبَانِ وَقَعَ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ

لَيْسَ مَنْ أَدْرَكَ إِجْمَالَهَا مِثْلَ سَاعٍ عَلَى الْقَدَمْ
لَا وَلَا خَادِمٌ أَطَاعَ كَعَاصٍ مِنَ الْخَدَمْ
كَيْفَ يَا قَوْمُ يَسْتَوِي سَعْيُ بَانٍ وَمَنْ هَدَمْ
سَيُبَكِّيهِمُ الْمُفَرِّطُونَ غَدًا مَا أَتَمَّ النَّدَمْ
وَيَقُولُ الَّذِي تَفَرَّطُوا بِي لِمَنْ خَدَمْ
وَيْكِ يَا نَفْسُ قَدِّمِي صَالِحًا عِنْدَ ذِي الْقِدَمْ
وَاذْكُرِي زُخْرُفَ الْحَيَاةِ فَوِجْدَانُهُ عَدَمْ
وَاذْكُرِي مَصْرَعَ الْحِمَامِ إِذَا خَطْبُهُ صَدَمْ
وَانْدُبِي فِعْلَكِ الْقَبِيحَ وَسُحِّي لَهُ بِدَمْ
وَاذْلُقِيهِ بِتَوْبَةٍ قَبْلَ أَنْ تَحْلُمَ الْأَدَمْ

فَعَسَى اللّٰهُ أَنْ يُقِيلَ لِسَعْيِهَا الَّذِي اجْتَرَمْ
يَوْمَ لَا عَثْرَةٌ تُقَالُ وَلَا يَنْفَعُ النَّدَمْ

ثُمَّ إِنَّهُ أَغْمَدَ عَضْبَ لِسَانِهِ وَأَطْلَقَ لِشَأْنِهِ فَمَا زِلْتُ فِي كُلِّ مَقَامٍ
وَمُعَرَّسٍ نَتَوَسَّدُهُ أَتَفَقَّدُهُ فَأَفْقِدُهُ وَأَسْتَنْجِدُ مَنْ يَنْشُدُهُ فَلَا أَجِدُ
حَتَّى خِلْتُ أَنَّ الْجِنَّ اخْتَطَفَتْهُ أَوِ الْأَرْضَ انْتَطَفَتْهُ مِمَّا كَابَدْتُ فِي
الْغُرْبَةِ كَهَذِهِ الْكُرْبَةِ وَلَا مُنِيتُ فِي سَفْرَةٍ بِمِثْلِهَا مِنْ زَفْرَةٍ

الْمَقَامَةُ الثَّانِيَةُ وَالثَّلَاثُونَ
الْفِقْهِيَّةُ فِيهَا الْفَتَاوَى اللُّغَوِيَّةُ

حَكَى الْحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ أَجْمَعْتُ حِينَ قَضَيْتُ مَنَاسِكَ الْحَجِّ وَالْعَجِّ
وَالثَّجِّ أَنْ أَقْصِدَ طَيْبَةَ مَعَ رُفْقَةٍ مِنْ بَنِي شَيْبَةَ لِأَزُورَ قَبْرَ الْمُصْطَفَى
وَأَخْرُجَ مِنْ قَبِيلِ مَنْ حَجَّ وَجَفَا فَأُرْجِفَ بِأَنَّ الْمَسَالِكَ شَاغِرَةٌ
وَعَرَبَ الْحَرَمَيْنِ مُتَشَاجِرَةٌ فَحِرْتُ بَيْنَ إِشْفَاقٍ يُثَبِّطُنِي وَأَشْوَاقٍ
تُنَشِّطُنِي إِلَى أَنْ أُلْقِيَ فِي رُوعِي الِاسْتِسْلَامُ وَتَغْلِيبُ زِيَارَةِ قَبْرِهِ
عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَعْتَمْتُ الْقَعْدَةَ وَأَعْدَدْتُ الْعُدَّةَ وَسِرْتُ
وَلَا رُفْقَةَ

لا نلوي على عرجة ولا ننثني في تأويب ولا دلجة حتى وافينا
بني حرب وقد بؤنا من حرب فأزمعنا أن نقضي ظل اليوم بين
القوم ونريح المناخ ونرود الورد النقاخ إذ
رأيناهم يركضون كأنهم إلى نصب يوفضون فرأينا أشياعهم
وسألنا ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب فأهمهم
هنا السبب فقلت لرفيقي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين الرشد
من الغي فقالوا تالله لقد أسمعت إذ دعوت ونصحت فما ألوت
ثم نهضنا نتبع الهادي ونؤم النادي حتى إذا أظللنا عليه واستشففنا
الفقيه المنهود إليه ألفيته أبا زيد ذا الشقر والبقر والفقر
والفقر وقد اعتم القفداء واشتمل الصماء وقعد القرفصاء
وأعيان الحي به محفوفون وأخلاط عليه ملتفون وهو يقول
سلوني عن المعضلات واستوضحوا مني المشكلات فوالذي
فطر السماء وعلم آدم الأسماء إني لفقيه العرب العرباء وأعلم
من تحت الخضراء فصمد له فتى فتيق اللسان جريء الجنان وقال إني
حاضرت

فقهاء الدنيا حتى انتخلت منهم مائة فتيا فإن كنت ممن يرغب عن بنات غير وبجر
منا في مر فاستمع وأجب لتقابل بما يجب فقال الله أكبر سيبين
المخبر وينكشف المضمر فاصدع بما تؤمر

قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله قال انتقض وضوؤه بفعله
قال فإن توضأ ثم أتاه البرد قال تجدد الوضوء من بعد
قال أيمسح المتوضي أنثييه قال قد ندب إليه ولم يجب عليه
قال أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان قال وهل أنظف منه للعريان
قال أيستباح ماء الضرير قال نعم ويجتنب ماء البصير
قال أيحل الطوف في الربيع قال يكره للحدث الشنيع
قال أيجب الغسل على من أمنى قال لا ولو ثنى
قال فهل يجب على الجنب غسل فروته قال أجل وغسل إبرته
قال فإن أخل بغسل فأسه قال هو كما لو أخل بغسل رأسه
قال فما تقول فيمن تيمم ثم رأى روضا قال بطل تيممه فليتوضأ
قال أيجوز أن يسجد الرجل في العذرة قال نعم وليجانب القذرة

قال فهل له السجود على الخلاف قال لا ولا على أحد الأطراف
الخلاف الكم

قال فإن سجد على شماله قال لا بأس بفعاله
الشمال جمع شملة وهي مئزر من صوف

قال فهل تجوز له السجود على الكراع قال نعم دون الذراع
الكراع ما استطال من الأرض

قال أيصلي على رأس الكلب قال نعم كسائر الهضب
رأس الكلب ثنية معروفة

قال ما تقول فيمن صلى وعانته بارزة قال صلاته جائزة
العانة الجماعة من حمر الوحش

قال فإن صلى وعليه صوم قال يعيد ولو صلى مائة يوم
الصوم ذرق النعام

قال فإن حمل جروا وصلى قال هو كما لو حمل باذنجة
الجرو الصغار من القثاء والرمان

قال أتصح صلاة حامل القروة قال لا ولو صلى فوق المروة
القروة ميلغة الكلب

قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو قال يمضي في صلاته ولا غرو
النجو السحاب الذي هراق ماءه

قال أيجوز أن يأم الرجال مقنع قال نعم ويأمهم مدرع
المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع

قال فإن أمهم من في يده وقف قال يعيدون ولو أنهم ألف
الوقف السوار من الذبل أو العاج

قال فإن أمهم من فخذه بادية قال صلاته وصلاتهم ماضية
الفخذ العشيرة وبادية يسكنون البدو

قال فإن أمهم الثور الأجم قال صل وخلاك ذم
الثور السيد والأجم الذي لا رمح معه

قال أيدخل القصر في صلاة الشاهد قال لا ولا الغائب الشاهد
صلاة الشاهد صلاة المغرب

المعذور المختون

قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان قال ما رخص فيه إلا لمن كان به

قال فهل للمعرس أن يأكل فيه قال نعم بملء فيه
المعرس الذي يسير الليل ليستريح ثم يرتحل

قال فإن أفطرته العراة قال لا تنكر عليه الولاة
العراة الذين أخذتهم الحمى برعدة

قال فإن أكل الصائم بعدما أصبح قال هو أحوط له وأصلح
أي استصبح بالمصباح

قال فإن عمد لأن أكل ليلا قال ليشمر للقضاء ذيلا
الليل فرخ الحبارى

قال فإن أكل قبل أن تتوارى البيضاء قال يلزمه وأبيه القضاء
البيضاء الشمس

قال فإن استثار الصائم الكبد قال أفطر من أجل الصبد
الكبد القيء واستثاره

قال فهل يفطر بالحاج الطابخ قال نعم لا يبطي في المطابخ
الطابخ الحمى الصالب أي حاجة

قال فإن ضحكت المرأة في صومها قال بطل صوم يومها
ضحكت هاهنا أي حاضت

قال فإن ظهر الجدي على ضرتها قال تفطران إذن بمخضتها
الضرة أصل الإبهام وأصل الثدي أيضا

قال ما يجب في مائة مصباح قال حقتان يا صاح
المصباح الناقة التي تصبح في المنزل

قال فإن ملك عشر خناجر قال تخرج شاتين ولا يتشاجر
الخناجر النوق الغزار الدر واحدها خنجر

قال فإن سمح للساعي بجميمته قال لا بشرى له بيوم قيمته
الجميمة خيار المال والساعي جابي الصدقة

قال أيستحق حملة الأوزار الزكاة جزلا قال نعم إذا كانوا غزلا
غزل جمع غازل
الأوزار السلاح

قال أيجوز للحاج أن يعتمر قال لا ولا أن يختمر — الاعتمار لبس العمامة والاختمار لبس الخمار

قال فهل له أن يقتل الشجاع قال نعم كما يقتل السباع — الشجاع الحية

قال فإن قتل ذمارة في الحرم قال عليه بدنة من النعم — الذمارة النعامة

قال فإن رمى ساق حر بحجر قال يخرج شاة بدله — ساق حر ذكر القماري

قال فإن قتل أم عوف بعد الإحرام قال يتصدق بقبضة من طعام — أم عوف الجرادة

قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليغنوهم إلى المشارب — القارب طالب الماء بالليل

قال ما تقول في الحرام بعد السبت قال فدخل في ذلك الوقت — الحرام المحرم والسبت حلق الرأس وحل من عمل الحج

قال ما تقول في بيع الكميت قال حرام كبيع الميت — الكميت الخمر

قال أيجوز بيع الخل بلحم الجمل قال لا ولا بلحم الحمل — الخل الخمر الحامض ومعناه أن لا يحل بيع الحيوان باللحم سواء كان من جنسه أو غير جنسه

قال أيحل بيع الهدية قال لا ولا بيع السبية — الهدية ما يهدى إلى الكعبة

قال ما تقول في بيع العقيقة قال محظور على الخليقة — العقيقة ما ينتف من شعر المولود في اليوم السابع من ولادته

قال أيجوز بيع الداعي على الراعي قال لا ولا على الساعي — الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي عامل الصدقة

قال أيباع الصقر بالتمر قال لا وما لك الحلو والأمر — الصقر الدبس

قال أينبغي للمسلم سلبا لمسلمات قال نعم ويورث عنه إذا مات — السلب شجر كالثمام وهو الثمام

قال أيباع الأبريق على بني الأصفر قال يكره كبيع المغفر — الأبريق السيف الصقيل وبنو الأصفر الروم

قال أيجوز أن يبيع الرجل صفيته قال لا ولكن ليبع صفيه — الصفي الولد على الكبر والصفي الناقة الغزيرة الدر

قال فإن اشترى عبدا فبان بأمه جراح قال ما في رده جناح — الأم مجمع الرأس

قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء قال لا ولا للشريك في الصفراء — الصحراء الأتان التي

قال أيحل أن يحمي ماء البئر والخلاء قال إن كانا في الفلاة فلا — الخلا الحشيش

قال ما تقول في ميتة الكافر قال حل للمقيم والمسافر — الكافر البحر والميتة السمك الطافي فوق مائه

قال أيجوز أن يضحى بالحول قال هو أجدر بالقبول — الحول جمع حائل

قال فهل يضحى بالطالق قال نعم ويبقى منه الطارق — الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت — الطارق الضعف

قال فإن ضحى قبل ظهور الغزالة قال شاة لحم بلا محالة — الغزالة الشمس

قال أيحل الكسب بالطرق قال هو كالقمار بلا فرق — الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة

قال أيسلم القائم على القاعد قال محظور مما بين الأباعد — القاعد التي تقعد عن الحيض وعن الأزواج

قال أيأم العاقل تحت الرقيع قال أجيب به في البقيع — الرقيع السماء والبقيع بقيع المدينة

قال أيمنع الذمي من قتل العجوز قال معارضته في العجوز لا تجوز — العجوز الخمر وقتلها مزجها

قال ما تقول في التهود قال هو مفتاح التزهد — التهود التزهد قال الله تعالى إنا هدنا إليك

قال أيجوز أن ينتقل الرجل عن عمارة أبيه قال ما يجوز للخامل ولا نبيه
العمارة القبيلة — عنده حبس
قال ما تقول في ضبر البلية قال أعظم به من خطيه
الضبر الحبس والبلية ناقة تموت عند قبر صاحبها فلا تعلف ولا تسقى إلى أن تموت
قال أيجوز ذبح الشافع قال ما يجوز من دافع
الشافع الشاة التي معها سخلها
قال أيجوز ضرب السفير قال نعم والحمل على المستشير
السفير ما تساقط من ورق الشجر — المستشير الجمل السمين
قال أيعزر الرجل أباه قال يفعله البر ولا يأباه
التعزير التعظيم والنصرة
قال ما تقول فيمن أفقر أخاه قال يفعله البر ولا يأباه
أفقره أعاره ناقة يركب فقارها
قال فإن أعرى ولده قال بأحسن ما عمله
أعراه أعطاه ثمر نخلة عاما
قال فإن أصلى مملوكه النار قال لا إثم عليه ولا عار
المملوك العجين الذي أجيد عجنه حتى قوي
قال أيجوز للمرأة أن تصرم بعلها قال ما حظر أحد فعلها
البعل النخل الكبير
قال فهل تؤدب المرأة على الخجل قال أجل
الخجل سوء احتمال الغنا وهو البطر
قال ما تقول فيمن خنث أنثيه قال الإثم ولو أذن له فيه
خنث أنثيه إذا أقتابه وقدح فيه
قال أيحجر الحاكم على صاحب الثور قال نعم ليأمن غائلة الجور
الثور الجنون
قال فهل له أن يضرب على يد اليتيم قال نعم إلى أن يستقيم
يقال ضرب على يده إذا حجر عليه
قال فهل يجوز أن يتخذ له ربضا قال لا ولو كان له رضا
الربض الزوجة

قال فمتى يبيع بذل السفيه قال حين يبدو له الحظ فيه
البذل الربع القضب
قال فهل يجوز أن يبتاع له حشا قال نعم إذا لم يكن مغشا
الحش النخل المجتمع
قال أيجوز أن يكون الحاكم ظالما قال نعم إذا كان عالما
الظالم الذي يشرب اللبن قبل أن يروب ويخرج زبده
قال أيجوز أن يقضي من ليست له بصيرة قال نعم إذا حسنت منه السيرة
البصيرة الترس
قال فإن نفري من العقل قال ذاك عنوان الفضل
العقل ضرب من الوشي
قال فإن كان له زهو جبار قال لا إنكار ولا إكبار
الزهو البسر الملون والجبار النخل الفائت
قال أيجوز أن يكون الشاهد مريبا قال نعم إذا كان أديبا
المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب
قال فإن بان أنه لائط قال هو كما لو خاط
لاط الحوض إذا طينه
قال فإن عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل
غربل أي كذب
قال فإن وضح أنه مأبون قال هو وصف له زائن
المأبون الذي يكفى المؤن
قال ما يجب على عابد الحق قال أن يحلف بالله الخلق
العابد الجاحد والحق الدين
قال ما تقول فيمن فقأ عين بلبل عامدا قال تفقأ عينه قولا واحدا
البلبل الرجل الخفيف
قال فإن جرح قطاة امرأة فماتت قال النفس بالنفس إذا فاتت
القطاة ما بين الوركين
قال فإن ألقت الحامل حشيشا من ضربه قال التكفير بالإعتاق عن ذنبه
الحشيش الجنين الملقى ميتا

قال ما يجب على الخنثى في الشرع قال القطع لا فأمة الردع

قال فإن سرق ثمينا من ذهب قال لا قطع كما لو غصب

قال فإن بان على المرأة السرق قال لا حرج عليها ولا فرق

قال أينعقد نكاح لم تشهده الفوارى قال لا والواحد الباري

قال ما تقول في عروس بانت بليلة حرة ثم ردت في حافرتها بسحرة

قال يجب لها نصف الصداق ولا يلزمها عدة الطلاق

بليلة حرة اذا امتنعت على زوجها فان افتضها قيل باتت بليلة شيباء
والرد في الحافرة بمعنى الرجوع في الطريق الاول وكنى به عن طلاقها وردها الى اهلها

فقال له السائل لله درك من حبر لا يغضغضه الماتح وبحر لا

يبلغ مدحه المادح ثم أطرق وأطرق الحي وأرم ارمام العيي

فقال له أبو زيد إيه يا فتى وإلى متى وإلى متى فقال إنه لم يبق في

كنانتي مرماة ولا بعد إشراق صبحك مماراة فتبارك الله أي آية

أنت فما أحسن ما أبنت فانتشر بلسان ذلق وصوت صهصلق

أنا في العالم مثله ولا أهل العلم قبله

غير أني كل يوم بين تغريس ورد خلة

ذا الغريب الدار لو حل بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدى وبهدى فاجعلهم ممن تهدى

ويهدي فساق إليه القوم ذودا مع فتيته وسألوه أن يزورهم

الغبة بعد الغبة فنهض يتبعهم الغود ويزجي الأمة والذود

قال الحارث بن همام فاعترضته وقلت له عهدي بك سفيها

فمتى صرت فقيها فظل هنيهة يحول ثم أنشأ يقول

لبست لكل زمان لبوسا ولابست صرفيه نعمى وبوسا

وعاشرت كل جليس بما يلائمه لأروق الجليسا

فعند الرواة أدير الكلام وبين السقاة أدير الكؤوسا

وطورا أبو غطي أسيل الدموع وطورا أبهلوي أسر النفوسا

وأفري المسامع إما نطقت بيانا يقود الحرون الشموسا

وإن شئت أرعف كفي اليراع فساقط درا يحلي الطروسا

وكم مشكل لاح جليت التباسه خافيا فصرت بكشفي شموسا

وكم ملح لي خلبت العقول وأسأرت في كل قلب رسيسا

وعذرا أفهت بها فأثني عليها الثنا طليقا حبيسا

الذود ما بين الثلثة الى العشرة

على أنني من دما خصصت بكيد ولا كيد فرعون موسى
يسعّر لي كل يوم وغى أطاح من لظاها وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي يذبن القوي ويشبن الرؤوسا
ويدني لي البعيد البغيض ويبعد عني القريب الأنيسا
ولولا خساسة أخلاقه لما صار حظي منه خسيسا

فقلت له خفّض الأحزان ولا تلم الزمان واشكر لمن نقلك عن مذهب إبليس إلى مذهب ابن إدريس فقال دع الهتار ولا تهتك الأستار وانهض بنا لنضرب إلى مسجد يثرب فعسى أن يرحض بالمزار درن الأوزار فقلت هيهات أنا أسير أو أفقه التفسير فقال تالله لقد أوجبت ذمّا وطلبت إذ طلبت أمما فهاك ما يشفي النفس وينفي اللبس فلما أوضح لك المعمّى وكشف عني الغمّى شددنا الأكوار وسرت وسار ولم أزل من مسامرته مدة مسايرته فيما أنساني طعم المشقة ووددت معه بعد الشقة حتى إذا دخلنا مدينة الرسول

وفزنا من الزيارة بالسول أشأم وأعرقت وغرّب وشرّقت

المقامة الثالثة والثلثون
التفليسية بلد كرجي

أخبر الحارث بن همام قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت ما استطعت نكتت مع جوب الفلوات ولهو الخلوات أراعي أوقات الصلوات وأحاذر من مأثم الفوات وإذا رافقت في رحلة أو حللت بحلّة مرجت بصوت الداعي إليها وأقتدي بمن حافظ عليها فاتفق حين دخلت تفليس أن صليت مع نفر مفاليس فلما قضينا الصلوة وأزمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة بالي الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية وتفوّق درّ العصبية إلا ما تكلّف لي لبثة واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده الرد فعقد له القوم الحبا وربوا أمثال الربا فلما آنس حسن إنصاتهم ورزانة حصاتهم قال يا أولي الأبصار الرامقة والبصائر الرائقة

أما بلغك عن الخبر العيان وينبيك عن لسان الدخان شيب لائح ووهن فادح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك ومال وولي ووال ورفد ونال ووصل وصال فلم تزل الجوائح تسحت والنوائب تنحت حتى الوكر قفر والكف صفر والشعار ضر والعيش مر والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الدفائن لا تعرّما شقيت ولقيت وشبت مما لقيت فليتني لم أك بقيت ثم تأوه تأوه الأسيف وأنشد بصوت ضعيف

أشكو إلى الرحمن سبحانه ... تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات فرعت مروتي ... وقوضت مجدي وبنيانه
واقتصرت عوني وباوخ من ... نعمتي الأحداث أغصانه
وأمحلت نعمي حتى جلت ... من ربعي الممحل جرذانه
وغادرتني حائرًا بائرًا ... أكابد الفقر وأشجانه
من بعد ما كنت أخا ثروة ... يسحب في النعمة أردانه
تختبط العافون أوراقه ... ويحمد السارون نيرانه
فأصبح اليوم كأن لم يكن ... أعانه الدهر الذي عانه
وازور من كان له زائرًا ... وعاف عافي العرف عرفانه
فهل فتى يخزنه ما يرى ... من ضر شيخ دهره خانه
يفرج الهم الذي همه ... ويصلح الشأن الذي شانه

قال الراوي فنصبت الجماعة إلى أن تستثبته لتستنجز خبيئته وتستنفض حقيبته فقالت له قد عرفنا قدر زنتك ورأينا ما مرّ من درر منثك فعرفنا دوحة شعبتك واحسر اللثام عن نسبتك فأعرض إعراض من مني بالإعنات أو بشر بالبنات وجعل يلعن الضرورات ويتأفف من تغير المروات ثم أنشد بلفظ صادع وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدل ... جناه اللذيذ على أصله
فكم ما حلى جنى نوتي به ... ولا تسأل الشهد عن نحله
وميز إذا ما اعتصرت الكروم ... سلافته عمرك من خله
لتعلو وترخص عن خبرة ... وتشرى كلا شيء مثله
فعاد على الفطن اللوذعي ... دخول الغبينة في عقله

قال فاذ دمي القوم بركاته وذهابه واحتلبهم بحسن ادائه
مع دائه حتى جمعوا له خبايا الخبن وخفايا الثبن وقالوا له
يا هذا انك حمت على ركيّة بكيّة وتعرّضت لحليمة خليّة فخذ
هذه الصبابة ومنها لا خطأ ولا اصابة فنزل فيهم منزلة
الكثر ووصل نبوله بالشكر ثم ولّى يجرّ شقه وينهب بالخطو
طرقه قال المخبر بهذه الحكاية فصوّر لي انه مخيل الحلية
في مشيته فنهضت انهج منهاجه واقتفوا ادراجه وهو يلحظني
شزرا ويوسعني هجرا حتى اذا خلا الطريق وامكن التحقيق نظر اليّ
نظر من هشّ وبشّ وما حضر بعد ما غشّ وقال اني لاخالك اخا غربة
وذا اهد صحبة فهل لك في نبوة تنويلك ويرفق ويبقو عليك
وينفق فقلت له لو اتاني هذا الذي فيّ لوافاني التوفيق
فقال لي قد وجدت فاغتبط واستكرمت فارتبط ثم تطامن ضحك
مليّا وتمثل لي بشرا سويّا فاذا هو شيخنا السروجي لا قلبه
بجسمه ولا شبهه في وسمه ففرحت بلقيته وكدت لقوته و
بمرادميه

على سوء مقامه فشجاه وانشد قبل ان لحاه
تظاهرت بزيّ لكيما يقال فقير يزجي الزمان المزجّى
وأظهرت للناس أن قد فلجت وكم نال قلبي به ما ترجّى
فلولا التربّه لم يرث لي ولولا التفالج لم القَ فلجا
ثم قال انه لم يبق في هذه الارض مرتع ولا في اهلها مطمع فادلج
الى الطريق والطريق وسرنا منها متجرّدين وترافقنا عامين
متجرّدين وكنت على ان اصحبه ما عشت فأبى الدهر المشتّت

المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية

حكى الحارث بن همام قال لمّا جبت البيداء الى زبيد صحبني غلام
الى ان بلغ اشدّه وثقّفته حتى اكمل رشده وكان بزّ باخلاقي
وخبر مجالب وفاقي فلم يكن يتخطّى مرامي ولا يتخلّى في المرامي
لاجرم ان قربه اناطت بصفوي واخلصته لحضري وسفري
فاودى به الدهر المبيد حين ضمّنا زبيد فلما شالت نعامته
وسكنت نامته

بقيت عاما لا أسيغ طعاما ولا أبيع غلاما حتى أجاءني لغوب
الوحدة ومتاعب القومة والقعدة إلى أن أعتاض عن الدد
الخرز وأزنادهم هو سداد من عوز فقصدت من يبيع العبيد
بسوق زبيد وقلت أريد عبدا يعجب إذا قلب ويحمد إذا جرب
وليكن ممن خرجه الأكياس وأخرجه إلى السوق الإفلاس فأسر
كل منهم المطلب ووثب وبذل الحصيلة عن كثب ثم دارت الأهلة
دورها وتقلبت كورها وحورها وما أنجز منهم وعد ولا
سح لها رعد فلما رأيت التناسين ناسين أو متناسين علمت أن ليس
من خلق يغني وأن لن تحك جلدي مثل ظفري فرفعت مذهب
التفويض وبرزت إلى السوق بالصفر والبيض فإني لأستعرض الغلمان
وأستعرق الأثمان إذ قابلني رجل قد أخطم بلثام وتنمر على يد غلام

وقال

أتشتري مني غلاما صنعا ... في خلقه وخلقه قد برعا
بكل ما نطقت به مضطلعا ... يشفيك إن زاك وإن قلت دعا
وإن تصبك عثرة يقل لعا ... وإن تسمه السعي في لتا دسعا
وإن تصاحبه ولو يوما رعا

وإن تقنعه بظلف قنعا ... وهو على الكبر الذي قد جمعا
ما فاه قط كاذبا ولا ادعى ... ولا أجاب مطمعا حين دعا
ولا استجاز سرا أودعا ... وطالما أبدع فيما صنعا
وفاق في النظم وفي النثر معا ... والله لولا ضنك عيش صدعا
وصبية أضحوا عراة جوعا ... ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته من
ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم
ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لأنظر أين فصاحته
من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرة
ولا فاه بفوهة ابن أمة ولا حرة فضربت عنه صفحا وقلت
سحقا لعبدك وقبحا فغار بي الضحك الجذم الغض رأسه إلي وأنشد

يا من تلهب غيظه إذ لم أخبر باسمي له ما هاكذا من يشتري
أركان لا يرضيك إلا كشفه فأصخ له أنا يوسف أنا يوسف
ولقد كشفت لك الغطا فإن تكن فطنا عرفت وما إخالك

قال فسرّني عِيّ بشعره واستبى لبّي بسحره حتى شُدهت عن التحقيق
وأنسيت قصة يوسف الصدّيق ولم تكن لي همّ إلا مساومة
مولاه فيه واستطلاع طلع الثمن لديه وكنت أحسب أنه
سينظر شزرا إليّ ويُغلي السيمة عليّ فما حلّق إلى حيث حلّقت
ولا اعتلق بما به اعتلقت بل قال إن العبد إذا اتّزر ثمنه وخفّت
مؤنته تبرّك به مولاه ونفق عليه مثواه وأني لأجل برّك أحبّ أن
هذا الغلام إليك بأن أخفّف ثمنه عليك فزن مائتي درهم
إن شئت واشكر لي ما حبيت فنقدته المبلغ في الحال كما ينقد
في الحبيص الحلال ولم يخطر لي ببال أن كل مرخص غال فلما
تحققت الصفقة وحقّت الفرقة هملت عينا الغلام ولا
همول دمع الغمام ثم أقبل على صاحبه وقال

نحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الإنصاف أني أكلّف خطّة لا تستطاع
وأن أبلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع

أما جرّبتني فخبرت مني نصائح لم يمازجها خداع
وكم أرصدتني لشرك صيد فعدت وفي حبائلي السباع
ونبّهت المصاعب فاستقادت مطاوعة وكان بها امتناع
وأيّ كريهة لم أبل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع
وما أبدت لي الأيام جرما فيكشف عن مساءتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكتّم أو يذاع
فأنّى ساغ عندك نبذ عهدي كما نبذت براثنها الضباع
ولم سمحت قرونتك بامتهاني وأن أشرى كما يشرى المتاع
وهلّا صنت عرضي عنه صوني حديثك يوم جدّ بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في سكاب فلا تعار ولا تباع
فما أنا دون ذاك الطِرف لكن طباعك فوقها تلك الطباع
على أني سأنشد عند بيعي أضاعوني وأيّ فتى أضاعوا

قال فلما وعى الشيخ أبياته وعقل مباغاته تنفّس الصعداء
وبكى حتى أبكى البعداء ثم قال إني أحلّ هذا الغلام محلّ لبني ولا
أميّزه

عن افلاذ كبدي ولولا خلوّ مراحي وخبوّ مصباحي لما درج عن
عشّي الى ان يشبّ نعشي وقد رأيت ما نزل به من لوعة البين
والمؤمن هيّن ليّن فهل لك في تسلية قلبه وتسرية كربه
بان تعاهدني على الاقالة فيه متى استقلت والا تستثقل
اذا نقلت ففي الآثار المنقولة المدوّنة عن الثقات من اقال
نادما بيعته اقاله الله عثرته قال الحارث بن همام فوعدته
وعدا ابرزه الحياء وفي القلب اشياء فاستدنى حينئذ الغلام
اليه وقبّل بين عينيه وانشد والدمع يرفضّ من جفنيه

خفّض فديتك ما تلاقي | من برحاء الوجد والاشفاق
فما تطول مدّة الفراق | ولا تني ركائب التلاقي

بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال استودعك من هو نعم المولى ثم ذيّله وولّى فلبث الغلام
في زفير وعويل بما يقطع منّي مثل فلمّا استفاق وكفكف دمعه
المهراق قال اتدري لم اعولت وعلام عوّلت قلت اظن فراق
مولاك

هو الذي بكاك فقال انك لفي واد وانا في واد ولكم بين
مريد ومراد ثم انشد

لم ابك والله على الف نزح | ولا على فوت نعيم وفرح
وانما مدمع اجفاني سفح | على غبيّ لحظه حين طمح
وردّه حتى تغيّا وافتضح | وضيّع المنقوشة البيض الوضح
ويك اما ناجتك ما بيك الملح | بابني حرّ وبيعي لم يبح
اذ كان في يوسف معنى قد وضح

فتمثّلت مقاله في مرآة الملاعب ومعرض المداعب فتنصّلت
الحق وتبرّأ من طينة الرق فجلنا في مخاصمة اتصلت ثم لاح
وافضت الى محاكمة فلمّا اوضحنا للقاضي الصورة وتلونا
عليه السورة قال الا ان من اعذر فقد انذر ومن حذّر كمن بشّر
ومن بصّر فما قصّر وان فيما شرحتماه لدليلا على ان هذا الفتى
قد نبّهك فما ارعويت ونصح لك فما وعيت فاسترد ابلهك
واكتمه ولم تنفسك ولا تلمه وحاذر من اغتدى قوما لطمع في
استرقاقه فانه حرّ الاديم غير معرّض للتقويم وقد كان ابوه
امس

فقيل أقول الشهير واعترف بأنه فرعه الذي أنشأه وأن
لا وارث له سواه فقلت للقاضي أو تعرف أباه أخزاه الله
فقال وهل تجهل أبو زيد الذي جرحه جبار وعنده كل قاصمة
لأحبار وأخبار فحرقت حينئذ وحوقلت وأفقت ولكن
فات الوقت وأيقنت أن لثامه كان شرك مكيدته وزبية
قصيدته فنكست طرفي مما لقيت وآليت ألا أعامل متلثما ما بقيت
ولم أزل أتأوه لحسر صفقتي والافتضاح بين رفقتي فقال إلى القاضي
جيرة أبي متعاضي وبيّن حرارة تماضي يا هذا ما ذهب من مالك ما
وعظك ولا أجرم إليك من أيقظك فاتعظ بما نابك وكاتم
أصحابك ما أصابك وتذكر أبدا ما دهمك لتتقي الذي دهاك
وتخلق بخلق من ابتلي فصبر وتجلت له العبر فاعتبر فورعنه
لا يستأنف بالخجل والحزن ساحبا ذيل الغيظ والغبن وتوثبت مكاشفة
أبي زيد بالهجر ومصارمته أبد الدهر فجعلت أتنكب داره
وأتجنب أنا أداره إلى أن غشيني في طريق ضيق فحياني تحية متسبق

بالتسكين في البيع
وبالتحريك في الرأي
ضد .. قوسي

فما زدت على أن عبست وما نبست فقال ما بالك شمخت بأنفك عني
ألفك فقلت أنسيت أنك احتلت وختلت وفعلت فعلتك
التي فعلت فاستشاط متماديا ثم أنشد متدافيا متداركا

يا من بدا منه صدود موحش وتجهم
وغدا يريش ملامه وما يزدهي الأسهم
ويقول هل حر يباع كما يباع الأدهم
أقصر فما أنا فيه بدعا مثل ما تتوهم
قد باعت الأسباط قبلي يوسفا وهم هم
هذا وأقسم بالتي يسعى إليها المتهم
والطائفين بها وقد شعثت النواصي منهم
ما قمت ذاك الموقف المخزي وعندي درهم
فاعذر أخاك وكف عنه ملام من لا يفهم

ثم قال أما معذرتي فقد لاحت وأما دراهمك فقد طاحت فإن
كان استشعارك مني وازورارك عني لفرط شفقتك على غبن نفسك وقلبك
ممن يلسع مرتين ويوطئ على جمرتين وإن كنت طويت كشحك وأطعت
شحك لتستنقذ ما علق بأشراكي فلتبك على عقلك البواكي قال الحارث بن همام

فأضطرّني بلفظه الخالب وسحره الغالب إلى أن عدت له طعما
وبه حفيّا ونبذت مقلته ظهريّا وإن كانت شيئا فريّا

المقامة الخامسة والثلثون
الشيرازية بلد العجم

روى الحرث بن همّام قال مررت في تطوافي بشيراز على نادٍ
ولو كان على أوفاز فلم أستطع تعدّيه ولا خطت قدماي
تخطّيه فعجت إليه لأسبر سرّ جوهرهم وأنظر كنه من زهرهم
فإذا أهله أفراد والعاج إليهم مفاد وبين خرق في فكاهه
أطرب من الأغاريد وأطيب من جنى العناقيد إذ اختلف بنا ذو طمرين
قد كاد يناهز العمرين فحيّا بلسان طلق وأبان إبانة منطيق
ثم احتبى حبوة المستبرين وقال اجعلنا اللهم من المقتدين فازدراه
القوم لطمريه ونسوا أنّ المرء بأصغريه وأخذوا يتداعون
فصل الخطاب ويعترفون من الإخطار وهو لا ينبس بكلمة
ولا يبين عن سمة إلى أن سبر قرائحهم وخبر شائلهم ورامحهم

تخيّر استخراج دفائنهم واستثارة كنائنهم قال يا قوم لو علمتم أنّ
وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا الأخلاق وقلتم ما له من خلاق
ثم فجّر من ينابيع الأدب والنكت النخب ما جلت بدائع العجب
واستوجب أن يكتب بذوب الذهب فلمّا حلب كل حلب وقلّب الألبّة
كل قلب تحلحل للرحل وتأهّب ليذهب فعلقت الجماعة بذيله
وعاقت مسرى سيله وقالت له قد أربيتنا وسم قدحك فخبّرنا بانتمائك
فتنفّس وتحكّك فسمعت صوت من الجمّ ثم أعول حتى رحم قال الراوي
فلمّا رأيت شوب أبي زيد روبه وأسلوبه المألوف وصوبه
تأمّلت الشيخ على سهومة محيّاه وسهوكة ريّاه فإذا هو
أبّاه فكتمت سرّه كما يكتم الداء الدخيل وسترت مكره وإن
لم يكن تخيّل حتى إذا انتزع عن أعواله وقد عرف عثوري على حاله
بعثني مضحاك وطفق ينشد بلسان متباك
أستغفر الله وأعنو له من فرطات أثقلت ظهر نه
يا قوم كم من عاتق عانس ممدوحة الأوصاف في الأندية

قلتُ لها لا تتّقي وإنّما تطلّبتُ مني قوَدًا أو دِيَه

وكلّما استذنبتُ في قتلها أحلتُ بالذنب على الأقضيه

ولم تزل نفسي في غيّها وقتلها الأبكار مستنشيه

حتى نهاني الشيب لمّا بدا في مفرقي عن تلكم المعصيه

فلم أُرِق مذ شاب فودي دمًا من عاتق يومًا ولا مصبيه

وها أنا اليوم على ما بقي مني ومن حرفتي المكديه

أربّ بكرًا طال تعنيسها وحجبها حتى عن الأهويه

وهي على التعنيس مخطوبة تخطبها الغانية المغنيه

وليس يكفيني لتجهيزها على الرضا بالدون لا مئيه

والبدر لا يوفي على درهم والأرض قفر والسما مصحيه

فهل معين لي على نقلها مصحوبة بالقينة الملهيه

يغسل الهمّ بصابونه والقلب غرًّا فكاره المضنيه

ونقتني منّا الثنا الذي تضوع ريّاه مع الأدعيه

قال فلم يبق في الجماعة إلّا من نديت له كفّه وأناع إليه عرفه فلمّا نجحت بغيته

وكملت منّته أخذ يثني عليهم بصالح ويشمّر عن ساق سارح فتبعته

لأستعرف ربيبة خدره ومن قبل في حشّار أمره وكان

وشك فيما في مثله مرامي فازدلف مني وقال أفقه عني:

قل لمثلي يا صاح مزج المدام ليس قتلي لقرم أو حسام

والتي عنّست هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام

وبتجهيزها إلى الكاس والطاس فيائي الذي تريني ومقامي

فتفهّم ما قلته وتحكّم في التغابي إن شئت أو في الملام

ثم قال أنا عربيد وأنت رعديد وبيننا بون بعيد ودع عني

وانطلق وزوّدني نظرة من ابن علق

المقامة السادسة والثلاثون الملطية بلد رومي فيها الأحاجي

أخبر الحارث بن همّام قال أنخت بملطية مطيّة البين وحقيبتي

هجراي ملء القيبة بها عصاي أن أتورّد موارد المرح وأتصيّد

شوارد الملح فلم يفتني بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ملعب

ولا مرتع

حتى اذا لم يبق لي بها مارب ولا في الثوى بها مرغب عدت
لانفاق الذهب في ابتياع الاهب فلما اكملت الاعداد وتهيأت
الظعن منها او كدت رأيت بتسعة رهط قد سبؤوا قهوة
وأشربوا نشوة وقدما سبقهم قبل الأخائذ وتكاهنهم
خلوة الألفاظ فجنحت اليهم طلبا للمنادمة منهم لا للمدام منهم
وشغفا بمناجاتهم لا بمراجحتهم فلما استطعمت عشرتهم
واصحبت معاشرهم الفيتهم ابناء علات وفتيان فلوات
الا ان لحمة الأدب قد الفت شملهم الفة السبب وساوت
بينهم في الدأب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء وكالحلقة
المتناسبة الأجزاء فانتحى الاهتداء اليهم واحمدت
الطالع الذي اطلعني عليهم وطفقت افيض قدحي مع قدحهم
واستشفي برأيهم لا برحيقهم حتى اذا نبا شجون المفاوضة
الى التحاجي بالمقايضة كقولك كذا اعنيت به الكرامات
ما مثل النوم فات فانشأنا نجلو السها والقمر فنجني
الشوك والثمر

وبينا نحن ننشر القشيب والرث وننثل السمين والغث طلع علينا
شيخ قد ذهب حبره وسبره وبقي خبره وسبره فمثل مثول
من يسمع وينظر ويلتقط ما ينثر الى ان نفض الأكياس
وجحجح الياس فلما رأى اجبال القرائح واكداء المائح
والمانح جمع اذياله وولى بانفذاله وقال ما كل سوداء
تمرة ولا كل صهباء خمرة فاعتلقنا بهواه اعتلاق الحرباء بالأعواد
وضربنا دون وجهته بالاسداد وقلنا له ان دوا الشجي ان
يحار والا فالقصاص القصاص فلا تطمع في ان تخرج وتتمتع
الفتق وتسرح فلوى عنانه راجعا ثم جثم بمكانه راصفا وقال
اما اذا استبنتموني للبحث فساحكم حكم سليمن في الحرث
اعلموا يا ذوي الشمائل الأدبية والشمول الذهبية ان انزه
الأحجية لامتحان الألمعية واستخراج الخبيئة الخفية وحكها
ان تكون ذات مماثلة حقيقية والفاظ معنوية ولطيفة
ادبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم يدخل السفط
ولم ارحم

حافظتم على هذه الحدود ولا مرتم في زن المقنوك المردود فقلنا
له صدقت فكل لنا من لبابك وأفض علينا من عبابك فقال
أفعل لئلا يرتاب المبطلون ويظنوا بي الظنون

ثم قابل بناظره القوم وقال

يا من سما بذكاء في الفضل واري الزناد
ماذا يماثل قولي جوع أمد بزاد
طوامير

ثم ضحك للثاني وأنشد

يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي ظهر أصابته عين
مطاعين

ثم لحظ الثالث وأنشأ يقول

يا من تتابع فكره مثل النقود الجايزه
ما مثل قولك للذي حاجيته صاد وجايزه
الفاصلة

ثم رمى الرابع ببصره وقال

أيا مستنبطا الغامض من لغز وإضمار
ألا اكشف لي ما مثل تناول ألف دينار
حادثه

ثم التفت إلى الخامس وقال

يا أيها الألمعي أخو الذكاء المنجلي
ما مثل أمل حلية بين هديت وعجل
الحاشية

ثم التفت إلى السادس وأنشد

يا من تقصر عن مداه خطى مجاريه وتضعف
ما مثل قولك للذي أضحى يحاجيك اكفف كفف
مهمه

ثم خلج السابع بحاجبه وقال

يا من له فطنة تجلت ودربة في الذكاء جلت
بين فما ذات ذا بيان ما مثل قولي للشيفنو أفلت
الاصطار

ثم استنصت الثامن وأنشد

يا من حوى بفضله مطلوبه الازدهاد عضه
ما مثل قولك للمحاجي في الحجى ما اختار فضه
امارقه

ثم حدج التاسع ببصره وأنشأ يقول

يا من يشار إليه في القلب الذكي وفي البراعة
أوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي دس جماعة
طاقية

فإذا الداوي فلما انتهى إلى هرمنكبي وقال

يا من له النكت التي يشجي الخصوم بها وينكت
أبن المبين وقل لنا ما مثل قولي خالِ اسكت ∴ خالصه

ثم قال قد أمهلتكم وأمهلتكم وإن شئتم أن أعلمكم عللتكم ∴
قال فألجأنا لهب الغليل إلى استسقاء الطل فقال لست كمن
يستأثر على نديمه ولا ممن سمته في أذى غريمه ∴

ثم كرّ على الأول وأنشد

يا من إذا أشكل المعمّى جلته أفكاره الدقيقه
إن قال يوماً لك المحاجي حذ تلك ما مثله حقيقه ∴ فابتكر

ثم تنحى إلى الثاني وقال

يا من بدا بيانه عن فضله مجليا
ماذا مثال قولهم حمار وحش حليا ∴ فرازين

ثم أومى إلى الثالث بلحظه وأنشد

يا من غدا مخبر فضله وذكائه كالأصمعي
ما مثل قولك للنبي حاجاك أنفق تقمع ∴ منتقم

ثم حملوه إلى الرابع وقال

يا من إذا ما عويص دجا أنار ظلامه ∴
ماذا يماثل قولي استنشر زخ مدامه ∴ زخرام

ثم أفضى إلى الخامس وأنشأ يقول

يا من تنزه فضله عن أن يروى أو يشكا
ما مثل قولك للنبي أضحى يحاجي غط هلكا ∴ مسبعود

ثم أقبل قبل السادس وأنشد

يا أخا الفطنة التي بان فيها كماله
ساد بالليل مدة أي شيء مثاله ∴ سرحب

ثم تحابر إلى السابع وقال

يا من تحلى بفهم أقام في الناس سوقه
كل البيان ببن ما مثل أحب فروقه ∴ مقطعم

ثم قصد قصد الثامن وأنشد

يا من سمت ذروته في الفضل فاقت كل ذروه
ما مثل قولك غظ إبريقا بلوح بغير عروه ∴ زنسكرب

ثم ابتسم إلى التاسع وقال

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك
ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء النور ملكي

ثم قبض جمعه على ذنبه وقال

يا من سما بثقوب فطنته في المشكلات ونور كوكبه
ماذا امتثال الصفين جحفله بينه بينا نابتم به

قال الحارث بن همام فلما أطربنا بما سمعناه وطالبناه بكشف معناه قلنا له لسنا من رجال هذا الميدان ولا لنا بحل مثله يدان فإن أبنت مننت وإن كتمت غممت فظل يشاور نفسه ويقلب قدحه حتى هان تردد الماعون عليه فأقبل حينئذ على الجماعة وقال سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ظننتم أنكم تعلمون فأوكوا عليه الأوعية ودونوا به الأردان ثم أخذ في تفسير ما عضل به الأذهان واستفرغ معه الأزدان حتى أصبت الأفهام أنور من الشمس والأكمام كأن لم تغن بالأمس ولما هم بالمقر

سئل عن المقر فتنفس كما تنفس الثكول ثم أنشأ يقول

كل شعب لي شعب وبه دار رحب
غير أني بسروج مستهام القلب صب
هي أرضي البكر والجو الذي منه المهب
وإلى روضتها الغناء دون الروض أصبو
ما حلا لي بعدها حلو ولا أعذوذب عذب

قال الراوي فقلت لأصحابي هذا أبو زيد السروجي الذي أزرى بملح الأحاجي وأخذت أصفهم حسن توشيته وانقياد الكلام بمشيئته ثم التفت فإذا به قد طمر ونأى بما قمر فعجبنا مما صنع ولم ندر أين سكع وصقع

تفسير الأحاجي المودعة هذه المقامة

أما جوع أم نزار فمثله طوامير وأما ظهر أصابته عين فمثله مطاعين وأما صادف جانبه فمثله الفاصلة وأما تناول ألف دينار فمثله هادنه وأما أهمل حليه فمثله الغاشية وأما الكف الكف فمثله مهمه وأما اشتفوا فلت فمثله الأخطار وأما اختار رقعة

فمثله ابارقه لان الرقه من اسما الفضه وقد نطق بها النبي عليه
السلم فقال في الرقة ربع العشر ❁ واما دس جماعة فمثله طائفة
واما خالي اسطف فمثله خالصه لانك اذا ناديت مضافا الى
نفسك جاز لك حذف اليا واثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف
ها هنا حرف النداء كما حذفه في اصل الاحجية وصه بمعنى اسكت
واما خذ بلك فمثله هاتيك ❁ واما حمار وحش طيا فمثله فرا
لان الفرا حمار الوحش ومنه الحديث كل الصيد في جوف الفرا
واما انفق تقع فمثله منتفع لان الامر من مان يمون من ومضارع
نفع ❁ واما استنشق رنح مدامه فمثله رحراح لان الامر من استدعاء
الراح رح ❁ واما لفظ هلكى فمثله صنبور لان البور هم الهلكى قال الله
تعالى وكنتم قوما بورا ❁ واما سار بالليل مه فمثله سرحب
واما احب فروقه فمثله مقلاع لان الامر من ومق مق ومن الولع
الجبان ❁ واما اعط ابريقا بلوح بغير عروة فمثله اسكوب لان الاوس
العطا والامر منه اس والكوب الابريق بغير عروة ❁ واما النود ملكى
فمثله اللالي

لان اللا هو ثور الوحش ❁ واما صفير محفلة فمثله مكاشفة
لان المكا الصفير قال الله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت
الا مكا وتصدية والاصل في المكا المد ولكنه قصر في هذه
الاحجية كما حذف همزة الفرا في احجيته على قول من همزه
وكلا الامرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز ❁

المقامة السابعة والثلثون الصعدية

حكى الحرث بن همام قال اصعدت الى صعدة وانا ذو شطاط
يبذ به بنات صعدة فلما رايت نضرتها وزعيت خضرتها سالت
خابرا الرواة عمن تحويه من السراة ومعادن الحكمة
لاتخذه جذوة في الظلمات ونخبة في الملمات فنعت لي قاضيها
بما رحيب الباع خصيب الرباع يمتي الى النسب والطباع فلم ازل
اتقرب اليه بالالمام واتنوق عليه بالاحجام حتى صرت صاحب
مشاجره
وسلمني بيته وكنت مع اشتيار شهده واستنشاق رنده اشهد
الخصوم

قامه — بلد — تنبق — حسنها — علما — السادات — عونا — الظالم — وصلفه — فبسا — واتسع — مربع — بالغيبه — بالزيارة — اى ملازمه — لعق — عسل — خصومه — انظر — العلما من ضوئك

واستقرّ بين المعصوم منهم والموصوم • فبينما القاضي جالس
للإسجال في يوم المحفل والاحتفال إذ دخل شيخ بالي الرياش
بادي الارتعاش فاستنصر الحفل ثم نصر ثم زعم أن له خصماً غير
منقاد فلم يكن إلا كصفوة شرارة أو وحي إشارة حتى أحضر غلاماً
كأنه ضرغام فقال الشيخ أيّد الله القاضي وعصمه من التقاضي إن
ابني هذا كالقلم الرديّ والسيف الصديّ يحمل أوصاف الإنصاف
ويرضع أخلاف الخلاف إن قدّمته أحجم وإذا أغريته أحجم وإن كنت
أحمد ومتى سوّيت نقّل مع أني كفلته مذ دبّ إلى أن شبّ و
له ألطف من ربّا وربّ فأكبر القاضي ما شكا إليه وأطرق
مرجواً لبنه ثم قال أشهد أن العقوق أحد الثكلين ولرب عقم أقرّ
للعين فقال الغلام وقد نغصه هذا الكلام والذي نصب القضاة
للعدل وملكهم أعنّة الفضل إنه ما دعا قطّ إلا أمّنت
ولا ادّعى إلا آمنت ولا بنى إلا وأحرمت ولا أوبق إلا وأصحبت
ثم إنه كمن يبغي بيض الأنوق ويطلب الطراز عن النوق فقال له القاضي
ولم عنّتك

وامتحن طاعتك • فقال إنه مذ صفر من المال ومني بالإمحال سوّمني
أن أتلمظ بالسؤال واستمطر سحب النوال ليغيض شربه الذي
غاض ويجبر من حاله ما انهاض وقد كان خبر أخلاقي بالدرس
وعلمني أدب النفس أشرب قلبي أن الحرص منقصة وأن الطمع
معتبة وأن النفس منخمة والمسألة مذمّة ثم أنشبني من فلق فيه
ارض يا بني بالقبس واشكر عليه شكر من القل كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل يحط قدر المتسامي إليه
وحام عن عرضك واستبقه كما يحامي الليث عن لبدتيه
واصبر على ما نابك من فاقة صبر أولي العزم فأغمض عليه
ولا يرزؤما المحيا ولو خوّلك المسؤول ما في يديه
فالحر من إن قذيت عينه أخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن إذا أخلق ديباجه لم ير أن تخلق ديباجتيه
قال فعبس الشيخ واكفهر واندرأ على ابنه وهرّ وقال له يا
عقوق يا من هو الشجى والشرق وبك أتعلم أمك البضاع وكهيئتك
للإرضاع

لقد حككت العقرب بالأفعى واستننت الفصال حتى القرعى

ثم كأنه ندم على ما فرط منه وحنت إليه المقة على تلافيه فرنا إليه بعين عاطف وخفض له جناح ملاطف وقال ويك يا بني إن من أمر بالقناعة وزجر عن الضراعة هم أرباب البضاعة وأولو المكسبة بالصناعة فأما ذوو الضرورات فقد سوغوا المحظورات وهبك جهلت هذا أنبا أو لم يبلغك ما قيل لست الذي عارض أباه فيما قال وما حاباه

لا تقعدن على ضر ومسغبة ... لكي يقال عزيز النفس مصطبر

وانظر بعينك هل أرض معطلة ... من النبات كأرض حفها الشجر

فعد عما يشير الأغبياء به ... فأي فضل لعود ما له ثمر

وارحل ركابك عن ربع ظمئت به ... إلى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الري من در السحاب فإن ... بلت يداك به فليهنك الظفر

وإن رددت فما في الرد منقصة ... عليك قد رد موسى قبل والخضر

فلما رأى القاضي تناسب قول الفتى وفعله وتحليه بما ليس من أهله

نظر إليه بعين غضبى وقال أتميميا مرة وقيسيا أخرى أف لمن ينقض ما يقول ويتلون كما تتلون الغول فقال الغلام والذي جعلك مفتاحا للخير وفتاحا بين الخلق لقد أشبت مذ وصبي ذو هيج مذ صديت على أنه ابن لباب الفتح والعطا السرح وهل يفي من تبرع بالمني وإذا استطيع يقولها فقال له القاضي مه فمع الخواطي سهم صائب وما كل برق خالب فميز البر وإذا شمت ولا تنه إلا بما علمت فلما تبين الشيخ أن القاضي قد غضب للكرام وأعظم تجهيل همم الأنام علم أنه سينتصر كلمته ويظهر أكرومته فثابت أن نصب نسكته وشوى في الحرق سمكته وأنشأ يقول

يا أيها القاضي الذي علمه ... وحلمه أرسخ من رضوى

قد ادعى هذا على جهله ... أن ليس في الدنيا أخو جدوى

وما درى أنك من معشر ... عطاؤهم كالمن والسلوى

فخلنا بينه مستخزيا ... مما افترى من كذب الدعوى

وأتني جذلان أثني بما ... أوليت من جدوى ومن عدوى

قال فهشّ القاضي لقوله وأجزل له من طوله ثم لفت وجهه
إلى الغلام وقد تصلّله أسهم الملام وقال له أرأيت بطلَ
زعمك وخطأ وهمك فلا تعجل بعدها بذمّ ولا تنحت عودًا
قبل عجم وإياك تأبّيك عن مطاوعة أبيك فإنك إن عدت لعقوقه
حاق بك من محقّه فسقط الفتى في يده ولاذ بخفو والبدء
ثم نهض يحفد وتبعه الشيخ ينشد ⁂

من ضامه أو ضاره دهره ... فليقصد القاضي في صعده
سماحه أزرى بمن قبله ... وعدله أتعب من بعده

قال الراوي فجزت بين تعريفا للشيخ وتنكيره إلى أن آخر ورود
المسير به فناجتني النفس عند ذلك باتّباعه ولو إلى رباعه
لعلّي أظفر على أسرابه فالغرو شجرة ناره فسرت تلقاء العوائق
وانطلقت حيث انطلق ولم أزل أخطو وأعتنق وأبعد وأقترب
إلى أن تراءى الشخصان وحقّ التعارف على الخلصان فأبدى الاهتشاش
ودفع الارتعاش وقال لمن كاذب أخاه فلا عاش فعرفت حينئذ
السرّ في جلالته

وإلّا حوّل حاله وأسرعت إليه لأصافحه واستعرف سانحه
وبارحه فقال دونك ابن أخيك البرّ وشريكي ومرّ فلم يعد
الفتى أن افترّ فرحمًا فرّ فعرفت وقد استبنت عنهما ولكن أن قمّا

المقامة الثامنة والثلثون
المروية وبه بلد العجمي

حكى الحارث بن همام قال حُبّب إليّ مذ سعت قدمي ونفثت قلمي
شرعة والاقتباس منه نجعة فكنت أنقّب عن أخياره
وأسرابه فإذا ألفيت منهم بغية الملتمس وجذوة المقتبس شددت
يدي بغرزه واستنزلت منه زكاة كنزه على أني لم آلُ كالسُّرى
في غزارة السحب ووضع الهناء مواضع النقب الذي كان
أشبه من الشكّ أسرع بين الغمر في النقل وكنت الهوى ملا فا
واستحسان مقاماته أرغب في الاغتراب واستعذب السفر
الذي هو قطعة من العذاب فلما تطوّحت إلى مرو ولا غرو
بشّرني ملقاه زجر الطير والفأل الذي هو بريد الخير فلم أزل
أنشد

فِي الْمَحَافِلِ وَعِنْدَ تَلَقِّي الْقَوَافِلِ فَلَا أَجِدُ عَنْهُ مُخْبِرًا وَلَا أَرَى
لَهُ أَثَرًا وَلَا عِثْيَرًا حَتَّى غَلَبَ الْيَأْسُ الطَّمَعَ وَانْزَوَى التَّأْمِيلُ
وَانْقَمَعَ فَإِنِّي لَذَاتَ يَوْمٍ بِحَضْرَةِ وَالِي مَرْوَ وَكَانَ مِمَّنْ جَمَعَ الْفَضْلَ
وَالسَّرْوَ إِذْ طَلَعَ أَبُو زَيْدٍ فِي خَلَقٍ مُمَلَّجٍ وَخُلُقٍ مُلَاقٍ فَحَيَّا الْوَالِيَ
تَحِيَّةَ الْمُحْتَاجِ إِذَا لَقِيَ رَبَّ التَّاجِ ثُمَّ قَالَ لَهُ اعْلَمْ وُقِيتَ الذَّمَّ
وَكُفِيتَ الْهَمَّ أَنَّ مَنْ عُذِقَتْ بِهِ الْأَعْمَالُ أُعْلِقَتْ بِهِ الْآمَالُ
وَمَنْ رُفِعَتْ لَهُ الدَّرَجَاتُ رُفِعَتْ إِلَيْهِ الْحَاجَاتُ وَإِنَّ السَّعِيدَ
مَنْ إِذَا قَدَرَ وَآتَاهُ الْقَدَرُ أَدَّى زَكَاةَ النِّعَمِ كَمَا يُؤَدِّي زَكَاةَ النَّعَمِ
وَالْتَزَمَ لِأَهْلِ الْحُرَمِ مَا يَلْتَزِمُ لِأَهْلِ الْحَرَمِ وَقَدْ أَصْبَحْتَ
بِحَمْدِ اللَّهِ عَمِيدَ مِصْرِكَ وَعِمَادَ عَصْرِكَ تُزْجَى الرَّكَائِبُ إِلَى حَرَمِكَ
وَتُرْجَى الرَّغَائِبُ مِنْ كَرَمِكَ وَتُنْزَلُ الْمَطَالِبُ بِسَاحَتِكَ وَتُسْتَنْزَلُ
الرَّاحَةُ مِنْ رَاحَتِكَ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ثُمَّ إِنِّي شَيْخٌ
تَرِبَ بَعْدَ الْإِتْرَابِ وَعَدِمَ الْإِعْشَابَ حِينَ شَابَ فَقَصَدْتُكَ مِنْ مَحَلَّةٍ
نَازِحَةٍ وَحَالَةٍ بَارِحَةٍ آمُلُ مِنْ بَحْرِكَ دُفْعَةً وَمِنْ جَاهِكَ رُفْعَةً
وَالتَّأْمِيلُ أَفْضَلُ

وَسَائِلِ السَّائِلِ وَنَائِلِ النَّائِلِ فَأَوْجِبْ لِي مَا يَجِبُ عَلَيْكَ وَأَحْسِنْ
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَإِيَّاكَ أَنْ تَلْوِيَ عِذَارَكَ عَمَّنِ ازْدَارَكَ
وَأَمَّ دَارَكَ أَوْ تَنْقَبِضَ عَنْ أَحَدٍ عَمَّنِ امْتَاحَكَ وَامْتَارَ سَمَاحَكَ
فَوَاللَّهِ مَا مَجَدَ مَنْ جَمَدَ وَلَا رَشَدَ مَنْ حَشَدَ بَلِ اللَّبِيبُ مَنْ إِذَا
وَجَدَ جَادَ وَإِنْ بَدَأَ بِعَائِدَةٍ عَادَ وَالْكَرِيمُ مَنْ إِذَا اسْتُوهِبَ
الذَّهَبَ لَمْ يَهَبْ أَنْ يَهَبَ ثُمَّ أَمْسَكَ يَرْقُبُ أُكُلَ غَرْسِهِ وَيَرْصُدُ
مُطَيِّبَةَ نَفْسِهِ وَأَحَبَّ الْوَالِي أَنْ يَعْلَمَ هَلْ نُطْفَتُهُ ثَمَدٌ أَمْ لِقَرِيحَتِهِ
مَدَدٌ فَأَطْرَقَ يُرَوِّي فِي اسْتِثَارَةِ آيَةٍ بِهِ وَاسْتِشْفَافِ فِرِنْدِهِ
وَالْتَبَسَ عَلَى أَبِي زَيْدٍ سِرُّ صُمْتَتِهِ وَسَبَبُ إِرْجَاءِ صِلَتِهِ فَتَوَرَّعَ عَنْ

لَا تَحْقِرَنَّ أَبَيْتَ اللَّعْنَ ذَا أَدَبٍ … لِأَنْ بَدَا خَلَقَ السِّرْبَالِ سُبْرُوتَا
وَلَا تُضِعْ لِأَخِي التَّأْمِيلِ حُرْمَتَهُ … أَكَانَ ذَا لِبْسَةٍ أَمْ كَانَ سِكِّيتَا
وَانْفَحْ بِعُرْفِكَ مَنْ وَافَاكَ مُخْتَبِطًا … وَانْعَشْ بِغَوْثِكَ مَنْ أَلْفَيْتَ مَنْكُوتَا
فَخَيْرُ مَالِ الْفَتَى مَالٌ أَشَادَ لَهُ … ذِكْرًا تَنَاقَلَهُ الرُّكْبَانُ أَوْ صِيتَا
وَمَا عَلَى الْمُشْتَرِي حَمْدًا بِمَوْهِبَةٍ … غَبْنٌ وَلَوْ كَانَ مَا أَعْطَاهُ يَاقُوتَا

لولا المروءة ضاق العذر عن فطن إذا اشرأبّ إلى ما جاوز القوتا

لكنه لابتناء المجد جدّ ومن حبّ السماح ثنى نحو الغنى ليتا

وما تنشّق نشر الشكر ذو كرم إلا وأزرى بنشر المسك مفتوتا

والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما حتى لقد خيل ذا ضبًّا وذا حوتا

والسمح في الناس محبوب خلائقه والجامد الكف لا ينفك ممقوتا

وللشحيح على أمواله علل يوسعنه أبدًا ذمًّا وتبكيتا

فجد بما جمعت كفاك من نشب حتى يرى مجتدي جدواك مبهوتا

وخذ نصيبك منه قبل رائعة من الزمان تريك العود منحوتا

فالدهر أنكد من أن تستمرّ به حال تكرّهت تلك الحال أو شيتا

فقال له الوالي تالله لقد أحسنت فأيّ ولد الرجل أنت

فنظر إليه عن عرض ثم أنشد وهو مغضٍ

لا تسأل المرء من أبوه ورز خلاله ثم صله أو فاصرم

فما يشين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم

قال فقرّبه الوالي لبيانه الفاتن حتى أحلّه مقعد الخاتن ثم فرض له من

سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله ثم نهض عنه بردن ملآن

وقلب جذلان فتبعته حاذيًا حذوه وقافيًا خطوه حتى إذا

خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هنّيت ما أوتيت ومليت

ما أوليت فاسفرّ وجهه فتلألأ ووالى شكر الله تعالى ثم

خطر اختيالًا وأنشد ارتجالًا

من يكن نال بالحماقة حظًّا أو سما قدره لطيب الأصول

فبفضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتفعت لا بقبولي

ثم قال تعسًا لمن جدب الأدب وطوبى لمن جدّ فيه ودأب

ثم ودّعني وذهب وأودعني اللهب

المقامة التاسعة والثلاثون البحرية

حدّث الحرث بن همّام قال لهجت مذ اخضرّ إزاري وبقل عذاري بأن أجوب البراري

على ظهور المهاري أخذ طورًا وأسلك تارة غورًا حتى بليت

المعالم والمجاهل وبلوت المنازل والمناهل وأدميت السنابك

والمناسم

وانضيت السوابق والبرى والرواسم فلما مللت الاصعاد وقد جنح
الى الادب بمجاد ملت الى اختبار الانتياد واختيار الفلك
السيار فنقلت اليه اساودي واستصحبت زادي ومزادي
ثم ركبت فيه ركوب حاذر ناذر عاذل لنفسه وعاذر فلما
شرعنا في القلعة ودفعنا الشرع للشرعة سمعنا من شاطئ
المرسى حين دجا الليل واغسى هاتفا يقول يا اهل ذا الفلك
القويم المنجي في البحر العظيم بتقدير العزيز العليم هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فقلنا له اقبسنا نارك
ايها الدليل وارشدنا كما يرشد الخليل الخليل فقال تستحملون
ابن سبيل زاده في زبيل وظله غير ثقيل ما يبغي سوى مقيل
فاجمعنا على الجنوح اليه والا نبخل بالماعون عليه فلما استوى
على الفلك قال اعوذ بمالك الملك من مسالك اهل الهلك ثم قال
انا روينا في الاخبار المنقولة عن الاحبار ان الله تعالى ما
اخذ على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء ان يعلموا وان
معي لعوذة

عن الانبياء ماخوذة وعندي لكم نصيحة براهينها صحيحة وما وسعني
الكتمان ولا من خيمي الحرمان فتدبروا القول وتفهموه
واعملوا بما تعلموه وعلموا ثم صاح صيحة المباهي وقال اتدرون ما
هي هي والله حرز السفر عند مسيرهم في البحر والجنة من الغم
اذا جاش موج اليم وبها استعصم نوح يوم الطوفان ونجا ومن
معه من الحيوان على ما صرحت به آي القرآن ثم قرا بعدما اسان طرز
تلادها وزخاف جلادها وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها
ومرساها ثم تنفس تنفس المغرمين او عباد الله المكرمين وقال
اما انا فقد قمت فيكم مقام المبلغين ونصحت لكم نصح المبالغين
وسلكت بكم محجة الراشدين فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين
قال الحارث بن همام فاعجبنا بيانه الباني الطلاوة وعجبت له
اصوا انتنا بالتلاوة وآنس قلبي من جرسه معرفة عين شمسه فقلت
له بالذي سخر البحر اللجي الست السروجي فقال الى بلى وهل
يخفى ابن جلا فاحمدت حينئذ السفر وسفرت عن نفسي اذ سفر

ولم نزل نسير والبحر رهو والجو صحو والعيش صفو والزمان
لهو وأنا أجد بالقفيانه وجد المتيم بعقيانه وأفرح لمناجاته
فرح العزيز بنجاته إلى أن عصفت الجنوب وعسفت الجنوب
ونبا السفر ما كان وجاءهم الموج من كل مكان فملنا لهذا
الحادث الثائر إلى إحدى الجزائر لنريح ونستريح ريثما تؤاتي
الريح وتمادى اعتياص المسير ونفد الزاد غير اليسير فقال
لي أبو زيد إنه لمن حزن أن يعود بالقعود فهل لك في استثارة
السعود بالصعود فقلت إني لك لأتبع من ظلك وأطوع من
نعلك فنهضنا إلى الجزيرة على ضعف المريرة لنركض في اختراق الميرة
وكلانا لا يملك فتيلا ولا يهتدي فيها سبيلا فأقلنا نجوس
خلالها ونتفيأ ظلالها حتى أفضينا إلى قصر مشيد له باب
من حديد ودونه زمرة من عبيد فناسمناهم لنتخذهم سلما
إلى الارتقاء وأرشية للاستقاء فألفينا كلا منهم في مسك
كئيب وكرب أسير فقلنا أيتها الغلمة ما هذه الغمة فلم
يجيبوا

عسفت اخذت على غير قصد

جنا

من المريرة

الفتيل قشر يكون في شق نواة التمر

البدر أو لا بدا ما هو أبيضا ولا سودا فلما دانا أبنا أنا دهم نادر
وخبرهم كسراب السباسب فلما شاهدت الوجوه وقبح اللكع اللئيم
ومن يرجوه فابتدر خادم قد علته كبرة وعرته عبرة وقال
يا قوم لا توسعونا سبا ولا توجعونا عتبا فإنا في حزن شامل
وشغل عن الحديث شاغل فقال له أبو زيد نفس خناقك وبث
وانفث إن قدرت على النفث فإنك ستجد مني عرافا كافيا وعرافا
شافيا فقال اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة
وشاه هذه الرقعة إلا أنه لم يخل من كمد لخلوه من ولد ولم
يزل يستنكح المغارس ويتخير من المفارش النفائس إلى أن بشر
بحمل عقيلة وآذنت زقلته بفسيلة فنذرت له النذور و
الأيام والشهور لما حان النتاج وصيغ الطوق والتاج
عسر مخاض الوضع حتى خيف على الأصل والفرع فما فينا من يعرف
قرارا ولا يطعم النوم إلا غرارا ثم أجهش بالبكاء وأعول
وردد الاسترجاع وطول فقال له أبو زيد اسكن يا هذا
واستبشر

الشكوى

نكلم

الفسيلة نخلة صغيرة تخرج من نخلة كبيرة

قولوا انا لله وانا اليه راجعون

وأبشر بالفرح وبشّر فغشيني عزيمة الطلق التي انتشر سمعها في
الخلق فتبادر الغلمة إلى مولاهم مبشّرين بانكشاف
بلواهم فلم يكن إلا كلا ولا حتى برز من هلمّ بنا إليه فلما
دخلنا عليه ومثلنا بين يديه قال لأبي زيد ليهنك منالك إن
صدق مقالك فقال لم يفل فالك فاستحضر قلما مبريا وزبدا بحريا
وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف فما إن رجع النفس حتى
أحضر ما التمس فسجد أبو زيد وعفّر وسبّح واستغفر وأخذ
القلم واسحنفر وكتب على الزبد بالمزعفر

أيهذا الجنين إني نصيح لك والنصح من شروط الدين
أنت مستعصم بكنّ كنين وقرار من السكون مكين
ما ترى فيه ما يروعك من إلف مداج ولا عدو مبين
فمتى ما برزت منه تحوّلت إلى منزل الأذى والهون
وترى كل لتشقى الذي تلقى فتبكي له بدمع هتون
فاستدم عيشك الرغيد وحاذر أن تبيع المحقوق بالمظنون
واحترس من مخادع لك يرقيك ليلقيك في العذاب المهين
ولعمري لقد نصحت ولكن كم نصيح مشبّه بظنين

ثم إنه طمس المكتوب على غفلة وتفل عليه مائة تفلة وشدّ
الزبد في خرقة حرير بعد ما ضمّخها بعبير وأمر بتعليقها على
فخذ الماخض وألا تعلّق بها يد حائض فلم يك إلا كذواق شارب
أو فواق حالب حتى اندلق شخص الولد الخصيبي الزند بقدرة الواحد
الصمد فامتلأ القصر حبورا واستطار عميده وعبيده سرورا
وأحاطت الجماعة بأبي زيد تثني عليه وتقبّل يديه وتتبرّك بمساس
طمريه حتى خيّل إليّ أنه القرني أويس أو الأسدي دبيس ثم
انثال عليه من جوائز المحاذاة وصلات الصلات ما قيّض له الغنى
وبيّض وجه المنى ولم يزل ينتابه الدخل منذ نجح السجل إلى أن
أعطى البحر الأمان وتسنّى الإتمام إلى عمان فاكتفى أبو زيد
بالنحلة وتأهّب للرحلة فلم يسمح الوالي بحركته بعد تجربة
بركته بل أوعز بضمه إلى خزانته وأن تطلق يده في خزائنه
قال الحارث بن همام فلما رأيته قد مال إلى حيث يكتسب المال أكببت
عليه بالتعنيف

وحببت له مفارقة المألف والأليف فقال إليك عني واسمع مني

لا تصبون إلى وطن فيه تضام وتمتهن
وارحل عن الدار التي تعلي الوهاد على القنن
واهرب إلى كن يقيك ولو أنه حضنا حضن
وأد بنفسك أن تقيم بحيث تغشاك الدرن
وجب البلاد فأيها أرضاك فاختره وطن
ودع التذكر للمعاهد والحنين إلى السكن
واعلم بأن الحر في أوطانه يلقى الغبن
كالدر في الأصداف يستزرى ويبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما استمعت وحبذا أنت لو اتبعت فأوضحت له معاذيري وقلت كن عذيري فعذر واعتذر وزود حتى لم يذر ثم شيعني تشييع الأقارب إلى أن ركبت في القارب فودعته وأنا أشكو الفراق وأذمه وأود لو ملكت الحين وأمه

المقامة الاربعون التبريزية بلد باذربيجان

أخبر الحارث بن همام قال أزمعت التبريز من تبريز حين نبت

وخلت من المجير والحميم فبينا أنا في إعداد الأهبة وارتياد الصحبة لقيت أبا زيد السروجي ملتفا بكساء محتفا بنساء فسألته عن خطبه وإلى أين يسري مع سربه فأومى إلى امرأة منهن باهرة السفور ظاهرة النفور وقال تزوجت هذه لتؤنسني في الغربة وترحض عني قشف العزبة فلقيت منها عرق القربة تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي فأنا منها نضو وجى وحلف شجو وشجى وها نحن قد تساعينا إلى الحاكم ليضرب على يد الظالم فإن انتظم بيننا الوفاق وإلا فالطلاق والانطلاق قال فملت إلى أن أخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب فجعلت شغلي دبر أذني وصحبتهما وإن كنت لا أغني فلما حضرا القاضي وكان ممن يشح بفضل الإمساك وينض نفاثة السواك جثا أبو زيد بين يديه وقال أيد الله القاضي وأحسن إليه إن مطيتي هذه أبية القياد كثيرة الشراد مع أني أطوع لها من بنانها وأحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك أما علمت أن النشوز يغضب الرب

وبوجب الضرب فقالت انه ممن يرد خلف الدار وياخذ
بالجار فقال له القاضي تبا لك اتبذر في السباخ وتستفرغ
حيث لا افراخ اعزب عني لا نعم عوفك ولا امن خوفك فقال
ابو زيد انها ومرسل الرياح لاكذب من سجاح فقالت بل هو
وحق الحمامة وجناح النعامة لاكذب من ابي ثمامة حين مخرق
باليمامة فزفر ابو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة
المغتاظ وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل
والجار اتعمدين في الخلوة لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي
وقد علمت اني حين بنيت عليك ورنوت اليك الفيتك اقبح
من قردة وايبس من قدة واخشن من ليفة وانتن من جيفة
واثقل من هيضة واقذر من حيضة وابرد من قشرة وابرد من
قرة واحمق من رجلة واوسع من دجلة فسترت عوارك ولم
ابد عارك على انه لو حبتك شيرين بجمالها وزبيدة بمالها
وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها والزباء بملكها ورابعة
بنسكها

وخندف بفخرها والخنسا بشعرها في صخرها لانفت ان تكون
قعيدة رحلي وطروقة فحلي قال فتنمرت المراة وتنمرت
وحسرت عن ساعدها وشمرت وقالت له يا الام من مادر
واشام من قاشر واجبن من صافر واطيش من طامر اترميني
بشنارك وتفري عرضي بشفارك وانت تعلم انك احقر من قلامة
واعيب من بغلة ابي دلامة وافضح من حبقة في حلقة واحير
من نقبة في حقة وهبك الحسن في لفظه ووعظه والشعبي
في علمه وحفظه والخليل في عروضه ونحوه وجريرا في غزله
وهجوه وقسا في فصاحته وخطابته وعبد الحميد في بلاغته
وكتابته وابا عمرو في قراءته واعرابه وابن قريب في روايته
عن اعرابه اتظنني ارضاك اماما للمحراب وحساما للقراب
لا والله ولا بوابا للباب ولا عصا للجراب فقال لهما
القاضي اراكما شنا وطبقة وحداة وبندقة فاتركا اللدد
واسلكا في سيركما الجدد واما انت فكفي عن سبابه

وقرّي اذا اتى بيتَه من بابه ❁ فقالت المرأة والله ما يسجن
عنه لساني الا اذا اكتسى ولا ارفع له شراعي دون اشباعه
فحلف ابو زيد بالمحرّجات ان ثلاثتهنّ لا يملك سوى اطمار
الرثاث فنظر القاضي في قصصهما نظر الالمعي وافكر
فكرة اللوذعي ثم اقبل عليهما بوجه قد قطّبه ومجنّ
قد قلبه وقال الم يكفكما التشاقّ في مجلس الحكم
والاقدام على هذا الجرم حتّى ترقّيتما من خبث المقاذعة
الى خبّ المخادعة وايم الله لقد اخطأت استكما الحفرة
ولم يصب سهمكما الثغرة فانّ امير المؤمنين اعزّ الله ببقائه
الدين نصبني لاقضي بين الخصماء لا لاقضي دين الغرماء وحقّ
نعمته التي احلّتني هذا المحلّ وملّكتني العقد والحلّ لئن
لم توضحا لي جليّة خطبكما وخبيّة خبّكما لانددنّ بكما
في الامصار ولاجعلنّكما عبرة لاولي الابصار فاطرق ابو
زيد اطراق الشجاع ثم قال له سماعِ سماعِ ❁

أنا السروجي وهذي عرسي ... وليس كفؤ البدر غير الشمس
وما تنافى انسها وانسي ... ولا نأى ديرها عن قسّي
ولا عدت سقيا ارض غرسي ... لكنّنا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي ... لا نعرف المضغ ولا التحسّي
حتى كأنّا لخفوت النفس ... اشباح موتى نشروا من رمس
فحين عزّ الصبر والتأسّي ... وشفّنا الضرّ الاليم المسّ
قمنا لسعد الجدّ او للنحس ... هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلحي الحرّ حين يرسي ... الى التحلّي في ثياب اللبس
فهذه حالي وهذا درسي ... فانظر الى يومي وسل عن امسي
وامر بجبري ان تشا او حبسي ... ففي يديك صحّتي ونكسي

فقال له القاضي ليثب انسك ولتطب نفسك فقد وجب
ان نغفر خطيئتك وتوفر عطيّتك فثارت الزوجة عند
ذلك واستطالت واشارت الى الحاضرين وقالت

يا اهل تبريز لكم حاكم اوفى على الحكام تبريزه

ما فيه من عيبٍ سوى أنّه يومَ النّدى قسمتُه ضيزى

تمدّ نه والشيخ يبغي جنا عوذ له ماذا المهرّ وزا

فسرّح الشيخ وقد نال من حزوّاته تخصيصاً وتمييزا

وددتني أجيب من شائم برقاً خفا في شهر موزرا

كأنّه لم يدر بأنّي التي لقّبت الشيخ الأراجيزا

وإنّني لو شئت غادرته أضحوكة في أهل تبريزا

فلمّا رأى القاضي اختلاج أجنانهما وانصلات لسانهما علم أنّه قد مُني منهما بالدّاء العياء والداهية الدهياء وأنّه متى منح أحداً الترجيح وصرف الآخر صفراً ليدبرنّ كان كمن قضى بالدبر أو صلى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم وأخرنطم وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة وندامة وأخذ يذم القضاء ومتاعبه ويعدّد شوائبه ونوائبه ويفنّد طالبه وخاطبه ثم تنفّس كما يتنفّس الحريب وانتحى بفصحه النجيب وقال إنّ هذا لشيء عجيب أأرشق في موقف بسهمين أألام في قضية مغرمين أنّى أطيق إرضاء الخصمين ومن أين ومن أين ثم عطف

إلى حاجبه المنفذ لمآربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وإمضاء هذا يوم الاغتمام هذا يوم الاعترام هذا يوم البحران هذا يوم الخسران هذا يوم عصيب هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب فأرحني من هذين المهذارين واقطع لسانهما عنّي بدينارين ثم فرّق الأصحاب وأغلق الباب وأشع أنّه يوم مذموم وأنّ القاضي فيه مهموم لئلّا يحضرني خصوم قال فأمّن الحاجب على دعائه وتباكى لبكائه ثم نقد أبا زيد وعرسه مثقالين وقال أشهد أنّكما لأحيل الثقلين لكن احترما مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كلّ قاضٍ قاضي تبريز ولا كلّ وقت تسمع الأراجيز فقالا له مثلك من حجب وشكرك قد و... ونهضا وقد حضيا بدينارين وأصليا قلب القاضي نارين

تفسير ما تضمّن هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدّة من

كما ان حامل القربة يلقى جهدا حتى يعرق ٫ وقوله جعلته
دبر اذني يعني اطرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء
ظهورهم ٫ وقوله اكذب من سجاح يعني التي تنبأت على عهد مسيلمة
الكذاب وسارت اليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به ووهبت
نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه
من الاسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة
ومنه قولهم ملكت فاسجح ٫ وقولها اكذب من ابي ثمامة هي
كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة وخرج بها الى ان
سار اليه خالد بن الوليد فقتله ٫ وقوله لا نعم عوفك العوف
الحال والعوف ايضا الذكر ويدعا للباني على اهله فيقال له نعم
عوفك ٫ وقوله يا دفار يا فجار هذان الاسمان معدولان عن دفرة
وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا ام دفر وكلما سمي بصفة
غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر عند البناء كقولك يا لكاع
يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء الا
في ضرورة الشعر كقول

الشاعر اطوف ما اطوف ثم اوي الى بيت قعيدته لكاع ٫ وقوله اجمع
من رجله فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري المسيل فيحترقها ٫ وقوله
الام من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر كان له حوض يسقي
ابله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده
٫ وقولها اشأم من قاشر فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن
زيد مناة ما طرق ابلا الا ماتت ٫ وقيل المراد به العام المجدب
وسمي قاشرا لقشره وجه الارض من النبات ٫ وقولها احرز من
صافر فقد اختلف فيه قال بعضهم عنا به كل ما يصفر من الطيور
بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الارض وقيل انه
طاير بعينه اذا اجنه الليل تعلق ببعض الاغصان ولم يزل يصفر
طوال ليلته خوفا من ان ينام فيؤخذ وقيل انه الذي يصفر
بالمراة لريبة فهو يحترز في صفيره مخافة ان يظهر على امره وقيل
ان المراد به في المثل المصفور به ٫ وهو الذي يبذر بالصفير فعلى
هذا القول فاعل ها هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اي
مدفوق وكقولهم

راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقوله جاء مفعول
بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا أي ساترا ⁘ وقولها أطيش
من طامر فالمراد به البرغوث وسمي طامرا لكثرة وثوبه
وقول القاضي أراد كما شنا وطبقة فإنه أراد به أن كلا
منكما كفو لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير
مختلف فيه ⁘ أما شن وطبقة قال بعضهم هما قبيلتان فشن هو ابن
أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي من إياد
وكانت طبقة لا تطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها ⁘ وقال بعضهم
كان شن رجلا من دهاة العرب وكان ألزم نفسه ألا يتزوج إلا
بامرأة تلائمه وكان يجوب البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل
في بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له شن أتحملني أم أحملك
فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب الراكب فأمسك حتى أتيا
على زرع فقال له شن أترى هذا الزرع أكل أم لا فقال له يا جاهل أما
تراه في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة فقال له شن أترى صاحبها
حيا فقال له ما رأيت

وحذاه وبندقه

أجهل منك أتراهم حملوا إلى القبر حيا ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل
فصار به إلى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فأخذ يطرفها بحديث
رفيقه فقالت له ما نطق إلا بالصواب ولا استفهم إلا عما يستفهم
عن مثله أما قوله أتحملني أم أحملك فإنه أراد أتحدثني أم أحدثك
حتى نقطع الطريق بالحديث ⁘ وأما قوله أترى هذا الزرع أكل أم لا
فإنه أراد هل استسلف أربابه ثمنه أم لا ⁘ وأما استفهامه عن
حياة صاحب الجنازة فإنه أراد أخلف عقبا يحيا بهم ذكره أم لا
فلما خرج إلى الرجل حدثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها إليه فزوجها
منه فسار بها إلى قومه وخبروا أمرها من الدهاء والفطنة قالوا
وافق شن طبقة فسارت مثلا ⁘ وسئل الأصمعي عن تفسير هذا المثل
فقال إن الشن وعاء من أدم كان قد تشنن فلما اتخذ له غطاء وافقه
ضرب فيه هنا المثل ⁘ وأما حذاه وبندقه فإنه يقال في المثل
المضروب لمن يفزع بعدوه ويبلى بنظيره حذا حذا وذاك بندقه
واختلف في المراد بهما فقيل هما الطائر المعروف وبندقه الرامي ⁘ وقيل
إنهما قبيلتان

من سعدا العشيرة فاغارت حداه وكانت تتبرك بالكوفة على شدة
وكانت تتبرك باليمن فقالت منهم ثم كرت بندقة على حداه فاخطت
عليهم ❁ وقوله اخطأت استها الحفرة فانه مثل يضرب لمن
يخطئ في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه ❁ وقوله طلسم وطرسم
معنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم اطرق ❁ وقوله اخرنطم وبرطم
اي غضب وقطب وقيل غضب مع تكبر ومعنى برطم غضب مع تعبس
❁ وقوله همهم وغمغم اي لم يبين الكلام ❁

المقامة الحادية والاربعون التنيسية بلد معروف فيها

اخبر الحارث بن همام قال اطعت دواعي التصابي في غلواء
للغيد وادنا الاغاريد الحان ابي البدير وولي العيش
النضير فقرعتني رشد الانتباه وندمت على ما فرطت في
جنب الله ثم اخذت في كسع الهنات بالحسنات وتلافي
الهفوات قبل الفوات فملت عن مغاداة الغادات الى ملاقاة
الثقات

وعن مقاناة القينات الى مداناة اهل الديانات وآليت الا
اصحب الا من نزع عن الغي وانتمى الى الطي وان الفيت
من هو خليع الرسن مديد الوسن نابيت داره وفررت
من عره وعراره ❁ فلما القتني الغربة بتنيس واحلتني مسجدها
مسجدها الانيس رايت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة مزدحمة وهو
يقول بجاش مكين ولسان مبين مسكين ابن آدم واي مسكين ركن
من الدنيا الى غير ركين واستعصم منها بغير مكين وذبح من حبها
بغير سكين يكلف بها لغباوته ويكلب عليها لشقاوته ويتبجح
فيها بمفاخرته ولا يتزود منها لآخرته اقسم بمن مرج البحرين
ونور القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو
فكر فيما قدم لبكى الدم ولو ذكر المكافاة لاستدرك ما
فات ولو نظر في المآل لحسن تلافي الاعمال يا عجبا كل العجب لمن
تقحم ذات اللهب في اكتناز الذهب والخزن لذوي النسب ثم من
البدع العجيب ان يعظك وخط المشيب وتؤذن شمسك بالمغيب ولست
ترى ان تنيب

خليع الرسن يبالي ما يصنع

ويهذّب المعيب ثم اندفع ينشد انشاد من رشد

يا ويح من انذره شيبه وهو على غيّ الصبى منكمش

يعشو الى نار الهوى بعدما اصبح من ضعف القوى يرتعش

ويمتطي اللهو ويعتدّه اوطأ ما يفترش المفترش

لم يهب الشيب الذي ما راى نجومه ذا اللبّ الا دهش

ولا انتهى عمّا نهاه النهى عنه ولا بالى بعرض خدش

فذاك ان مات فسحقا له وان يعش فهو كمن لم يعش

لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش

وحبّذا من عرضه طيّب يروق حسنا مثل برد رقش

فقل لمن قد شاكه ذنبه هلكت يا مسكين او تنتقش

فاخلص التوبة تطمس بها من الخطايا السود ما قد نقش

وعاشر الناس بخلق رضي ودار من طاش ومن لم يطش

وارث لمن حاق الحرمان حصّة زمانه لا كان من لم يرش

وانجد الموتور ظلما فان عجزت عن انجاده فاستجش

وانعش اذا ناداك ذو كبوة عساك في الحشر به تنتعش

وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس على من عطش

قال فلمّا فرغ من منكياته وقضى انشاد ابياته نفض ضيّ ند

واعرى لبدنه وقال يا ذوي الحصاة والانصات الى الوعاة

قد وعيتم الانشاد وتفهّمتم الارشاد فمن نوى منكم ان يقبل نصحي

المستقبل فليبرّني عن نيّته ولا يبخل عني بعطيّته فوالذي يعلم

الاسرار ويغفر الاصرار ان سرّي لكما تنظرون وان قوتي

لمستوجب الصون فاعينوني ردّكم العون قال واخذ الشيخ

فيما يعطف عليه القلوب ويتسنّى له المطلوب حتّى ابطّ جفره وتبيّس

واعشوشب قفره فلمّا ان ترع الكيس انملت بيسر وحمد

ولم يحل للشيخ المقام بعدما انصاع الغلام فاسترفع الايدي

للدعاء ثم نحا نحو الانكفاء قال الراوي فادلجت الى ذي الحمّة

واحل من رحمه فتبعته وهو يختال في سمته ولا يفتؤ يتوسّمه فلمّا

امن المفاجي وامكن التناجي لفت جيده اليّ وسلّم تسليم البشاشة عليّ

ثم قال أذاك ذكاك ذلك الشويدن فقلت إي والمؤمن المهيمن
فقال إنه فتى السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت أشهد أنك
لشجرة ثمرته وسواط شرارته فصدّق كهانتي واستحسن
ثم قال هل لك في أن تدابا بيت لنتنازع كاس الكميت فقلت
له ويحك أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم فافترّ افترار
متضاحك ومرّ غير مماحك ثم بدا له أن تراجع إليّ وقال احفظهما

اصرف بصرف الراح عنك الأسى وروّح القلب ولا تكتئب
وقل لمن لامك فيما به تدفع عنك الهم قد ذلك

ثم قال أما أنا فسأنطلق إلى حيث أصطبح وأغتبق وإذا كنت لا
تصحب وتنادم من يطرب فلست لي برفيق ولا طريقك لي بطريق فخلّ
سبيلي ونكب ولا تنفّر عني ولا تنقب ثم ولّى مدبرًا ولم يعقب قال الحرث
بن همام فبهتّ وجدًا عند انطلاقه ووددت لو لم ألاقه

المقامة الثانية والاربعون
النجرانية بلد شامي فيها الغاز

حكى الحرث بن همام قال ترامت بي مرامي النوى ومساري الهوى
إلى أن صرت ابن كل تربة وأخا كل غربة إلا أني لم أكن
أقطع واديًا ولا أشهد ناديًا إلا لاقتباس الأدب المسلي عن
الأشجان المغلي قيمة الإنسان حتى عرفت لي هذه الشنشنة
وتناقلتها عني الألسنة وصادت أعلقني من الهوى بني
عذرة والشجاعة بآل أبي صفرة فلما ألقيت الجران بنجران
واصطفيت بها الخلان والجيران جعلت أنديتها معتمري
وموسمها فكاهتي وسمري فكنت أتعهدها صباح مساء وأظهر
فيها على ما سرّ وساء فبينا أنا في نادٍ محشود ومحفل مشهود
إذ جثم لدينا هِمٌّ عليه هِدمٌ فحيّا تحية ملق بلسان ذلق ثم قال
يا بدور المحافل وبحور النوافل قد بين الصبح لذي عينين وناب
العيان مناب عدلين فماذا ترون فيما ترون أتحسنون
العون أم تناوَنُ إذ تُدعَون فقالوا له تالله لقد غظت ورمت
أن تشطّ فغضت فناشدهم الله عما صدّهم حتى استوجب ردّهم

فقالوا لو كنا نتناضل بالأفكار كما نتناضل يوم البراز فما لك
أن شئت من المتروك الحق هنا الفصل بنمط القصوى فلسبه
القوم وخزوه بأسنة اللوم وأخذ ينتصل من هفوته ويتندم
على فوهته وهم منصبون على مؤاخذته وملبون في منابذته
إلى أن قال لهم يا قوم إن الاحتمال من كرم الطبع فعدوا عن اللذع
والقذع ثم هلم إلى أن نلغز ونحكم المبرز فسكن عند ذلك
توقدهم وانحلت له عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم وأحول
أن يكونوا ولهم فأمسك ريثما يعقد شسع أو يشد نسع ثم قال
اسمعوا وقيتم الطيش وملئتم العيش وأنشد ملغزا في مروحة الخيش
وجارية في سيرها مشمعلة ولكن على إثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيظ تنطف بالندى ويبدو إذا ولى المصيف نحولها
ثم قال وهاكم يا أولي الفضل ومراكز العقل وأنشد ملغزا في حابول النخل
ومنتسب إلى أم تنشى أصله منها

تعانقها وقد كانت نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني فلا يلحى ولا ينهى
ثم قال ودونكم الخفية العلم المعتكرة الظلم وأنشد ملغزا في القلم
وما موم به عرف الإمام كما باهت بصحبته الكرام
له إذ يرتوي طيشان صاد ويسكن حين يعروه الأوام
ويذري حين يستسقي دموعا ترقرق كما يبدو ولا ابتسام
ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل الفاضحة ما قيل وأنشد ملغزا في الميل
وما ناكح أختين جهرا وخفية وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه وإن مال بعل لم يجده يميل
يزيد هما عند المشيب تعهدا وبرا وهذا في البعول قليل
ثم قال وهذه يا أولي الألباب معيار الآداب وأنشد ملغزا في الدولاب
وجاف وهو موصول وصول ليس بالجافي
غريق بارز فاعجب له من راسب طاف
يسح دموع مظلوم ويلهم قضم متلاف
وتخشى منه حدته ولكن قلبه صاف

قال فلما رتقوا بالخمس التي تسوق قال يا قوم تدبروا واقهم الخمس
واعقدوا عليها الخنصر ثم رابكم وضم الذيل او الاذن يا ذن
الكبر قال فاستقربا القوم شهوة الزيادة على ما اشربوا من
البلادة فقالوا له ان وقفنا دون حدك ليحجمنا من استبراء
زندك فان تممت عشرا فمن عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه واخزل
خصمه ثم افتتح النطق بالبسملة **وانشد ملغزا في المرملة**

ومسرورة مغمومة طول دهرها وما هي تبغي ما لسرور ولا الغم
تقرب احيانا لاجل حنينها وكم ولد لولاه طلقت الام
وتبعد احيانا وما حال عهدها وابعاد من لم يحل عهده ظلم
اذا قصر الليل استلذ وصالها وان طال فالاعراض عن وصلها نعم
لها ملبس باد ابنو مبطن بما يرتدي لكن لها يزدري الحكم

ثم كشر عن ناب به الصفر **وانشد ملغزا في الظفر**

ومرهوب الشبا نام وما يدعى ولا يشرب
يبين في القدر دون النحو فاسمع وصفه واعجب

ثم تخازر تخازر العفريت **وانشد ملغزا في طاقة الكراث**

وما مخفوض ندبي وتقضي وما منها اذا فكرت بد
لها راسان مشتبهان جدا وكل منهما للاخر ضد
تعذب ان هما خضبا وتلغى اذا عدما الخضاب ولا تعد

ثم تمطى تمطي القرم **وانشد ملغزا في حلب الكرم**

وما شي اذا فسد تحول غيه رشدا وبدل
وان هو راق اوصافا اتاه الشر حيث بدا
زاكي العرق والده ولكن بئس ما ولد

ثم اغتمض اغتماض الشيار **وانشد ملغزا في الطيار**

وذي طيشة شقه مائل وما عابه بهما عاقل
يميل بدا فوق عليته كما يعتلي الملك العادل
تساوي لديه الحصا والنضار وما يستوي الحق والباطل
واعجب اوصافه ان نظرت كما ينظر الكيس الفاضل
تراضي الخصوم بهجانكما وقد علموا انه مائل

قال فظلت الافكار تهيم في اودية الاوهام وتجول جولان
المستهام

الى ان طال الامد وجفخ الكمد فلما راهم يزيدون ولا يسأمون
ويقصون النهار بالمنى قال يا قوم الام تنظرون وحتام تنظرون
المرمى لكم استخراج الخبي واستسلام الغبي فقالوا له تالله لقد
اعوصت ونصبت الشرك فقنصت فتحكم كيف شئت وخذ الغنم
والصيت ففرض عن كل معمى فرضا واستخلصه منهم نضا ثم
فتح الاقفال ووسم الاغفال وحاول الاحتفال فاعتلوا به
مذ يوم القوم وقال لا لبسة بعد اليوم فانشد قبل الانطلاق
وهينما متعه الطلاق واطروحي قلنا مرتين وانشد والدمع

سروج مطلع شمسي وربع لهوي وانسي
لكن حرمت نعيمي بها ولذة نفسي
فاعتضت عنها اغترابا امر يومي وامسي
مالي مقر بارض ولا قرار لعنسي
يوما بنجد ويوما بالشام اضحي وامسي
ازجي الزمان بقوت منغص مستخس
ولا ابيت وعندي فلس ومن لي بفلس
ومن يعش مثل عيشي باع الحيوة ببخس

ثم انه اختبن خلاصة النقد وندر ضاربا في الارض فما شذناه بعد
واستشفنا له الوعود فلا وابيك ما رجع ولا الترغيب له نجع

المقامة الثالثة والاربعون الحضرمية

اخبر الحرث بن همام قال هفا بي لين المطوح واستسر التبريح
بيضل بها الخريت وتفرق فيها المصاليت فوجدت ما يجد
الحائر الوحيد ورابت ما كنت منه احيد الا اني شجعت
قلبي المزؤود ونسات نضوي المجهود وسرت سير القادر
بتعرض المستسلم للحين ولم ازل بين وخد وذميل واجاف
وميل بعد ميل الى ان كادت الشمس تجب والصبا تهب فارتعت
لاظلال الظلام واقتحام جيش حام ولم ادر اكفت الذيل
ام اعتمد الليل اختبط وبينا انا اقلب العزم وامتخض الحزم
تراءى لي شبح جمل مستذر بجبل فترجيته فقدا مرتحل وقصدته
قصد منتج فاذا الظن كهانة والركوب عيرانة والمرتحد

واكتحل بوفادة فجلست عند راسه حتى هب من نعاسه فلما
اذدهم سراجاه واحس من فلجاه نفر كما ينفر المريب وقال
أخوك أم الذيب فقلت بل خابط ليل ضل المسلك فاي شيء
اقدح لك فقال ليسر عنك همك فرب أخ لم تلده أمك قال فسري
عند ذلك إشفاقي وسري الوسن إلى آماقي فقال عند الصباح
يحمد القوم السرى فهل ترى ما أرى فقلت إني لك لأطوع
من حذائك وأوفق من غذائك فصدع بتحبيذي وابتهج بصحبتي
ثم احتملنا بجد وارتحلنا من الجرد ولم نزل نعاني السرى
ونعاصي الكرى إلى أن بلغ الليل غايته ورفع الفجر رايته
فلما أسفر الصباح ولم يبق إلا الوضاح توسمت رفيق رحلتي
وسمير ليلتي فإذا هو أبو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد
فتهادينا تحية المحبين إذا التقيا بعد البين ثم تباثثنا
الأسرار وتنابثنا الأخبار وبعيري يخطر الكلال وراحلته
تزف زفيف الرال فأعجبني اشتداد أسرها وامتداد صبرها

وأخذت أستشف جوهرها وأسائله عن ابن خيرتها فقال زادك الله
الناقة حسرا خلو المذاقة أشق السياقة فإن أحببت استماعه
فاخ وإن لم تشأ فلا تنصح فأخت لقوله بضوى وأهرفت السمع
لما يروي فقال اعلم أني استغرضتها بحضرموت وكابدت
في تحصيلها الموت فما زلت أجوب عليها البلاد وأطس
بأخفافها الطراد إلى أن وجدتها عتاد أسفار وعدة فرار
لا يلحقها الغبار ولا تدنو إليها وجى ولا تدري ما الهناء
فأرصدتها للخير والشر وأحللتها محل البر الشر فاتفق
أن ندت مذ مدة وما لي سواها عدة فاستشعرت الأسف
واستشرفت التلف وبت بكل بث سلف وكنت لا أكاد
أستطيع انبعاثا ولا أطعم النوم إلا غشاشا ثم أخذت في أشهر
المسالك وتفقد المسارح والمبارك وأنا لا أستنشي منها
ريحا ولا أستغني بأسامر نجحا وكلما ادكرت مضاءها في السير
وانبراءها لمباراة الطير لاعني الادكار واستهوتني الأفكار

فبينما انا في جواء بعض الاحياء اذ سمعت من شخص متبعد
وصوت متجرد من ضلت له مطية حضرمية وطية جلدها
قد وسم وعرها قد حسم وزمامها قد ظفر وظهرها كالجسر
كجسر جسر تبرز الماشية وتبعن لنا شيته وتقطع المسافة
النائية وتظل ابدا لك مدانية لا يعتورها الونا ولا
يعترضها الوجا لا تحوج الى العصا ولا تعصي فيمن عصا
قال ابو زيد فجذبني الصوت الى الصائت وبشرني بدرك
الفائت فلما افضيت اليه وسلمت عليه قلت له سلم المطية
وتسلم العطية فقال وما مطيتك غفرت خطيئتك قلت ناقة
جثتها كالهضبة وذروتها كالقبة وحلبها ملء العلبة
وكنت اعطيت بها عشرين حين حلت بيبرين فاستنزرت
العطا ودريت انه اخطا **قال** فاعرض حين سمع صفتي وقال
لست بصاحب لقطتي فاخذت بتلابيبه واصررت على تكذيبه
وهممت بتمزيق جلابيبه وهو يقول يا هذا ما مطيتي بطلبتك
فاكفف من غربك

وعد عن سبك والا فقاضني الى حكم هذا الحي المبرى من الغي فان
اوجبها لك فتسلم وان نواها عنك فلا تتكلم فلم ادر
بدا مني ولا مساغ عما يعني الا ان اتي الحكم ولو لكم فانخرطنا
الى شيخ ذكي النصبة انيق العصبة يؤنس منه سكون الاكابر
وان ليس بالجابر فابتدرت انتظلم واتالم وصاحبي مرم لا
يترمرم حتى اذا انتثلت كنانتي وقضيت من القصص لبانتي ابرز
نعلا ذرنته الوزن محذوة لمسلك الحزن وقال هذه التي
عرفت واياها وصفت فان كانت هي التي اعطي بها عشرين
وها هو من المبصرين فقد كذب في دعواه وكبر ما افتراه
الا ان يمد قذاله ويبين مصداق ما قاله فقال الحكم
اللهم غفرا وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا ثم قال اما هذه
النعل فنعلي واما مطيتك ففي رحلي فانهض لتسلم ناقتك وافعل الخير
بحسب طاقتك فقمت وقلت ⁖ اقسم بالبيت العتيق وبالحرم
والطائفين العاكفين في الحرم ⁖ انك نعم من اليه يحتكم
وخير قاض في الاعاريب حكم ⁖ فاسلم ودم دوم الثغام والنعم

فأجاد من غير رويّة، ولا عقد نيّة، وقال:

جُزيتَ عن شكرٍ كُفرًا يا ابن عمّ ... إذ لستُ أستوجب شكرًا بلا ثمّ

شرّ الأنام امرؤ إذا استقصى ظلم ... ثمّ إن استغنى فلم يرعَ الحرم

نذلٌ والكلبُ سواءٌ في القيم

ثمّ إنّه نقد بين يديّ من سلّم الناقة إليّ ولم يمنن عليّ فرحت أجرّ ذيل الطرب، أقول يا للعجب. **قال الحارث بن همام** فقلت له تالله لقد أطرفت، وهرفت ما عرفت، فناشدتك الله هل لقيت من هو أسحر منك بلاغة، وأحسن للفظ صياغة، فقال اللهمّ نعم فاسمع وأنعم. **كنت عزمت** حين ألمّ بي الهمّ على أن أتّخذ ظعينة لتكون لي معينة، فحين تعيّن الخطب وكاد الأمر يستتبّ أفكرت فكر المتحرّز من لوم المنام كيف مسقط السهم، وبتّ ليلتي أناجي القلب المعذّب، وأقلّب العزم المذبذب، إلى أن أجمعت على أن أستسحر وأستشير أوّل من أبصر، فلمّا قوّضت الظلمة أطنابها، وولّت الشهب أذنابها، غدوت غدوّ المتعرّف، وابتكرت ابتكار المتعيّف، فانبرى لي يافع

وكر — القدر — هو — ارسل — الفرح — حلفتني بالله — اخترت المدح — فصاحة — زوجة — قصدني همه — قارب — تفصّل — اخاطب — الحازم — الظن — مرمى — اخرج سحرا — حبالها — نقضت — الزاجر — النجوم — الكاهن — شاب — اعترض

في وجهه شافع، فتيمّنت بمنظره البهيج، واستقدحت زنده في التزويج، فقال أو تبغيها عوانًا أم بكرًا، فقلت اختر لي ما ترى، فقد ألقيت إليك العرى، فقال إليّ التبيين وعليك التعيين، ثمّ اسمع أنا أنبئك بعد فراغ بالك. **أمّا البكر** فالدرّة المخزونة، والبيضة المصونة، والثمرة الباكورة، والسلافة المذخورة، والروضة الأنف، والطوق الذي ثمن وشرف، لم يدنّسها لامس، ولا استغشاها لابس، ولا مارسها عابث، ولا أوكسها طامث، ولها الوجه الحييّ، والطرف الخفيّ، واللسان العييّ، والقلب النقيّ، ثمّ هي الدمية المداعبة، واللعبة الملاعبة، والغزالة المغازلة، والملحة الكاملة، والوشاح الطاهر القشيب، والضجيع الذي يشبّ ولا يشيب. **وأمّا الثيّب** فالمطيّة المذلّلة، واللهنة المعجّلة، والبغية المسهّلة، والطبّة المعلّلة، والقرينة المتحبّبة، والخليلة المتقرّبة، والصَّناع المدبّرة، والفطنة المختبرة، ثمّ إنّها عجالة الراكب، وأنشوطة الخاطب، وقعدة العاجز، ونهزة المبارز

جمال — ترغب بوجه المليح — استسررته — سببا — المحفوظة — المصونة — الاولى — الخمر — لم تدرعها — عراها — باكر — عابها — ولع بها — الصورة — ابصر — الملاعبة — البرد — الجديد — جعل شابا — ما تعجله الاكل من الطعام — المركوبة — المطلوبة — العاقلة — الصاحبة — المحبوبة — الاحكمه — فرصه — النائم — عقده تحل بجذبه والاضم — دكوبه — الطاعن

عريكتها ليّنة وعقلتها هيّنة ودخلتها متبيّنة وخدمتها
مرنّة واقسم لقد صدقت بني العنبر واخليت المهاني فبايّتهما
هام قلبك وعلى ايّتهما قام ربّك قال ابو زيد ترائبه خبر له صخرة
تتّقيها المراجم وتندى منها المحاجم الا انّي قلت كنت سمعت انّ البكر
اشدّ حبّا واقلّ خبّا فقال قد لعمري قيل هذا ولكن كم قول آذى
ويحك اما هي المهرة الابيّة العنان والمطيّة البطيئة الاذعان
والزندة المتعسّرة الاقتداح والقلعة المستصعبة الافتتاح
ثم انّ مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة ودالّتها
مكلفة ويدها خرقاء وفتنتها صمّاء وعريكتها خشناء وليلتها
ليلاء وفي رياضتها عناء وعلى خبرتها غشاء وطالما اخزت المنازل
وفركت المغازل واخفقت الخاطل واضرعت الفنيق البازل
ثم انها التي تقول انا البس واجلس واطلب من يطلق ويحبس فقلت
فما ترى في الثيّب يا ابا الطيّب فقال ويحك اترغب في فضالة المآكل
وثمالة المنهل واللباس المستبذل والوعاء المستعمل والذوّاقة
المتطرّفة

والخرّاجة المتصرّفة والوقاح المتسلّطة والمحتكرة المتسخّطة
ثم كلمتها كنت وصرت وطالما بُغي عليّ فنُصرت وشتّان بين اليوم
وامس وهيهات اين القمر من الشمس وان كانت الحنّانة البرود
والطمّاحة الملوك فهي الغلّ القمل والجرح الذي لا يندمل
فقلت له هل ترى ان ترهّب واسلك هذا المذهب فانتهرني
انتهار المؤدّب عند زلّة المتأدّب وقال ويلك اتقتدي
بالرهبان وقد استبان الحقّ فاستبان افّ لك ولوهن رأيك وتبّا لك ولاولي غيّك
أتراك ما سمعت بانّ لا رهبانيّة في الاسلام وما حدّثت بمناكح
نبيّك عليه ازكى السلام ثم اما تعلم انّ السكن الصالحة تربت يداك
وتلبّي صوتك وتغضّ طرفك وتطيّب عرفك وبها ترى قرّة
عينك وريحانة انفك وفرحة قلبك وتعلّة يومك وغدك
فكيف رغبت عن سنّة المرسلين ومتعة المتأهّلين وشرعة
المحصنين ومجلبة المال والبنين والله لقد ساءني فيك ما
سمعت منك ثم اعرض اعراض المغضب ونزا نزوان العنظب
فقلت له

فتالله انطلق مستخبرًا و تدعني متحيّرًا فقال أظنك شيخ
الجبرة لتجلد عمرته وتستغني عن المقبرة فقلت له قبح الله ظنك
ولا أشبّ قرنك ثم رحت عنه مراح الخزيان وبتّ من قشاوره
الصبيان قال الحارث بن همام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك
لن أجد منك إليك فاغرب في الضحك وطرب طربة المنهك
ثم قال العق العسل ولا تسل فأخذت أسهب في مدح الأدب وأفضل
ربه على ذوي النشب وهو ينظر إليّ نظر المتجهّل ويغضي عني
إغضاء المهمل فلما أسرفت في العصبية للعصبة الأدبية
قال لي صه واسمع مني وافقه ⁂

يقولون إن جمال الفتى ... وزينته أدبٌ راسخ
وما إن يزين سوى المكثرين ... ومن طود سؤدده شامخ
فأما الفقير فخيرٌ له ... من الأدب القرص والكامخ
وأي جمالٍ له أن يقال ... أديبٌ يعلّم أو ناسخ

ثم قال ستنضح لك صدق لهجتي واستنان حجتي وسرنا لا نألوا جهدًا
ولا نستبقي جهدًا حتى أدّانا السير إلى قرية عزب عنها الخير
فدخلناها

للارتياد وكلانا منفض من الزاد فما أن بلغنا المحطّ والمناخ
المحتطّ أو لقينا غلامًا لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغث
فحيّاه أبو زيد تحية المسلم وسأله وقفة المفهم فقال وعمّ
تسأل وفقك الله قال أيباع ها هنا الرطب بالخطب قال لا والله
قال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا التمر بالسمر قال
هيهات والله قال ولا العصائد بالقصائد قال اسكت عافاك
الله قال ولا الثرائد بالفرائد قال أين يذهب بك أرشدك الله قال
ولا الدقيق بالمعنى الدقيق قال عدّ عن هنا أصلحك الله واستحلى
أبو زيد تراجع السؤال والجواب والتقابل من هنا الجراب ولمح
الغلام أن الشوط بطين وأن الشيخ شيطين فقال له حسبك
يا شيخ فقد عرفت فنّك واستشففت أنك فخذ الجواب صبرة
واكتف به خبرة أمّا بهذا المكان فلا يشترى الشعر بشعيرة
ولا النثر بنثارة ولا القصص بقصاصة ولا الرسالة بغسالة
ولا حكم لقمان بلقمة ولا أخبار الملاحم بلحمة وأما جيل هذا
الزمان

فما فيهم من يمنح اذا اصبغ له المدح ولا من يخبر اذا انظمت
له الادراج ولا من يغيث حين يطرقه الحدث ولا من يميز
ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب ان لم
يجد الربع بيمه لم تكن له قيمة ولا اداته بثمنة وكنا الاداب
لم يعضده نشب فدرسه نصب وحزنه حصب ثم انسدد بعد ذلك
دوي سحره وقال لي ابو زيد اعلمت ان الادب قد بار وولت
انصاره الادبار فموت له مخبر البصيرة وسلمت لحكم الضرورة
فقال دعنا الان من المصاع وخض بنا في حديث الفصاع فما التدبير
فيما يمسك الرمق ويطفي الحرق وتقلت الحمرا لبيك الزمام بيدك
قال اري ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك فناولنيه وافهم
لا تنقلب اليك بما ينتقم فاحسنت به الظن وقلدته السيف
والرهن ثم ابيت ان ذهب لنا قد ورفض الصدق والصداقة
فمكثت مليا ارتقبه ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيع
اللبن في الصيف ولم القه ولا السيف

مثل من امثال العرب ان ... تزوج امراه وكانت له ابل ومواشيه وكانت امراته شابه فاتيه الطلاق في الضيف فطلقها ثم ... ففقرا شاتا ... الى مطلقها تاله لبنا فقال الصيف ضيعت اللبن

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية

حكى الحارث بن همام قال عشوت في ليلة داجية الظلم فاحمة
تضرم على علم وتخبر عن كرم وكانت ليلة جوها مقرور
وجيبها مزرور ونجمها مغموم وغيمها مركوم وانا فيها اصرد
من عنز جرباء وانعز من حرباء فلم ازل انص عنسي واقول طوبى
لك ونفسي الى ان تبصرت الموقد الآل وتبينت انه الى فاحذر

الجمر او ينشد من جمر لاره — حييت من خابط ليل ساري
هداه بل اهداه ضوء النار — الى رحيب الباع رحب الدار
مرحب بالطارق المنتار — ترحاب جعد الكف بالدينار
لبس منزور وزعن الزوار — ولا بمغنام القرى بيخار
اذا اقشعرت تربة الاقطار — وضنت الانوا بالامطار
فهو على بوس الزمان الضاري — جم الرماد مهطع الشفار
لم يخل في ليل ولا نهار — من نحر ورا وابتدار وار

ثم تلقاني بمحيا حيي وصافحني براحة أريحي وأفتاني إلى بيت عشائه
نحور ولعشائه نفور ولآنيته مور ومواهبه تدور
وبأكسابه أضياف قد جلبهم جالبي وقلبوا أفقي وأنبي وهم
يجتنون فاكهة الشتاء ويمرحون مرح في الفتاء فأخذت
ما أخذهم في الاصطلاء وجرت بهم وجد الثمل بالطلاء ولما
أن سري الحصر وأنسيني الحصر أتينا بموائد كالهالات
والدوضات نورا وقد شحن بأطعمة الولائم وجمعن من العجائب
واللحم ثم فضنا ما قيل في البطنة ورأينا الإمعان فيها من
الفطنة حتى إذا اكتلنا بصاع الحطم وأشفقنا على خطر التخم
تقاوذنا مشوش الغمر ثم تبوأنا مقاعد السمر وأخذ كل فيما يتشوق
بلسانه وينشر ما في صوانه ما عدا شيخا مشتبها فوداه مخلولقا
برداه فإنه ربض حجرة وأوسعنا هجرة فغاظنا تجنبه المتلبس
موجبه المعذور فيه موتبه إلى أن ألنا له القول وخشينا
في المسألة الغول وكلما رمنا أن يفيض كما أفضنا أو ينبض فما

أعرض إعراض القلبة عن الإزدلاف ونكل إن هذا إلا أساطير الأولين ∴
ثم كان الحمية ملحته أو النفس الأبية ناجته فدلف وازدلف
وخلع الصلف وبذل أن يتلافى ما سلف ثم استنصت سمع السامر
واندفع كالسيل الهامر وقال ∴

عندي أعاجيب أرويها بلا كذب ... عن العيان فكنوني أبا العجب
رأيت يا قوم أقواما غذاؤهم ... بول العجوز وما أعني ابنة العنب
ومستنين من الأعراب قوتهم ... أن يشتووا حرفة تغني من السغب
وكاتبين وما خطت أناملهم ... حرفا ولا قرؤوا ما خط في الكتب
ونابغين عقابا في مسيرهم ... على تحيزهم في البيض واليلب
ومستترين ذوي نبل بدت لهم ... نبلة فانثنوا منها إلى الهرب
وعصبة لم تر البيت العتيق وقد ... حجت جثيا بلا شك على الركب
ونسوة بينما أزلجن من حلب ... صبحن كاظمة من غير ما تعب
ومدلجين سروا من أرض كاظمة ... وأصبحوا حين لاح الصبح في حلب
وقادرين متى ما ساء صنعهم ... أو قصروا فيه قالوا الذنب للحطب

وذي فعلة لم يلف من قط غانية تشاهده وله نسل من العقب

وشابا غير مخف للمشيب بدا في البرد وهو فتي السن لم يشب

ومرضعا بلبان لم ترضعه امه دانته في شجار بين السبب

ونادبا عادة حتى اذا احمرت غبر لبهواها اخو الطرب

وناكصا وهو مغلول على فرس قد غل الثما وما ينفك من خبب

وذا بطل ونفيتا ذراحله يستعلد وهو ماسور اخو كرب

وجالسا ما انثنى تهوي مطيته به وما في القوا ود من تب

وحايكا احدم الكفين ذا خرس فان عجبتم فكم في الخلق من عجب

وصادعا بالقنا من غير ان علقت كفاه يوما برمح لا ولم تثب

وذا اشتطاط كصدر الرمح قامته صادقته يمشي يشكو ابن الكذب

وساعيا في مسرات الانام بني افراحهم ما نما كالظلم والكذب

ومغرما بمناجاة الرجال له وما له في حديث الخلق من ارب

وذا ذمام وفت بالعهد ذمته ولا ذمام له في مذهب العرب

وذا قوى ما استبانت قط لينته ولينه مستبين غير محتجب

وساجدا فوق نخل غير مكترث بما اتى بل يراه افضل القرب

وعاذرا مولما من ظل الغذر مع التلطف والمعذور في صخب

وبلدة ما بها ماء لمغترف والماء يجري عليها جري منسرب

وقرية دون افحوص القطا شحنت بذي علم عيشهم من خلسة السلب

وكوكبا يتوارى عند رويته الانسان حتى يرى في امنع الحجب

ودوقة قومت مالا له خطر ونفس صاحبها بالمال لم تطب

وصحفة من نضار خالص شربت بعد الكاس بقراط من الذهب

ومنتش الخشخاش ليدفع ما اظله من اعاديه فلم تجب

وطالما مر بي كلب وفي فمه ثور ولكنه ثور بلا ذنب

وكم راى ناظري فيلا على جمل قد تورك فوق الرحل والقتب

وعابث مقلتي عيني ما وهما تجني من القرب في العينان اى جلب

وكم لقيت بعرض البيد مشتكيا وما اشتكى قط في جد ولا لعب

وكنت ابصرت كرارا الراعية بالدو ينظر من عيني كالشهب

وكم نزلت بارض لا نخيل بها وبعد يوم رايت البسر في القلب

القطعة م

وكم رأيت باقطار الفلا طفلا يطير في الجو منصبا الى صبب

وكم مشائخ في الدنيا رأيتهم مخلدين ومن ينجو من العطب

وكم بدا لي وحشي يشتكي سغبا مطرودا لو امني من القصب

وكم دعاني مستنتج محادثتي وما اخال ولا اخلط بالادب

وكم انخت قلوصي تحت جنبذة تظل ما شئت من عزب ومن عرب

وكم نظرت الى من سر ساعته ودمعه مستهل القطر كالسحب

وكم رأيت قميصا ضر صاحبه حتى انثنى واهي الاعضاء والعصب

وكم ازار لو ان الدهر اتلفه يجف لبن حبيب السير مضطرب

هذا وكم من فان معجبة عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فان فطنتم لسحر القول بان لكم صدقي وذلكم طلعي على رطبي

وان شدهتم فلا لهاد فيه على من لا يميز بين العود والحطب

قال الحارث بن همام فطفقنا نخبط في تقليب قريضه وتاويل

معاريضه وهو يلهو بنا لهو الخلي بالشجي ويقول ليس هذا بعشك

فادرجي الى ان تعسر النتاج واستحكم الارتياج فالقينا اليه

المقادة

وطلبنا منه الافادة فوقفنا بين الطمع واليأس وقال الايناس

قبل الابتئاس وعلمنا انه ممن يرغب في الشكر ويرتشي في

الحكم وساءنا ان منونا انا ان نتعرض للغرم او نخيب بالدعم فاعطاه احدهم

عبدية وحلة سعيدية وقال له خذهما حلالا ولا تنزل الكلف

اضيافي زبالا فقال اشهد انها شنشنة اخزمية واريحية

حاتمية ثم قابلنا بوجه بشره يشف ونضرته ترف وقال

يا قوم ان الليل قد اجلوذ والنعاس قد استحوذ فافزعوا

الى المراقد واغتنموا راحة الراقد لتستريحوا نشاطا تقفون

نشاطا فتقوا ما انسر ويسهل لكم المتعسر فاستصوب كل

ما راه وتوسد وسادة كراه فلما وسن الاجفان ما اغفت

الضيفان وثب الى الناقة فرحلها ثم ارتحلها ورحلها وقال

سروج يا ناق فسيري وجدي ... واذرعي يا ناق واستبدي

حتى تطا خفاك مرعاها الندي ... فتنعمي حينئذ وتسعدي

ويا منى ان تنتهي او تنجدي ... ابه فدتك النوق حطي واحمدي

وأفري أديمًا قد قدّ نقد قد — واقتنعي بالنشح دون المورد
ولا تخطي دون ذاك المقصد — فقد حلفت حلفة المجتهد
بحرمة البيت الرفيع العمد — انك ان حللت في بلدي
حللت مني بمحل الولد — قال فعلمت انه السروجي
البيني اذا باح ابلج واذا امل القلح انملح ولما انبلج صباح
اليوم وهب النوام من النوم اعلمتهم ان الشيخ خير اعشاهم
الشبات طلقهم البتات وركب الناقة وفات فاخذهم ما قدم
وما حدث وشوا ما طار عنه ما خبث ثم ابتعثنا في كل مشعب
وذهبنا تحت كل كوكب قال ابو محمد القسم بن علي رحمه الله
قد فسرت سر كل لغز كتبته ولم ابعد على من يقروه كشفه وقد بقيت
الفاظ اشتملت هذه المقامة عليها ربما التبس تفسيرها على بعض
من تقع اليه فاجبت ايضاحها له ليكفى جزء الشبهة وكلفة
الفكرة وعمة البحث والمسألة وبالله تعالى الاستعانة وهو المؤيد
قوله عشوت الى نار يعني نورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها

كما قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا أي من يعرض
وقوله وكنت اصرد من عنز جرباء والعنز الجرباء هنا مثلا
يضرب لمن يبلغ منه البرد وذلك لأن الحرباء تدنو ابدا مع
الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء في قوله
ما بالها قد حسنت ورقيبها — ابدا قبيح قبح الرقباء
ما ذاك الا انها شمس الضحى — ابدا يكون رقيبها الحرباء
والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها وقوله جزوع
يعني الجمل المكتنز شحما الكثير مخا وقوله عشار تحوي العشار
نقوز العشار النوق الحوامل واحدتها عشراء وهي التي اتى
عليها في الحمل عشرة اشهر ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما
تضع والاعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمها
ويقال برمة اعشار وجفنة اعشار وثوب اسمال وبرد اخلاق
وحبل ارمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد وقوله فاكهة
الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتيا فليصطل
∴ أن الفواكه في الشتاء شهية والنار للمقرور أفضل مأكل
وقوله مواهب كالهالات يعني دارات القمر واحدتها هالة ودارة
الشمس تسمى الطفاوة ∴ وقوله مشوش الغمر يعني المنديل يقال
مششت يدي بالمنديل أي مسحتها ومنه قول امرئ القيس ∴
∴ نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب
وقوله متشبها فوداه أي صار الشيب في لون الأشهب ومنه قول
امرئ القيس ∴ قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي رأس هذا واشهب
∴ وقوله ربض حجره يعني ناحيته يقال في المثل من يشارك في
الرخا ويجانب عند البلد يرتع وسطا ويربض حجرة ∴ وقوله
أشنع سمع السامر يعني السمار لأن السامر اسم للجميع كالحاضر
اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر واشتقاق
السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان ذلك
أحوال السمار أنهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم منه والله
هنا

يرجع قولهم لا أكلمه القمر والسمر ∴ وقوله ليس بعشك فادرجي
هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة
فإن كان في حائط أو كهف جبل فهو وكر ∴ وقوله الإبساس قبل
الإبساس هنا مثل أيضا ومعناه أنه ينبغي أن يؤنس الإنسان
ثم يكلف وأصله أن حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها
ثم يبس بها للحلب والإبساس أن يقول لها بس بس لتسكن وتدر
وتسمى الناقة التي تدر على الإبساس البسوس ∴ وقوله يرغب في
الشكم الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فإن أعطيت مبتديا
فهو الشكد ومنه قول الراجز ∴ شكمي عبيد وكذاك شكدي
للخير والشر بقا عندي ∴ كالأرض مما استودعت تؤدي ∴
وقوله سآ أبا مثوانا يعني المضيف لنا وفي البيه ونوق عنده
وقوله ناقة عبيدية قيل إنها منسوبة إلى فحل مهري اسمه عبيد
∴ وقيل بل هي منسوبة إلى فخذ من مهرة يقال لهم بنو عبيد وكانت
مهرة وعبيد يتخذان نجائب الإبل فنسبت إليهما ∴ وقوله حلة سعيدية
هي منسوبة

إلى سعيد بن العاص وكان رسول الله صلى الله عليه كساه وهو غلام
حلة فنسب جنسها إليه ❊ وقوله ولا ترنا أصبا في زبالا أي لا
شيئا ولو قل والأصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها ❊ وقوله
شنشنة أخزمية أشار به إلى المثل الذي ضربه جد حاتم بن عبد الله
بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم وتقيل أخلاق جده
أخزم في الجود فقال شنشنة أعرفها من أخزم وتمثل عقيل بن علفة
حين قال ❊ إن بني ضرجوني بالدم ❊ من يلق آساد الرجال يكلم ❊ شنشنة أعرفها من أخزم
ومن ادعى أن المثل له فقد سها فيه ❊ وقوله اجلوذ أي أسرع في الذهاب
ومثله اخروط ❊ وقوله وثب إلى الناقة فرحلها أي شد عليها
الرحل وبه سميت الراحلة لأنها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى
في عيشة راضية أي مرضية وكقوله تعالى من ماء دافق أي مدفوق
والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل
داهية وراوية ❊ وقوله ارتحلها أي ركبها وفي الحديث أن النبي عليه
السلم سجد فركبه الحسن عليه السلم فأبطأ في سجوده فلما قضى صلوته قال
إن ابني ارتحلني

فكرهت أن أعجله ❊ وقوله ورحلها أي أزعجها وأشخصها وأجد
بها في الترحيل ومنه الحديث يخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر
عدن ترحل الناس ❊ وقوله فادلجي واوبي واسيبي الإدلاج أن
تسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادلاج
بالتشديد أن تسير من آخره والاسم منه الدلجة بضم الدال ❊
والتأويب سير النهار وحده والإسآد أن تسير ليلك ونهارك
والنشح أن تشرب دون الري ❊ وقوله فأخذهم ما قدم وما حدث
يقال ذلك لمن تتوالى عليه الهموم وتتلاعب به وتضم الدال من
حدث في هذا الموضع وحده ليوافق لفظة قدم فإن أفرد حدث
عن قدم وجب فتح الدال من حدث ❊ ومثله قولهم هنأني ومرأني
الأكل من مرأني إذا ذكر مع هنأني فإن أفردته وجب أن تقول
أمرأني الشيء وكذلك يقولون رجس نجس فيكسرون النون من نجس
ويسكنون الجيم منه ليوافق لفظة رجس فإن أفردته قلت نجس
بفتح النون والجيم قال الله تعالى إنما المشركون نجس ❊ وقوله ذهبنا تحت
كل كوكب

هذا المثل يضرب لمن تخلف في لسفر طرفهم وتتباين سبلهم

المقامة الخامسة والاربعون الرملية بلد بساحل الشام

حكى الحرث بن همام قال كنت اخذت عن اولي التجارب ان السفر مراة الاعاجيب فلم ازل اجوب كل تنوفة واقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل اطروفة من احسن ما لمحته واغرب ما استملحته اني حضرت قاضي الرملة وكان من ارباب الدولة والصولة وقد ترافع اليه بال في بال وذات جمال واسمال فهم الشيخ بالكلام وتبيان المرام فمنعته الفتاة من الافصاح وحسأته عن النباح ثم نضت عنها فضلة الوشاح وانشدت بلسان السليطة الوقاح

يا قاضي الرملة يا ذا الذي في يده التمرة والجمره
اليك اشكو جور بعلي الذي لم يحج البيت سوى مره
وليته لما قضى نسكه وخف ظهرا اذ دنى الجمره
كان على راي ابي يوسف في صلة الحجة بالعمره

ايم بانها سوى من

هذا على اني مذ ضمني اليه لم اعص له امره
ثم اما الفقة حلوة ترضي واما فوقه مره
من قبل ان اخلع ثوب الحيا في طاعة الشيخ ابي مره

فقال له القاضي قد سمعت ما عزتك اليه وتوعدتك عليه فجانب ما عرك وحاذر ان تفرك وتعرك فجثا الشيخ على ثفناته وتحدر بينبوع نفثاته وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ يوضح فيما دابها عند ده
والله ما اعرضت عنها قلى ولا هوى قلبي قضا نده
وانما الدهر عدا صرفه فاستنزفا الدرة والده
فمنزلي اقفر كما جيدها اعطل من الجزعة والشذ ده
وكنت من قبل ابي في الهوى ودينه راي بني عذ ده
مذ نبا الدهر هجرت الذي هجرانه عف اخذ جد ده
وملت عن حرثي لا رغبة ولكن اتقي نسـ ـل ده
فلا تلمني من هذه حاله واعطف عليه واحتمل هذ ده

رأي قوم يغلب على قلوبهم الهوى

قال فالتفتت المرأة من فقاله وانتضت الحجج لجداله وقالت له ويلك
يا مربعان يا من هو لا طعام ولا طعان أتضيق بالولد ذرعا ولكل
أكولة مرعى لقد ضل فهمك وأخطأ وهمك وسفهت نفسك و شنئت
بك عرسك فقال لها القاضي أما أنت فلو جادلت الخنسا لا
عنك خرسا وأما هو فإن كان صدق في زعمه ودعوى عدمه
فله في همه قتيبه ما يشغل عن ذم بنيه فأطرقت تنظر ازورارا ولا
ترجع حوارا أحمى قلنا قد راجعها الخفر أو حاق بها الظفر فقال
لها الشيخ تعسا لك أن زخرفت أو كتمت ما عرفت فقالت ويحك
وهل بعد المنافرة كتم أو يبقى لنا على سر ختم وما فينا الا من صدق
وهتك صونه إذ نطق فليتنا لا قبنا البكم ولم نلق الحكم ثم التفعت
بوشاحها وتباكت لافتضاحها وجعل القاضي يعجب من خطبهما
ويعجب ويلوم الدهر لهما ويؤنب ثم أحضر من الورق ألفين وقال
أرضيا بهما الأجوفين وعاصيا النازغ بين الأليفين فشكراه على
حسن السراح وانطلقا وهما كالماء والراح وطفق القاضي يعد
مسرحهما

وتناءى شخصهما يثني على أدبهما ويقول هل من عارف بهما فقال
له عين أعوانه وخالصة خلصائه أما الشيخ فالسروجي المشهود
بفضله وأما المرأة فقعيدة رحله وأما تحاكمهما فمكيدة من
فعله وأحبولة من حبائل ختله فاحفظ القاضي ما سمع وتلهب كظه
جزع ثم قال للواشي بهما قم فردهما ثم اقصدهما واصرهما فنهض بنقض
مذروية ثم عاد يضرب أصدريه فقال له القاضي اظهرنا على ما
نبثت ولا تخف ما استخبثت فقال ما زلت أستقري الطرق وأستنجح
الغلق إلى أن أدركتهما مصحرين وقد زما مطي البين من غيبتهما في
العلن وكفلت لهما بنيل الأمل فأشرب قلب الشيخ أن يأبى
وقال الفرار بقرار الكسر وقالت هي بل العود أحمد والفروقة
أبدا يكمد فلما تبين الشيخ سفه رأيهما وغرر أجترائهما
أمسك ذلاذلهما ثم أنشا يقول لهما

دونك صحبي فاقتفي سبله ... وأغنى عن التفصيل بالجمله
طبني متى تقرب من خله ... وطلقهما بتة بتله

وحاذيتني العود إليها ولو سلتها ناطور الأبلة
لتخبرتما بالصّرّان لا يبتني بسقعة فبئسها له عمله
ثم قال إني قد عُنّيت فيما وُلّيت فارجع من حيث جئت وقل للمرسل إن شئت
دونك لا تعتب حمّلك الأذى فتنحني وشمل المال أحمد مصدع
ولا تشغفنّ بمن تزيد سائل مما هو في صوع البلسان مبتدع
وإن تك قد ساءتك مني خديعة فقبلك شيخ الأشعرية قد خدع
فقال له القاضي قاتله الله ما أحسن شجونه وأملح فنونه ثم إنه كأنه برد بين وصية من العيبة وقال له سر سبيل من لا يبتغي الالتفات
أن تتي الشيخ والفتاة قبل بدّهما بهنا الحباء وسنّ لهما الحدّ للأدباء فقال الراوي فلم أر في الاغتراب كهذا العجاب ولا سمعت بمثله من

المقامة السادسة والاربعون الحلبية

حدّث الحارث بن همّام قال نزع بي إلى حلب شوق غلب وطلب يا له طلب
وكنت يومئذ خفيف الحاذ حثيث النفاذ فأخذت أهبة السير
وخففت نحوها خفوف الطير ولم أزل مذ حللت ربوعها وارتبعت
ربيعها أقري الأيام فيما يشفي الغرام ويروي الأوام إلى أن
أفضى بي القلب غرر لوعته وأشطار غراب لبين بعد وقوعه فأعرضت
بالخلو والمزح الحلو بأن قصدت حمص لأصطاف بسقعتها
واستبرد قاعة أهلها فقيتها فأسرعت إليها إسراع النجم إذا
انقضّ للرجم فحين خيّمت برسومها ووجدت روح نسيمها لمحت على
ثنية قد أقبل هريره وأدبر غريره وعنده عشرة صبيان ضيوا من منشأ
وغير صنوان فطاوعت في قصده الحرص لاختبره أديبا حمص بشّني
خير وافيته وحيّا بأحسن ما حييته جلست إليه لأبلو جنا
نطقه وأكتنه كنه حمقه فما لبث أن أشار بعصيته إلى كبير
أصيبيته وقال له أنشد الأبيات العواطل أحذان
تماطل فجثا جثوة ليث وأنشد من غير ريث

أعدد لحسادك حد السلاح ... وأورد الآمل ورد السماح

وصارم اللهو ووصل المها ... وأعمل الكوم وسمر الرماح

وأسعُ لإدراكِ محلٍّ سما عمادُهُ لا لإدراكِ المراحْ

واللهِ ما السُّودُ حسوا الطِّلا ولا مرادُ الهدِّ دُرداحْ

وإنَّما الحرُّ صدرُهُ واسعٌ وهمُّهُ ما سرَّ أهلَ الصلاحْ

موردُهُ حلوٌ لسؤَّالِهِ ومالُهُ ما سالوهُ مُطاحْ

ما أسمعَ الآمرَ ذا دلالٍ ما طلهُ والمطلُ لومٌ صُراحْ

ولا أطاعَ اللهوَ لمَّا دعا ولا كسا راحاتهُ كاسَ راحْ

سوَّدهُ إصلاحُهُ سرَّهُ وودعُهُ أهواءهُ والطِّماحْ

وحصَّلَ المدحَ لهُ علمُهُ ما مهرا لعوزِ مهورِ القِباحْ

فقال له أحسنتَ يا بديرُ يا دارَ أسرارِ الدين ثمَّ قال لتلوِّهِ المشتبهِ منهُ

يصنوهُ يا نوبتهُ يا قمرَ الدوبتهْ فدنا ولم يتباطَ حتى حلَّ

مقعدَ المعاطي فقال له أجلِ الأبياتَ الغرايبَ وإن لم تكنْ

نفائسَ وبني وقطِّعْ ثمَّ أخذَ اللوحَ وخطَّ:

فتنتني بحسني جنى بحزنٍ بفتنٍ عيبَ بحزنْ

شغفتني بحفرِ طي غضبنِ عيجٍ يغتفني نفيضَ جفني

غشيتني بزِّ بنينٍ فشغفتني بنهى تشفُّ بينَ تشينْ

تنطيبُ حبيتني فتحرِّني بنفثِ تشفي بحبيبِ ظنِّي

تبنَّت في عشِّ حبٍّ بنزينٍ حيثُ يبغي تشفي ظغنْ

فتزيَّت في جنى فتنتني بتشيخِ تجني بفتنِ ففنْ

ولمَّا نظرَ الشيخُ إلى ما حبَّرَهُ وتصفَّحَ ما زبرهُ قال له بوركَ

فيكَ من طلا كما بوركَ في لا ولا ثمَّ هتفَ قرِّبْ يا فطرب فاقتربَ

منهُ في الحيِّ خمَّ نجيَّهُ ولمَّا أدناهُ فقال له ارقمِ الأبياتَ

الأصافَ وتجنَّبِ الخلافَ فأخذَ القلمَ ورقمَ

إسمحْ فنتُّ السماحِ زينٌ ولا تخبْ إذا مؤمِّلٌ تضيَّفْ

ولا تحزْ ردَّ ذي سؤالٍ تشبَّبَ أم بالسؤالِ خفَّفْ

ولا نظرِ الدهورِ يثني مالكَ ضنينٌ ولو تقشَّفْ

وأحلمْ فحلمُ الكرامِ يغني وصدرُهم في العطا نفيفْ

ولا تحزْ عملا بني ودادٍ ثبتَ ولا تبعْ ما تزيَّفْ

فقال له لا شلَّتْ يداكَ ولا كلَّتْ مُداكَ ثمَّ نادى يا غشمشمُ يا

عيطموس

فلبّاه غلامٌ كدُرّة غوّاص أو جُؤذُر قنّاص فقال له اكتب الأبيات المتائيم ولا تنكر من المشائيم فتناول القلم المثقّف وكتب من غير أن توقّف

زيّنتْ زينبُ بقدٍّ يقدّ ... وتلاه ويلاه نهدٌ يهدّ

جُندها جيدُها وظرفٌ وطرفٌ ... ناعسٌ تاعسٌ بحدٍّ يحدّ

قدرُها قد زها وتاهتْ وباهتْ ... واعتزتْ اغترتْ بخدٍّ تخدّ

فارقتني فأرّقتني وشطّتْ ... وسطتْ ثمّ نمّ وجدٌ وجدّ

فدنتْ قد بنتْ وحنّتْ وجنّتْ ... مغضبًا مغضيًا بودٍّ يودّ

وطرب الشيخ لما أدّاه وعوّذه وفدّاه فلمّا استحسن خطّه وضبطه قال له لا شُلّ عشرُك ولا استُخبث نشرُك ثمّ أهاب بفتًى فتّان يسفر عن أزهار بستان فقال له أنشد البيتين المطربين المستثنى الطرفين اللذين أشكلا كلّ نابت وأمنا أن يُعزّزا بثالث فقال له اسمع لا وُقر سمعك ولا هُزم جمعك وأنشد من غير تلبّث ولا تريّث

سِمْ سِمةً تحسنُ آثارها ... واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكرَ مهما اسطعتَ لا تأته ... لتقتني السؤدد والمكرمه

فقال له أحسنتَ يا زُغلول يا أبا الغُلول ثمّ نادى أوضِحْ يا بابِسْنُ شُبَيكات من ذوات السين فنهض ولم يتأنّ وأنشد بصوت أغنّ

نقسُ الدّواة ورسغُ الكفّ مثبتةٌ ... سينًا هما إن هما خُطّا وإن رُبِسا

وهكذا السين في فسكٍ باسقه وفي ال‍ ... ‍سنخ والنخر واقسر واقبس وبسا

وفي تنفّستُ بالليل الكلام وفي ... مسطرٍ وشموسٍ واتّخذ حرسا

وفي فرسٍ وبردٍ فارسٍ فخذ الصوا ... ب منّي وكن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنتَ يا نُغَيش يا صنّاجة الجيش ثمّ قال انتِ يا عُبَيس وبيّن الصادات الملتبسة فوثب وثبة شبل مثار ثمّ أنشد من غير عثار

بالصاد يكتب قد قبصتُ دراهمًا ... يا ناملي واصخ لتستمع الخبر

وبصقتُ أبصق والصماخ وصنجةٌ ... والقصّ فهو الصدر واقتصّ الأثر

وبخصتُ مقلته وهذي قرصةٌ ... وقرا رعدتُ منه الفريصة للخور

وقصرتُ هندًا أي حبستُ وقد دنا ... فصح النصارى وهو عيدٌ منتظر

وقرصته والخمر قارصةٌ إذا ... حذيتِ اللسان وكلّ هذا مستطر

فقال له رعيًا لك يا بنيّ فلقد أقررتَ عيني ثمّ استنهض داجنه كالبيذق

وتغشنه كالسوذق وأمره أن يقف بالمرصاد ويبشر ذما أجرى
علي البشر والصاد فنهض يحثّ بُردَيه وأنشد مشيراً بيديه

إن تشنأ الشين فاكتب ما أبيّنه وإن تشأ فهو بالصاد الذي تكتب
مغص وفقص ومسطار ومملس وسالغ وصراط الحق والسقب
والسامغان وصقر والصويق ومصلاق وعن كل هذا تفصح الكتب

فقال له أحسنت يا جهة باعث نفقته ثم نادى يا دغفل يا بارز النغل
فلبّاه فتى أحسن من بيضة في روضة فقال له ما عقد هجا الأفعال
التي آخرها حرف اعتلال فقال له اسمع لا صُمّ صداك ولا سمعت علاك
ثم أنشد وما استرشد

إذا الفعل يوماً غمّ عنك هجاؤه فألحق به تاء الخطاب ولا تقف
فإن تر قبل التاء ياء فكتبه بياء وإلا فهو يكتب بالألف
ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما أداه وعوذه وفداه ثم قال هلم يا قعقاع يا باقعة البقاع

فلبّاه فتى أحسن من نار القِرى بعين أرق من السُّرى فقال له أوضع
تمييز الظاء من الضاد لتمرع أكباد الأضداد فاهتز لقوله
وابتشر ثم أنشد بصوت جهير

أيها السائلي عن الضاد والظاء لكيلا تضله الألفاظ
إن حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ
هي ظمياء والمظالم والإظلام والظلم والظبى واللحاظ
والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ
والتظني واللفظ والنظم والتقريظ والقيظ والظما واللماظ
والحظا والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والأيقاظ
والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ
والأظافير والمظفر والمحظور والحافظون والإحفاظ
والحظار والحظيرة والظنة والكاظمون والمغتاظ
والوظيفات والمواظب والكظة والانتظار والإلظاظ
ووظيف وظالع وعظيم وظهير والفظ والإغلاظ

(السوذق: الشاهين) (نغل) (سمع)

وَنَظيفٌ وَالظَّرْفُ وَالظَّلْفُ الظَّاهِرُ ثُمَّ الْفَظيعُ وَالْوُعَّاظُ

وَعُكاظٌ وَالظَّعْنُ وَالْمَظُّ وَالْحَنْظَلُ وَالْقارِظانِ وَالْأَوْشاظُ

وَظِرابُ الظِّرانِ وَالشَّظَفُ الْباهِظُ وَالْجَعْظَرِيُّ وَالْجَوّاظُ

وَالظَّرابينُ وَالْحَناظِبُ وَالْعُنْظُبُ ثُمَّ الظَّيّانُ وَالْأَرْعاظُ

وَالشَّناظي وَالدَّلْظُ وَالظّابُ وَالظَّبْظابُ وَالْعُنْظُوانُ وَالْجِنْعاظُ

وَالشَّناظيرُ وَالتَّعاظُلُ وَالْعِظْلِمُ وَالْبَظْرُ بَعْدُ وَالْإِنْعاظُ

هِيَ هٰذي سِوَى النَّوادِرِ فَاحْفَظْها لِتَقْفُوا آثارَكَ الْحُفّاظُ

وَاقْضِ فيما صَرَّفْتَ مِنْها كَما تَقْضيهِ في أَصْلِهِ كَقَيْظٍ وَقاظُوا

فَقالَ الشَّيْخُ أَحْسَنْتَ لا فُضَّ فُوكَ وَلا بَرَّ مَنْ يَجْفُوكَ فَوَاللّٰهِ إِنَّكَ
مَعَ الصَّبِيِّ الْغُمْرِ لَأَحْفَظُ مِنَ الْأَرْضِ وَأَجْمَعُ مِنْ يَوْمِ الْعَرْضِ وَلَقَدْ
أَوْرَدْتُكَ وَرَفَقْتُكَ زُلالي وَثَقَّفْتُكُمْ تَثْقيفَ الْعَوالي فَاذْكُرُوني
أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لي وَلا تَكْفُرُونِ قالَ الْحارِثُ بْنُ هَمّامٍ فَعَجِبْتُ لِما
أَبْدى
بَراعَةِ مُجُونِهِ بِرَقاعَتِهِ وَأَظْهَرَ مِنْ خَرافَةٍ مَمْزُوجَةٍ بِحَماقَةٍ وَلَمْ أَزَلْ
أَتَحَرّى لِيُصَعِّدَ فيهِ وَيُصَوِّبَ وَيُنَقِّرَ عَنْهُ وَيُنَقِّبَ وَهُوَ مُمْكِنٌ بِنَظَري
ظَلْماً أَوْ يَسُبُّني في بُهْمَا فَلَمّا اسْتَرابَ شَيْمي وَاسْتَبانَ تَدَلُّهي
حَمْلَقَ إِلَيَّ وَتَبَسَّمَ وَقالَ لَمْ يَبْقَ مَنْ يَتَوَسَّمُ فَبُهِتُّ الْفَحْوى كَلامِهِ
وَوَجَدْتُهُ أَبا زَيْدٍ عِنْدَ ابْتِسامِهِ وَأَخَذْتُ أَلُومُهُ عَلى تَدْريبِ غُلامِهِ
النَّوْكى وَتَخَيُّرِ حِرْفَةِ الْحَمْقى فَكانَ وَجْهُهُ أُسِفَّ رَماداً أَوْ
أُشْرِبَ سَواداً إِلّا أَنَّهُ أَنْشَدَ وَما تَمادى ∴

تَخَيَّرْتُ حُمْقاً هَنِيَّ الصِّناعَهْ لِإِدْراكِ حُظْوَةِ أَهْلِ الرَّقاعَهْ

فَما يَصْطَفي الدَّهْرُ غَيْرَ الرَّقيعِ وَلا يُوطِنُ الْمالَ إِلّا بِقاعَهْ

وَلا لِأَخي اللُّبِّ مِنْ دَهْرِهِ سِوى ما يُخَبِّرُ نَبْطٌ بِقاعَهْ

ثُمَّ قالَ أَما إِنَّ التَّعْليمَ أَشْرَفُ صِناعَةٍ وَأَرْبَحُ بِضاعَةٍ وَأَنْجَحُ
شَفاعَةٍ وَأَفْضَلُ بَراعَةٍ وَرَبُّهُ ذُو إِمْرَةٍ مُطاعَةٍ وَهَيْبَةٍ مُشاعَةٍ
وَرَعِيَّةٍ مِطْواعَةٍ يَتَسَيْطَرُ تَسَيْطُرَ أَميرٍ وَيُرَتِّبُ تَرْتيبَ وَزيرٍ
وَيَتَحَكَّمُ تَحَكُّمَ قَديرٍ وَيَتَشَبَّهُ بِذي مُلْكٍ كَبيرٍ لَوْلا أَنَّهُ يَخْرَفُ في أَمَدٍ
يَسيرٍ

وتبسم لحمق شهير وينقلب بعقل صغير ولا ينبئك مثل خبير فقلت
له تالله انك لابن الايام وعلم الاعلام والساحر اللاعب
بالافهام المذلل له سبل الكلام ثم لم ازل معتكفا بناديه
ومغترفا من سيب اياديه الى ان غالت الايام الغرر وتاءبت
الاحداث العبر ففارقته وعيني العبرى

المقامة السابعة والاربعون
الحجرية موضع باليمامة

حكى الحارث بن همام قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة
نحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت غلامي لاحضاره وارصدت
نفسي لانتظاره فابطا بعدما انطلق حتى خلته قد ابق او ركب
طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه الكل على مولاه فقلت
له ويلك ابطؤ وصلود زند فزعم ان الشيخ اشغل من ذات
النحيين ومن ابي حرب كرب حتى يعفث المنتاب الى حجام وحرت بين
اقدام واحجام ثم رايت ان لا تعسف على من ياتي الكنيف فلما
شهدت موسمه

وشاهدت ميسمه رايت شيخا هيئته نظيفة وحركته خفيفة
وعليه من النظارة اطواق ومن المحاجم طباق وبين يديه فتى
كالصمصامة مستهدف للحجامة والشيخ يقول له اراك قد
ابرزت راسك قبل ان تبرز قرطاسك ووليتني قذالك ولم تقبل
ذلك ولست ممن يبيع نقدا بدين ولا من يطلب اثرا بعد عين
ان رضيت بالعين حجمت بلا اجر عين وان كنت تبغي النسا فولّ
وخزن الفلس ذا النفس اخلى فافرا عسرو تولى واغرب عني والا
فقال الفتى والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين اني لامفلس
من ابن يومين فتنق سبيل تلفقي وانظرني الى سعتي فقال الشيخ ايها
ان مثل الوعود كغرس العود هو بين ان يدركه العطب او يبدو
منه الرطب فما يدريني ايحصل من عودك جنا ام احصل منه على
ظنا ثم ما الثقة بانك حين تسعد ستفي بما تعد وقد صار الغدر
كالتحجيل في حلية هذا الجيل فارحني بالله من التعذيب وادخل
جيبك في عقوق الزنيب فاستوى الغلام اليه وقد استولى الخجل عليه

وقال والله ما يخيس بالعهد غير الخسيس ابو غدر لا يرد عذير
العهد الا اوضع القدر ولو عرفت من انا لما اسمعتني الخنا
لكنك جهلت فقلت وحيث وجب ان تستحي بلت وما اقبح الغربه
والاقلال واحسن قول من قال

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه ما تشين الحر موجعة فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما اصلي الياقوت جمر غضا ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة ابيك وعولة اهليك أانت في موقف
يظهر وحسب يشهر ام موقف جلد يكشط وقفا ينشر وهبك
كما ادعيت وسلم ان لك لبيت اخضر يدلك حجم فذلك لا فا
ولو ان اباك اناف على عبد مناف او خالك ان عبد المدان
فلا تضرب في حديد بارد ولا تطلب ما لست له بواجد وباهت
اذا بعت موجودك لا بجدودك وبخصولك لا باصولك وبصفاتك
لا برفاتك وباعلاقك لا باعراقك ولا تطع الطمع فيذلك ولا

ولا تتبع الهوى فيهلكك ولله القايل لابنه

بني استقم فالعود تنمي عروقه قويما ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردي فكم من محلق الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوي القربى فيقبح ان يرى على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخون اذا نبا زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ اذا علقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم ير ذو نهى شكا ولكن اخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة والطرفة الغريبة انفق في
السماء واستن في الماء ولفظ كالصهباء وفعل كالحصباء
ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط وغيظ مستشيط وقال اف
لك من صواغ باللسان ولاغ عن الاحسان تامر بالبر وتنفق
عقوق الهر فان يكن سبب تعششك نفاق صنعتك فرماها الله
بالكساد وافساد الحساد حتى ترى افرغ من حجام ساباط واضيق

رزقا من سم خياط **فقال** له الشيخ بل سلط الله عليك شر الفم
وتبيغ الدم حتى تلجأ إلى حجام عظيم الاستشطاط ثقيل الاشتراط
كليل المشراط كثير المخاط والضراط فلما تبين الفتى أنه
يشكو إلى غير مصمت ويحاول استفتاح باب مصمت أضرب
عن رجع الكلام واحتفز للقيام وعلم الشيخ أنه قد ألام
بما أسمع الغلام فجنح إلى سلمه وبدا أن ينزع عن حكمه وألا
يبغي أجرا على حجمه وأبى الغلام إلا التشزر بآبائه والهرب من
لقائه وما زال بين تحجاج وسباب ولزاز وجذاب إلى أن صح
الفتى من الشقاق وتلا دونه سورة الانشقاق وأعول حينئذ
لوفارة خسره وانحطاط عرضه وطمره وأخذ الشيخ يعتذر
من فرطاته ويفيض من عبراته وهو لا يصغي إلى اعتذاره ولا
يقصر عن استعباره إلى أن قال له فداك عمك وعداك ما يغمك
أما سئمت الإعوال أما تعرف الإجمال ألم تسمع بمن قال وأخذ بقول
أخمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه من نار غيظك واصفح إن جنى **جاني**

فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به والأخذ بالعفو أحلى ما جنى **جاني**
فقال له الغلام أما إنك لو ظهرت على غشي المنكدر لقد رثيت
في دمعي المنهمر ولكن هان على الأملس ما لاقى الدبر ثم كأنه
نزع إلى الاستحياء وأقلع عن البكاء وفاء إلى الارعواء
وقال للشيخ قد ضربت إلى ما اشتهيت فارقع ما أفهيت **فقال**
هيهات شغلت شعابي جدواي فشم بارق سواي ثم إنه نهض يتقرى
الصفوف ويستجدي الوقوف وينشد في ضمن ما يطوف

أقسمت بالبيت الحرام الذي تهوي إليه الزمر المحرمه
لو أن عيني قوت يوم لما مست بني المشراط والمحجمه
ولا ارتضت نفسي التي لم تزل تسمو إلى المجد بهذي السمه
ولا اشتكى ههنا الفتى غلظة مني ولا شاكته مني حمه
لكن صروف الدهر غادرنني أخابط في الليلة المظلمه
واضطرني الفقر إلى موقف مذويه خوض اللظى المضرمه
فهل فتى تدركه رقة علي أو تعطفه مرحمه

قال الحرث بن همام فكنت أول من رثى لبلواه ورقّ لشكواه
فنفحته بدرهمين وقلت لا كأنا ولو كان ذا مين فانتهج
بباكورة جناه وتفاءل بهما للغناه ولم تزل الدراهم تنهال
عليه وتنثال لديه حتى آل ذا عيشة خضلة وحقيبة بجزل
فازدهاه الفرح عند ذلك وهنّا نفسه هنالك وقال للغلام
هذا ربع أنت بذرته وحلب لك شطره فهلم لنقتسم ولا نحتشم
فقاسمه شق الأبلمة وبعضا منتقى الكلمة ولما انتظم عقد
الاصطلاح وهمّ الشيخ بالرواح قلت له قد سمح ذهني ونفلت
إليك فذني فهل لك أن تحكمني وتكفكف ما دهمني فصوّب
طرفه فيّ وصعّده ثم ازدلف إليّ وأنشد

كيف رأيت خدعتي وختلي ❁ وما جنيت بيني وبين نجلي
حتى انثنيت فأبن أبا الحمل ❁ أن عن رباع الخصب بعد المحل
بالله يا مهجة قلبي قل لي ❁ هل أبصرت عيناك قط مثلي
يفتح بالرقية كل قفل ❁ ويستبي بالسحر كل عقل

الابلمه خوصة المقل

وتعجز الحذ بما أعزب ❁ إن تكن الإسكندري قبلي
فالطل قد يبدو أمام الوبل ❁ والفضل للوابل لا للطل

قال فبهتني أرجوزته عليه وأرتني أنه شيخنا المشار إليه
فقرعته على الابتذال والإلحاف بالإدلال فأعرض عما سمع
ولم يبال بما قرع وقال كل الحذاء تحتذي الحافي الوقع ثم
فاصاني مفاصاة المهان وانطلق وابنه كفرسي رهان ❁
قال أبو محمد القسم بن علي رحمه الله قد أودعت هذه المقامة
بضعة عشر مثلا من أمثال العرب فسرت منها ما خلته يلتبس
على من يقتبس ❁ أما قوله بطوفيد فهو مولى عائشة بنت
سعيد بن أبي وقاص وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها نارا فقصد
مصر وأقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة بنار يشتد ومعه جمر فتبدد
منه فقال تعست العجلة ❁ وأما ذات النحيين فهي امرأة من تيم الله
بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات
بن جبير الأنصاري ليبتاعهما منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه إليها

مسكنه

فاخذته باحدى يديها ثم فتح الاخر وذاقه ودفعه اليها فا
بيدها الاخرى ثم غشيها وهي لا تقدر على الذب عن نفسها
لحفظها فم الخرز وشحها على السمن فلما قام عنها قال لا
هناك الله فضربت بها المثل فيمن شغل وهي في هذا المثل منقوله
لانها شغلت واكثر الامثال التي على افعل تاتي من فعل الفاعل
واما قوله انف في السما واست في الما يضرب هذا المثل لمن
يتكبر مقالا ويصغر فعالا واما قوله افرغ من حجام ساباط
فذكر انه كان حجاما ملازما ساباط المداين يحجم الجيش بدانق
نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها احد فكان يبرز امه
عندها يمر عليه فيحجمها ليلا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى
نزف دمها وماتت واما قوله يشكوا الى غير مصمت فهو مثل
يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه ولا يبالي باستمرار شكايته
لانه لو اساه لصمت وامسك عن الكلام ومنه قول الراجز خاطب جملا
له انك لا تشكوا الى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل او مت

ونحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدبر واما قوله
شغلت شعابي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه
الى غيري والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله كل الحذاء
يحتذي الحافي الوقع معناه ان المجهود يقنع بما يجده والوقع
ان تنشب الحجارة القدم فتوهنها واما البعير الموقع فهو
الذي تكثر اثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون وتعرف بالحرامية

روى الحارث بن همام عن ابي زيد السروجي قال ما زلت مذ رحلت
عنسي وارتحلت عن عرسي احن الى عيان البصرة حنين المظلوم الى النصرة
لما اجمع عليه ارباب الدراية واصحاب الرواية من خصايص فضايل
معالمها وعلمايها ومآثر مشاهدها وشهدايها واسال
الله ان يوطيني ثراها لافوز بمراها وان يمطيني قراها لاقتري
قراها فلما احلنيها الحظ وسرح لي فيها اللحظ

رأيت بها ما يملأ العين قرة ... ويسلي عن الأوطان كل غريب

فغلست في بعض الأيام، حين نصل خضاب الظلام، وهتف أبو المنذر
بالنوام، لأخطو في خططها، وأقضي الوطر من توسطها، فأداني
الاختراق في مسالكها، والانصلات في سككها، إلى محلة موسومة
بالاحترام، منسوبة إلى بني حرام، ذات مساجد مشهودة، وحياض مورودة،
ومبان وثيقة، ومغان أنيقة، وخصائص أثيرة، ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا ... وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ... ومفتون برنات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ... ومطلع إلى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقار ... أضر بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها ... وناد للندى حلو المجاني
ومغنى ما تزال تغن فيه ... أغاريد الغواني والأغاني
فصل إن شئت فيها من يصلي ... وإما شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها ... أو الكاسات منطلق العنان

قال: فبينما أنا أنفض طرقها، وأستشف رونقها، إذ لمحت عند
دلوك براح، وأطلال الرواح، مسجدا مشتهرا بظرائفه، مزدهرا
بطوائفه، وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل، وجروا في
الجدل، فعجت نحوهم، لأستمطر نوءهم، لا لأقتبس نحوهم، فلم يك
إلا كقبسة العجلان، حتى ارتفعت الأصوات بالأذان، ثم ردف
الأذان بروز الإمام، فأغمدت ظبى الكلام، وحلت الحبا للقيام،
وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت، وبالسجود عن استنزال
الجود، ولما قضي الفرض، وكاد الجمع ينفض، انبرى من الجماعة كهل
حلو البراعة، له مع السمت الحسن، ذلاقة اللسن، وفصاحة الحسن،
وقال: يا جيرتي الذين اصطفيتهم على أغصان شجرتي، وجعلت
دارهم محجتي، واتخذتهم كرشي وعيبتي، وأعددتهم لمحجتي و
أما تعلمون أن لبوس الصدق أبهى الحبر الفاخرة، وأن فضح
الدنيا أهون من فضوح الآخرة، وأن الدين إمحاض النصيحة، والإرشاد
عنوان العقيدة الصحيحة، وأن المستشار مؤتمن، والمسترشد
بالنصح قمن

إمحاض إخلاص

قمن حقيق

دليل الطوية

وإنّ أخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك وصديقك من صدقك
لا من صدّقك فقال له الحاضرون أيها الخِلّ الودود والحِبّ
المودود ما سرّ كلامك الملغز وما شرح خطابك الموجز
الذي تعنينا منه بالمعجز ولو أعجز فوالذي حبانا بمحبّتك وجعلنا
من صفوة أحبّتك ما نألوك نصحًا ولا ندّخر عنك نصحًا فقال خبّرتم
خبرًا وفيتم صبرًا فإنكم من لا يشقى بهم جليسهم ولا يبذر عنهم تلبيسهم
ولا تخيب فيهم ظنون ولا يطوى دونهم سرّ مكنون وسأبثّكم
ما حكّ في صدري واستفتيكم فيما عيل له صبري اعلموا
أني كنت عند صلود الزند وصدود الجدّ أخلفت مع الله تعالى
بيعة العقد وأعطيته صفقة العهد على أن لا أشرب مُدامًا
ولا أعاقر ندامى ولا أحتسي قهوة ولا أكتسي نشوة فسوّلت
لي النفس المضلّة والشهوة المزلّة أن نادمت الأنذال
وعاطيت الأرطال وأضعت الوقار وارتضعت العقار وامتطيت
مطا الكميت وتناسيت التوبة كالميت ثم لم أقنع بما أتيتكم
المرّة

في طاعة ابن مرّة حتى عكفت على الخندريس في يوم ا...
الصهباء في الليلة الغرّاء وها أنا بادي الكآبة
الإنابة بادي الندامة لوصل المدامة شديد الا...
نقض الميثاق معترف بالإسراف بغيت الاستلاف
فيا قوم هل كفّارة تعرفونها تبلغ من ذنبي وتدني لي
قال أبو زيد فلمّا حلّ الشوطة نفثته وقضى الوطر من...
ناجتني النفس يا أبا زيد هذه نهزة صيد فشمّر عن يد وا...
محتني انتهاض الشهم وانخرطت في الصفّ انخراط السهم

أيها الأروع الذي فاق مجدًا وسؤددا
والذي يبتغي الرشاد ليحظى به غدا
إنّ عندي علاج ما بتّ منه مسهّدا
فاستمعها عجيبة عادت ... مُلدّدا
أنا من ساكني سروج ذوي البرّ والهدى
كنت ذا ثروة بها ومطاعًا مسوّدا
من بني ما ألف الضيوف وما لي سُدى

أَشْتَرِي الْحَمْدَ بِاللُّهَى وَأَقِي الْعِرْضَ بِالْجَدَا
لَا أُبَالِي بِمُنْفِسٍ طَاحَ فِي الْبَذْلِ وَالنَّدَا
أُوقِدُ النَّارَ بِالْيَفَاعِ إِذَا النِّكْسُ أَخْمَدَا
وَيَرَانِي الْمُؤَمِّلُونَ مَلَاذًا وَمَقْصَدَا
لَمْ يَشِمْ بَارِقِي صَدٍ فَانْثَنَى يَشْتَكِي الصَّدَا
لَا وَلَا رَامَ قَابِسٌ قَدْحَ زَنْدِي فَأَصْلَدَا
كَانَ مَا سَاعَدَ الزَّمَانُ فَأَصْبَحْتُ مُسْعِدَا
فَقَضَى اللهُ أَنْ يُغَيِّرَ مَا كَانَ عَوَّدَا
بَوَّأَ الرُّومَ أَرْضَنَا بَعْدَ طُغْيٍ تَمَرَّدَا
فَاسْتَبَاحُوا حَرِيمَ مَنْ صَادَفُوهُ مُوَحِّدَا
وَحَوَوْا كُلَّمَا اسْتَسَرَّ هُنَالِكَ وَمَا بَدَا
فَتَطَوَّحْتُ فِي الْبِلَادِ طَرِيدًا مُشَرَّدَا
أَجْتَدِي النَّاسَ بَعْدَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْلُ مُجْتَدَا
وَبِنَفْسِي خَصَاصَةٌ أَتَمَنَّى لَهَا الرَّدَا
وَالْبَلَاءُ الَّذِي بِهِ شَمْلُ أُنْسِي تَبَدَّدَا
أَنْ سَبَا ابْنَتِي الَّتِي أَسَرُوهَا لِتُفْتَدَا
فَاسْتَبِنْ مِحْنَتِي وَمُدَّ إِلَى نُصْرَتِي يَدَا

وَأَجِرْنِي مِنَ الزَّمَانِ فَقَدْ جَارَ وَاعْتَدَا
وَأَعِنِّي عَلَى فَكَاكِ ابْنَتِي مِنْ يَدِ الْعِدَا
فَبِذَا أَمْتَحِي الْمَآثِمَ عَمَّنْ تَمَرَّدَا
وَبِهِ تُقْبَلُ الْإِنَابَةُ مِمَّنْ تَزَهَّدَا
وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِمَنْ زَاغَ مِنْ بَعْدِمَا اهْتَدَا
وَلَئِنْ ثَمَّتْ مُنْشِدًا فَلَقَدْ فُهْتُ مُنْشِدَا
فَاقْبَلِ النُّصْحَ وَالْهِدَايَةَ وَاشْكُرْ لِمَنْ هَدَا
وَاسْمَحِ الْآنَ بِالَّذِي يَتَسَنَّى لِتُحْمَدَا

قَالَ أَبُو زَيْدٍ فَلَمَّا أَتْمَمْتُ هَدْرَمَتِي وَأَوْهَمَ الْمَسْؤُولَ صِدْقُ كَلِمَتِي أَغْرَاهُ الْقَرَمُ إِلَى الْكَرَمِ بِمُوَاسَاتِي وَرَغَّبَهُ الْكَلَفُ بِحَمْلِ الْكُلَفِ فِي مُقَاسَاتِي فَمَنَحَ لِي عَلَى الْحَافِرَةِ وَنَفَحَ بِالْعِدَّةِ الْوَافِرَةِ فَانْقَلَبْتُ إِلَى وَكْرِي فَرِحًا بِنُجْحِ مَكْرِي وَقَدْ حَصَلْتُ مِنْ صَفْوِ الْكِيسَةِ عَلَى سَوْغِ الثَّرِيدَةِ وَوَصَلْتُ مِنْ حَوْكِ الْقَصِيدَةِ إِلَى لَوْكِ الْعَصِيدَةِ فَقُلْتُ لَهُ سُبْحَانَ مَنْ أَبْدَعَكَ فَمَا أَعْظَمَ خُدَعَكَ فَاسْتَغْرَبَ فِي الضَّحِكِ ثُمَّ أَنْشَدَ غَيْرَ مُتَرَبِّكٍ

عِشْ بِالْخِدَاعِ فَأَنْتَ فِي زَمَنٍ بَنُوهُ كَأُسْدِ بِيشَةْ

وإذا نباه المكر حتى تستدير رحى المعيشه
وصد النسور فإن تعذر صيدها فاقنع بريشه
واجن الثمار فإن تفتك فرض نفسك بالحشيشه
وأرح فؤادك إن نبا دهر من الفكر المطيشه
فتغاير الأحداث يؤذن باستحالة كل عيشه

المقامة التاسعة والأربعون الساسانية

حكى الحارث بن همام قال بلغني أن أبا زيد حين ناهز القبضة وابتزه قيد الهرم النهضة أحضر ابنه بعدما استحاش ذهنه وقال له يا بني إنه قد دنا ارتحالي من الفناء واكتحالي بمرود الفناء وأنت بحمد الله ولي عهدي وكبش الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلك لا تقرع له العصا ولا ينبه بطرق الحصا ولكن قد ندب إلى الإذكار وجعل صيقلا للأفكار وإني أوصيك بما لم يوص به شيث الأنباط ولا يعقوب الأسباط فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحذ مثالي واقفه أمثالي

فإنك إن استنصحت نصحي واستصبحت بصبحي أمرع خانك وارتفع دخانك وإن تناسيت سورتي ونبذت مشورتي قل رماد أثافيك وذل هلكك وزهد فيك يا بني إني جربت حقائق الأمور وبلوت تصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه والفحص عن مكسبه لا عن حسبه وكنت سمعت أن المعايش أربعة إمارة وتجارة وزراعة وصناعة فمارست هذه الأربع لأنظر أيها أوفق وأنفع فما أحمدت منها معيشة ولا استرغدت فيها عيشة أما فرص الولايات وخلس الإمارات فكأضغاث الأحلام والفيء المنتسخ بالظلام وناهيك غصة بمرارة الفطام وأما بضائع التجارات فعرضة للمخاطرات وطعمة للغارات وما أشبهها بالطيور الطيارات وأما اتخاذ الضياع والتصدي للازدراع فمنهكة للأعراض وقيود عائقة عن الارتكاض وقلما خلا ربها من إذلال أو رزق روح بال وأما حرف أولي الصناعات فغير فاضلة عن الأقوات ولا نافقة في جميع الأوقات ومعظمها معصوب

بشبيبة الحياة ⁘ ولم أر ما هو بارد المغنم لذيذ المطعم وافي
المكسب صافي المشرب إلا الحرفة التي وضع ساسان أساسها
ونوّع أجناسها وأضرم في الخافقين نارها وأوضح لبني
غبراء منارها فشهدت وقائعها معلما وأخذت سيماها كا
لي بيسما إذ كانت المتجر الذي لا يبور والمنهل الذي لا يغور
والمصباح الذي يعشو إليه الجمهور ويستصبح به العمي
والعور وكان أهلها أعز قبيل وأسعد جيل لا يرهقهم مس
حيف ولا يقلقهم سل سيف ولا يخشون حمة لاسع
ولا يدينون لدان ولا شاسع ولا يرهبون من برق ورعد
ولا يحفلون بمن قام وقعد أنديتهم منزهة وقلوبهم مرفهة
وطعمهم معجلة وأوقاتهم غر محجلة أينما سقطوا لقطوا
وحيثما انخرطوا خرطوا لا يتخذون أوطانا ولا يتقون سلطانا
ولا يمتازون عمن تغدو خماصا وتروح بطانا فقال له
ابنه يا أبت لقد صدقت فيما نطقت ولكنك رتقت وما فتقت

فبين لي كيف أقتطف ومن أين تؤكل الكتف فقال يا بني
إن الحرز تكاثر بابها وانتشار طلابها والفطنة مصباحها
والقحة سلاحها فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب
وأنشط من ظبي مقمر وأسلط من ذئب متنمر وأقدح زند جدك
بجدك وأقرع باب رزقك بسعيك وجب كل فج وخض كل
لج وانتجع كل روض وأدل دلوك إلى كل حوض ولا تسأم الطلب
ولا تمل الدأب فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان
من طلب جلب ومن جال نال وإياك والكسل فإنه عنوان
النحوس ولبوس ذوي البؤس ومفتاح المتربة ولقاح المتعبة
وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة
وما اشتار العسل من اختار الكسل ولا ملأ الراحة
من استوطأ الراحة وعليك بالإقدام ولو على الضرغام
فإن جراءة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك
الحظوة وتملك الثروة كما أن الخور صنو الكسل وسبب الفشل

وَمَبْطَأَةٌ لِلْعَمَلِ وَمَجْبَنَةٌ لِلْأَمَلِ وَلِهَذَا قِيلَ فِي الْمَثَلِ مَنْ
جَسَرَ أَيْسَرَ وَمَنْ هَابَ خَابَ ثُمَّ ابْرُزْ بَابِيَّ فِي بُكُورِ ابْنِ دَايَةَ
وَجُرْأَةِ أَبِي الْحَارِثِ وَحَزَامَةِ أَبِي قِتْرَةَ وَخَتْلِ أَبِي جَعْدَةَ
وَحِرْصِ أَبِي عُقْبَةَ وَنَشَاطِ أَبِي وَثَّابٍ وَمَكْرِ أَبِي الْحُصَيْنِ
وَصَبْرِ أَبِي أَيُّوبَ وَتَلَطُّفِ أَبِي غَزْوَانَ وَتَلَوُّنِ أَبِي بَرَاقِشَ
وَاخْلُبْ بِصَوْغِ اللِّسَانِ وَاخْدَعْ بِسِحْرِ الْبَيَانِ وَارْتَدِ السُّوقَ
قَبْلَ الْجَلَبِ وَامْتَرِ الضَّرْعَ قَبْلَ الْحَلَبِ وَسَابِرِ الدُّكَّانَ
قَبْلَ الْمُنْتَجَعِ وَدَمِّثْ لِجَنْبِكَ قَبْلَ الْمُضْطَجَعِ وَاشْحَذْ بَصِيرَتَكَ
لِلْعِيَافَةِ وَأَنْعِمْ نَظَرَكَ فِي الْقِيَافَةِ فَإِنَّ مَنْ صَدَقَ تَوَسُّمُهُ طَالَ
تَبَسُّمُهُ وَمَنْ أَخْطَأَتْ فِرَاسَتُهُ أَبْطَأَتْ فَرِيسَتُهُ وَكُنْ يَا بُنَيَّ
أَكَلَّ قَلِيلَ الدَّدِ أَغْنَى عَنِ الْعَلَلِ فَإِنَّمَا الْوَبْلُ بِالطَّلِّ وَعَظِّمْ
وَقْعَ الْحَقِيرِ وَاشْكُرْ عَلَى النَّقِيرِ وَلَا تَقْنَطْ عِنْدَ الرَّدِّ وَلَا
تَسْتَبْعِدْ رَشْحَ الصَّلْدِ وَلَا تَيْأَسْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ
مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ وَإِذَا خُيِّرْتَ بَيْنَ ذَرَّةٍ
مَنْقُودَةٍ

وَدُرَّةٍ مَوْعُودَةٍ فَمِلْ إِلَى النَّقْدِ وَفَضِّلِ الْيَوْمَ عَلَى الْغَدِ فَإِنَّ
لِلتَّأْخِيرِ آفَاتٍ وَلِلْعَزَائِمِ بَدَوَاتٍ وَلِلْعِدَاتِ مُعَقِّبَاتٍ وَبَيْنَهَا
وَبَيْنَ النَّجْزِ عَقَبَاتٌ وَأَيُّ عَقَبَاتٍ وَعَلَيْكَ بِصَبْرِ أُولِي الْعَزْمِ
وَرِفْقِ ذَوِي الْحَزْمِ وَجَانِبْ خُرْقَ الْمُشْتَطِّ وَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِ السَّبِطِ
وَقَيِّدِ الدِّرْهَمَ بِالرَّبْطِ وَشُبِ الْبَذْلَ بِالضَّبْطِ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ
مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ وَمَتَى نَبَا بِكَ
بَلَدٌ أَوْ نَابَكَ فِيهِ كَمَدٌ فَبُتَّ مِنْهُ أَمَلَكَ وَاسْرَحْ عَنْهُ جَمَلَكَ
وَتَخَيَّرِ الْبِلَادَ مَا حَمَلَكَ وَلَا تَسْتَثْقِلَنَّ الرِّحْلَةَ وَلَا تَكْرَهَنَّ
النُّقْلَةَ فَإِنَّ أَعْلَامَ شَرِيعَتِنَا وَأَشْيَاخَ عَشِيرَتِنَا أَجْمَعُوا عَلَى
أَنَّ الْحَرَكَةَ بَرَكَةٌ وَالطَّرَاوَةَ سُفْتَجَةٌ وَزَرَوْا عَلَى مَنْ زَعَمَ
أَنَّ الْغُرْبَةَ كُرْبَةٌ وَالنُّقْلَةَ مُثْلَةٌ وَقَالُوا هِيَ تَعِلَّةُ مَنْ قَنِعَ
بِالْوَذِيلَةِ وَرَضِيَ بِالْحَشَفِ وَسُوءِ الْكِيلَةِ وَإِذَا أَزْمَعْتَ الِاغْتِرَابَ
وَأَعْدَدْتَ لَهُ الْعَصَا وَالْجِرَابَ فَتَخَيَّرِ الرَّفِيقَ الْمُسْعِدَ قَبْلَ أَنْ
تُصْعِدَ فَإِنَّ الْجَارَ قَبْلَ الدَّارِ وَالرَّفِيقَ قَبْلَ الطَّرِيقِ ⁂

خُذْهَا إِلَيْكَ وَصِيَّةً لَمْ يُوصِهَا قَبْلِي أَحَدْ
غُرَرًا جَاوَبَهُ خُلَاصَاتُ الْمَعَانِي وَالزُّبَدْ
نَقَّحْتُهَا تَنْقِيحَ مَنْ مَحَضَ النَّصِيحَةَ وَاجْتَهَدْ
فَاعْمَلْ بِمَا مَثَّلْتُهُ عَمَلَ اللَّبِيبِ أَخِي الرَّشَدْ
حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ هَذَا الشِّبْلُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدْ

ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا بُنَيَّ قَدْ أَوْصَيْتُ وَاسْتَقْصَيْتُ فَإِنِ اقْتَدَيْتَ فَوَاهًا وَإِنِ اعْتَدَيْتَ فَآهًا وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ وَأَرْجُو أَنْ لَا يُخْلِفَ ظَنِّي فِيكَ فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ يَا أَبَتِ لَا وُضِعَ عَرْشُكَ وَلَا رُفِعَ نَعْشُكَ فَلَقَدْ قُلْتَ سَدَدًا وَعَلَّمْتَ رَشَدًا وَنَحَلْتَ مَا لَمْ يَنْحَلْ وَالِدٌ وَلَدًا وَلَئِنْ أُمْهِلْتُ بَعْدَكَ وَلَا ذُقْتُ فَقْدَكَ لَأَتَأَدَّبَنَّ بِآدَابِكَ الصَّالِحَةِ وَلَأَقْتَدِيَنَّ بِآثَارِكَ الْوَاضِحَةِ حَتَّى يُقَالَ مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَةِ وَالْغَادِيَةَ بِالرَّائِحَةِ فَاهْتَزَّ أَبُو زَيْدٍ لِجَوَابِهِ وَابْتَسَمَ وَقَالَ مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَأُخْبِرْتُ أَنَّ بَنِي سَاسَانَ حِينَ سَمِعُوا هَذِهِ الْوَصَايَا الْحِسَانَ فَضَّلُوهَا عَلَى وَصَايَا لُقْمَانَ وَحَفِظُوهَا كَمَا تُحْفَظُ أُمُّ الْقُرْآنِ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَرَوْنَهَا إِلَى الْآنِ أَوْلَى مَا لَقَّنُوهُ الصِّبْيَانَ وَأَنْفَعَ لَهُمْ مِنْ نِحْلَةِ الْعِقْيَانِ

الْمَقَامَةُ الْخَمْسُونَ
الْبَصْرِيَّةُ وَالسَّرُوجِيَّةُ

حَكَى الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ أُشْعِرْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ هَمًّا بَرَّحَ بِي اسْتِعَارُهُ وَلَاحَ عَلَيَّ شِعَارُهُ وَكُنْتُ سَمِعْتُ أَنَّ غِشْيَانَ مَجَالِسِ الذِّكْرِ يُسَرِّي غَوَاشِيَ الْفِكْرِ فَلَمْ أَرَ لِإِطْفَاءِ مَا بِي مِنَ الْجَمْرَةِ إِلَّا قَصْدَ الْجَامِعِ بِالْبَصْرَةِ وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مَأْهُولَ الْمَسَانِدِ مَشْفُوهَ الْمَوَارِدِ يُجْتَنَى مِنْ رِيَاضِهِ أَزَاهِيرُ الْكَلَامِ وَيُسْمَعُ فِي أَرْجَائِهِ صَرِيرُ الْأَقْلَامِ فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا لَاوٍ عَلَى شَانٍ فَلَمَّا وَطِئْتُ حَصَاهُ وَاسْتَشْرَفْتُ أَقْصَاهُ تَرَاءَى لِي فِي أَظْهَارِ رَابِيَةٍ فَوْقَ صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ وَقَدْ عَصَبَتْ بِهِ عُصَبٌ لَا يُحْصَى عَدِيدُهُمْ وَلَا يَتَنَاهَى لِبْدُهُمْ فَانْتَدَبْتُ قَصْدَهُ وَتَوَرَّدْتُ وِرْدَهُ وَرَجَوْتُ أَنْ أَجِدَ شِفَاءً عِنْدَهُ وَلَمْ أَزَلْ أَتَنَقَّلُ فِي الْمَرَاكِزِ وَأَغْشَى الْأَوَاخِرَ وَالْحَوَاجِزَ إِلَى أَنْ جَلَسْتُ

تُجاهَهُ وحينَ أمِنْتُ اشْتِباهَهُ فإذا هو شيخُنا السَّروجيّ
لا رَيْبَ فيه ولا لَبْسَ يُخْفيه فتسرّى بمرآه همّي وارْفَضّتْ
كتيبةُ غمّي وحِرْتُ أنّى يُبصر مكاني قال يا أهل البصرة رعاكم
الله ووقاكم وقوّى تقاكم فما أضوع ريّاكم وأفضل مزاياكم
بلدكم أوفى البلاد طُهرة وأزكاها فِطرة وأفسحها رُقعة
وأمرعها نُجعة وأقومها قِبلة وأوسعها دجلة وأكثرها
نهرًا ونخلة وأحسنها تفصيلًا وجملة دِهليز البلد الحرام
وقُبالة الباب والمقام وأحد جناحي الدنيا والمصر المؤسّس
على التقوى لم يتدنّس ببيوت النيران ولا طيف فيه بالأوثان
ولا سُجد على أديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمسا
المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة والآثار
المحمودة والخطط المحدودة به تلتقي الفلك والركاب
والحيتان والضباب والحادي والملّاح والقانص والفلّاح
والناشب والرامح والسارح والسابح وله آية المدّ الفائض

والجزر الغائض وأمّا أنتم فمن لا يختلف في خصائصهم اثنان
ولا ينكرها ذو شنآن زُهّادكم أطوع رعيّة لسلطان وأشكرهم
لإحسان وزاهدكم أورع الخليقة وأحسنهم طريقة على الحقيقة
وعالمكم علّامة كلّ زمان والحجّة في كلّ أوان ومنكم من استنبط
علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من
فخر إلّا ولكم فيه اليد الطولى وإن تشبّثتم فأنتم أحقّ بها وأولى ثمّ إنّكم
أكثر أهل مصر مؤذّنين وأحسنهم في النسك قوانين وبكم اقتُدي
في التعريف وعُرِف التجمير في الشهر الشريف ولكم إذا قربت
المناجع ومجمع الحاجّ تذكار يوقظ النائم ويؤنس القائم
وما أسفر فجر ولا بزغ نوره في برّ ولا بحر إلّا ولتأذينكم
بالأسحار كدويّ النحل في البحار وهذا ما صحّ عنكم في النقل وأخبر
النبيّ عليه السلام من قبل وبشّر أنّ دويّكم في الأسحار كدويّ
النحل فشرفًا لكم ببشارة المصطفى وواهًا لمصركم وإن كان قد عفا
ولم يبق منه إلّا الشفا ثمّ إنّه خزن لسانه وختم بيانه حتى
خرج

بالأبصار وقرف بالإقصار ثم تنفس تنفس من قيد للقود او نشبت
به براثن الأسد ثم قال اما انتم يا اهل البصرة فما منكم الا العلم
المعروف ومن له المعرفة والمعروف واما انا فمن عرفني فانا
ذاك وشر المعارف من آذاك ومن لم يثبت معرفتي فسأصدقه
صفتي انا الذي انجد واتهم وايمن واشأم واصحر وابحر وادلج
واسحر نشأت بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق
وفتقت المغالق وشهدت المعارك ولنت العرائك واقتدت
الشوامس وارغمت المعاطس واذبت الجوامد وامعت الجلامد
سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل
والمحافد والقبائل والقنابل واستوضحوني من نقلة الاخبار
ورواة الاسمار وحداة الركبان وحذاق الكهان لتعلموا
كم مسالك سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة ألحمت
وكم ألباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست واسد افترست
وكم علق غادرته لقى وكام استخرجته بالرقى وحجر سحرته

حتى انصدع واستنبطت زلاله بالخدع ولكن فرط ما فرط والغصن
رطيب والفود غربيب وبرد الشباب قشيب فاما الآن
وقد شنشن الحذيم وتأود القويم واستنار الليل البهيم فليس
الا الندم ان نفع وترقيع الخرق الذي قد اتسع وكنت دونت
الآثار المستندة والآثار المعتمدة ان لكم من الله تعالى في كل يوم
نظرة وان سلاح الناس كلهم الحديد وسلاحكم الأدعية
فقصدتكم انضي الركاب واطوي المراحل حتى تمت هنا المقام
ولا من لي عليكم اذ ما سعيت الا في حاجتي ولا انبعثت الا لرأيي
ولست ابغي اعطيتكم بل استدعي ادعيتكم ولا اسألكم اموالكم
بل استنزل سؤالكم فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب والاعداد
للمآب فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل
التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ثم انشد

استغفر الله من ذنوب ... افرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلا ... ورحت في الغي واغتديت

وكم أطعت الهوى اغترارا واختلت واغتلت وافتريت

وكم خلعت العذار ركضا إلى المعاصي وما ونيت

وكم تناهيت في التخطي إلى الخطايا وما انتهيت

فليتني كنت قبل هذا نسيا ولم أجن ما جنيت

فالموت للمجرم خير من المساعي التي سعيت

يا رب عفوا فأنت أهل للعفو عني وإن عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء وهو يقلب وجهه
في السماء إلى أن دمعت أجفانه وبدا رجفانه فصاح الله أكبر
بانت أمارة الاستجابة وانجابت غشاوة الاسترابة فجزيتم
يا أهل البصيرة جزاء من هدي من الحيرة فلم يبق في القوم إلا
من سر لسروره ورضخ له بميسوره فقبل عفو برهم وأقبل
يفرق في شكرهم ثم انحدر من الصخرة يؤم شاطئ البحر وتبعته
الحثيث حتى خلونا وأمنا التجسس علينا فقلت له لقد
أغربت في هذه النوبة فما آيتك في التوبة فقال أقسم بعلام الخفيات

وغفار الخطيئات إن شأني لعجاب وإن دعاء قومك لمجاب
فقلت زدني إيضاحا نادك الله صلاحا فقال وأبيك لقد قمت
فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع فطوبى
لمن صفت قلوبهم له وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعني
وانطلق وأودعني القلق فلم أزل أعاني الفكر وأستوق أي
حين ما ذكر وكلما استشفت خبره من الركبان وجوابها البلدان
كمن حاول أن يخمن أو نادى صخرا صما إلى أن لقيت بعد تراخي الأمد
وتراقي الكمد ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر
فقالوا إن عندنا الخبر أغرب من العنقاء وأعجب من نظرة الزرقاء
فسألتهم إيضاح ما قالوا وأن يكيلوا لي كما اكتالوا لهم
أنهم ألموا بسروج بعد ما فارقها العلوج فرأوا أبا زيدها
المعروف قد لبس الصوف وأم الصفوف وصار بها الزاهد الموصوف
فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا إنه الآن ذو الكرامات
فحفزني إليه النزاع ورأيتها فرصة لا تضاع فارتحلت رحلة
المجد

وسبرت نحوه سبر المجد حتى حللت مسجده وقرأة تعبده
فاذا به قد نبذ صحبة اصحابه وانتصب في محرابه وهو ذو
عباءة مخلولة وشملة موصولة فهبته مهابة من ولج
على الاسود وألفيته ممن سيماهم في وجوههم من اثر السجود
ولما فرغ من سبحته حياني بمسبحته من غير ان نغم بحديث
ولا استخبر عن قديم ولا حديث ثم اقبل على اوراده
وتركني اعجب من اجتهاده واغبط من يهدي الله من عباده
ولم يزل في قنوت وخشوع وسجود وركوع واخبات وخضوع
الى ان اكمل اقامة الخمس وصار اليوم امس فخف
بي الى بيته واسهمني في قرصه وزيته ثم نهض الى
مصلاه وتخلى لمناجاة مولاه حتى اذا التمع الفجر وحق
للمتهجد الاجر عقب تهجده بالتسبيح ثم اضطجع ضجعة
المستريح وجعل يرجع بصوت فصيح

خل ادكار الاربع　والمعهد المرتبع　والظاعن المودع
وعد عنه ودع

واندب زمانا سلفا　سودت فيه الصحفا　ولم تزل معتكفا
على القبيح الشنيع

كم ليلة اودعتها　مآثما ابدعتها　لشهوة اطعتها
في مرقد ومضجع

وكم خطى حثثتها　في خزية احدثتها　وتوبة نكثتها
لملعب ومرتع

وكم تجرأت على　رب السموات العلى　ولم تراقبه ولا
صدقت فيما تدعي

وكم غمصت بره　وكم امنت مكره　وكم نبذت امره
نبذ الحذاء المرقع

وكم ركضت في اللعب　وفهت عمدا بالكذب　ولم تراع ما يجب
من حقه المتبع

فالبس شعار الندم　واسكب شآبيب الدم　قبل زوال القدم
وقبل سوء المصرع

وَاخْضَعْ خُضُوعَ الْمُعْتَرِفْ وَلُذْ مَلَاذَ الْمُقْتَرِفْ وَاعْصِ هَوَاكَ وَانْحَرِفْ عَنْهُ انْحِرَافَ الْمُقْلِعِ

تذلل ذل العرف التائب

إِلَامَ تَسْهُو وَتَنِي وَمُعْظَمُ الْعُمْرِ فَنِي فِيمَا يَضُرُّ الْمُقْتَنِي وَلَسْتَ بِالْمُرْتَدِعِ

الى متى تغفل تقصر المدخر المزدجر

أَمَا تَرَى الشَّيْبَ وَخَطْ وَخَطَّ فِي الرَّاسِ خُطَطْ وَمَنْ يَلُحْ وَخْطُ الشَّمَطْ بِفَوْدِهِ فَقَدْ نُعِي

خلط وعود اخلط الشمط خلط السواد بالبياض

وَيْحَكِ يَا نَفْسُ احْرِصِي عَلَى ارْتِيَادِ الْمَخْلَصِ وَطَاوِعِي وَأَخْلِصِي وَاسْتَمِعِي النُّصْحَ وَعِي

وَاعْتَبِرِي بِمَنْ مَضَى مِنَ الْقُرُونِ وَانْقَضَى وَاخْشَيْ مُفَاجَاةَ الْقَضَا وَحَاذِرِي أَنْ تُخْدَعِي

التقضي مباغته

وَانْتَهِجِي سُبْلَ الْهُدَى وَادَّكِرِي وَشْكَ الرَّدَى فَإِنَّ مَثْوَاكِ غَدَا فِي قَعْرِ لَحْدٍ بَلْقَعِ

اسلكي طرق مقامك اسفل قبر خال

آهًا لَهُ بَيْتَ الْبِلَى وَالْمَنْزِلَ الْقَفْرَ الْخَلَا وَمَوْرِدَ السَّفْرِ الْأُلَى وَاللَّاحِقَ الْمُتَّبِعِ

ما لعنه الخالي

بَيْتٌ يُرَى مَنْ أَوْدَعَهْ قَدْ ضَمَّهُ وَاسْتَوْدَعَهْ بَعْدَ الْفَضَاءِ وَالسَّعَهْ قِيدَ ثَلَاثِ أَذْرُعِ

تركنه السعه قدر

لَا فَرْقَ أَنْ يَحُلَّهُ دَاهِيَةٌ أَوْ أَبْلَهُ أَوْ مُعْسِرٌ أَوْ مَنْ لَهُ مُلْكٌ كَمُلْكِ تُبَّعِ

ملك من ملوك اليمن

وَبَعْدَهُ الْعَرْضُ الَّذِي يَحْوِي الْحَيِيَّ وَالْبَذِي وَالْمُبْتَدِي وَالْمُحْتَذِي وَمَنْ رَعَى وَمَنْ رُعِي

الوقح المتبوع التابع

فَيَا مَفَازَ الْمُتَّقِي وَرِبْحَ عَبْدٍ قَدْ وُقِي سُوءَ الْحِسَابِ الْمُوبِقِ وَهَوْلَ يَوْمِ الْفَزَعِ

المهلك

وَيَا خَسَارَ مَنْ بَغَى وَمَنْ تَعَدَّى وَطَغَى وَشَبَّ نِيرَانَ الْوَغَى لِمَطْعَمٍ أَوْ مَطْمَعِ

جار ظلم اوقد الحرب

يَا مَنْ عَلَيْهِ الْمُتَّكَلْ قَدْ زَادَ مَا بِي مِنْ وَجَلْ لِمَا اجْتَرَحْتُ مِنْ زَلَلْ فِي عُمْرِيَ الْمُضَيَّعِ

المعتمد خوف خطا

فَاغْفِرْ لِعَبْدٍ مُجْتَرِمْ وَارْحَمْ بُكَاهُ الْمُنْسَجِمْ فَأَنْتَ أَوْلَى مَنْ رَحِمْ وَخَيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِي

مذنب المنصب

قال فلم يزل يرددها بصوت رقيق ويصلها
بزفير وشهيق حتى بكيت لبكاء عينيه كما كنت من
قبل أبكي عليه ثم برز إلى مسجده بوضوء تهجده
فانطلقت ردفه وصليت مع من صلى خلفه ولما انفض من
حضر وتفرقوا شغر بغر أخذ يهينم بدرسه ويبتك
يومه في قاب أمسه وفي ضمن ذلك يرن إرنان الرقوب
ويبكي ولا بكا يعقوب حتى استبنت أنه من الأفراد
وأشرب قلبه هوى الانفراد فأخطرت بقلبي عزمة
الارتحال وتخليته والتخلي بتلك الحال فكأنه
تفرس ما نويت أو كوشف بما أخفيت فزفر زفرة
الأواه ثم قرأ فإذا عزمت فتوكل على
الله فأسجلت عند ذلك بصدق المحدثين وأيقنت
أن في الأمة محدثين ثم دنوت منه كما يدنو المصافح
وقلت أوصني أيها العبد الصالح فقال اجعل الموت نصب

عينيك وهذا فراق بيني وبينك
فودعته وعبراتي يتحدرن من المآقي
وزفراتي يتصعدن من التراقي
وكانت هذه خاتمة التلاقي

قال أبو محمد القسم بن علي رحمه الله وكرم مثواه
هذا آخر المقامات التي أنشأتها بالاغترار وأمليتها
بلسان الاضطرار وقد كنت إلى أن أزن منها بالاستغراق
وناديت عليها في سوق الاعتراض هذا مع معرفتي بأنها من
سقط المتاع ومما يستوجب أن يباع ولا يبتاع
ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي نظر الشفيق
لسترت عوابي الذي لم يزل مستورا ولكن
كان ذلك في الكتاب مسطورا وأنا أستغفر
الله تعالى مما أودعتها من أباطيل اللغو وأضاليل
اللهو وأسترشده إلى ما يعصم من السهو ويحظي

بالعفو انه هو اهل التقوى واهل المغفرة وولي الخيرات
في الدنيا والآخرة

تمت المقامات الادبية ولله سبحانه
واهب العقل ومفيض العدل وواهب
الفضل حمدا يستحقه ويستوجبه
ويضاهي كرمه ويوازي احسانه ونعمه

ووافق الفراغ منها على يد العبد الفقير الطامع في عفو الله الراجي
رضوان الله عبد الله بن محمد بن علي بلغه الله اماله واسعد
في الدنيا والآخرة اقواله وافعاله منتصف نهار يوم السبت خامس
عشر جمادى الآخرة وهو ايضا خامس عشر شهر تموز من سنة [illegible]
وستمائة والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله [illegible]

حسبنا الله ونعم الوكيل

فيها جميعها العبد الفقير [illegible] رحمه الله تعالى
حوله المؤذن [illegible]
[illegible]

1985

صفحه ۳۶۴
۱۸۲ ورق